

اصنع لنفسك معروفاً ...

واغفر



تعلم كيف تتحكم
في حياتك من خلال
الغفران

جويس ماير



اصنع لنفسك معروفاً ... واغفر

جويس ماير



اصنع لنفسك معروفاً...

واغفر

تعلم كيف تتحكم في حياتك من خلال الغفران

تأليف

جويس ماير

Originally published in English under the title:
«Do Yourself a Favor... FORGIVE».

اصنع لنفسك معروفاً... واغفر

الناشر : خدمات جويس ماير

الترجمة : إيهاب فاروق

المطبعة : شركة الطباعة المصرية - ت: ٤١١٠٠٥٨٩

الطبعة : العربية الأولى ٢٠١٢

حقوق الطبع محفوظة

Arabic Edition Copyright © 2012 by PTW, Translators and Publishers.

All rights reserved. No portion of this book may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means-electronic, mechanical, photocopy, recording or any other- except for brief quotations in printed reviews, without prior permission of the publisher.

التوزيع:

P.T.W. للترجمة والنشر

تليفاكس : ٢١١٧٨٩٨٠ - ٢١١٧٨٩٨١ (٢٠٢) +



Prepare The Way
Translators & Publishers

E-mail: ptw@ptwegypt.com

www.ptwegypt.com

رقم الإيداع:

:ISBN

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب. أو أي جزء منه. أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقلها. أو استنساخه بأي شكل من الأشكال. دون إذن خطي مسبق من الناشر.

المحتويات

المقدمة	٥
١. هذا ليس عدلاً	٧
٢. مشاعر الغضب	١٥
٣. جذور الغضب	٢٣
٤. جذور الغيرة	٣٣
٥. إخفاء الغضب وراء القناع	٤٣
٦. مَنْ الذي يُغضبك؟	٥١
٧. ساعدني: أنا غاضب	٦٩
٨. ساعدني: أنا على علاقة بشخص غضوب	٧٧
٩. لماذا أغفر؟	٨٥
١٠. أريد أن أغفر، لكنني لا أعرف كيف!	٩٧
١١. البحث عن عدم الغفران المختبئ	١١٣
١٢. قوة وبركة الوحدة	١١٩
١٣. ارحمني يا الله	١٣١
١٤. خَفِّفْ حِمْلَكَ	١٤١
١٥. مكافأة الله	١٥١

مقدمة

جاء يسوع حتى نتمتع بغفران الخطايا ونسترد علاقتنا بالله من خلاله. إن نعمته المجانية في الخلاص هي نعمة جميلة ولا يمكن مقارنتها بشيء. وما يقدمه لنا الله بالجنان يتوقع منا أن نقدّمه للآخرين بالجنان أيضًا. وحيث إننا قبلنا غفران الله يمكننا أن نغفر نحن أيضًا لمن أذنبوا إلينا أو جرحونا بأية وسيلة. إن لم نغفر سنشعر بالبؤس وستستسلم نفوسنا بخبث المرارة. لقد تعلّمت أنني عندما أغفر لشخص أساء إليّ، فأنا في الواقع أعمل في نفسي معروفًا. وهذه المعلومة تسهل عليّ أن أغفر بسرعة وبالكامل. كنت أتمنى أن أقول إنني تعلّمت هذا المبدأ مبكرًا في حياتي ولم أضيّع وقتًا ثمينًا في عدم الغفران. لكنني لا أقدر أن أقول ذلك؛ فلقد استغرق الأمر مني عقودًا حتى أتعلّم ما أريد أن أشارككم به في هذا الكتاب.

من سوء الحظ أننا لا يمكن أن نعيش الحياة دون أن نتعرض للأذى. أو الجروح. أو الإساءة. تعلّمنا الخبرة أنّ الحياة مليئة بالظلم. لكن يمكننا أن نتحرر من ألم هذه الجروح بالتخلّي عنها والثقة بالله ليكون هو من يدافع عنا ويطبق العدل في حياتنا.

إنّ جذور عدم الغفران خطيرة جدًّا؛ فهي تنمو تحت السطح وتتمكن من أعماقنا. وهي غادرة؛ لأنها تقنعنا أنه بسبب تعرّضنا للأذى فإنه لا بد أن يتعرض أحدهم للعقاب. وأننا لن نقدر أن نشعر بالسعادة إلا عندما يُعاقب. نريد أن نرى تعويضًا عن الألم الذي احتملناه. لكن الله وحده هو القادر على التعويض. وهو سوف يعوّضنا إن وثقنا به وغفرنا لأعدائنا كما طلب منا.

أنا متأكدة أنّ كثيرين من سيقروا هذا الكتاب سيبدأون بالغضب في قلوبهم؛ فقد قام شخص ما بإيذائهم أو أصابتهم الحياة بخيبة أمل. أصلي أن تفتح قلوبهم لله وأن يروا الأهمية القصوى للحياة أحرارًا من أي نوع من المرارة. أو البغضة. أو عدم الغفران. أو الإساءة.

أنا أؤمن أنّ لدينا احتمالات كل أسبوع أن نتعرض للإساءة ونغضب. لكن المعرفة السليمة بإرادة الله ستعطينا الشجاعة أن نخضع الغضب ونستمتع بالحياة التي أعطانا الله إياها. إنّ استمرارك في الغضب من شخص تسبّب في إيذاك هو بمثابة ابتلاك للسّم على أمل أن يموت عدوك. إنّ عدم غفراننا للآخرين يؤذينا نحن أكثر ممّا يؤذي شخصًا آخر. الله لا يطلب منا أبدًا أن نقوم بعمل شيء

إلا إنْ كان في مصلحتنا في نهاية الأمر. لذا علينا الثقة به وأن نتعلم أن نغفر بإرادتنا.

أصلي أن تتعلم. أثناء قراءة هذا الكتاب. أنك عندما تتعامل مع الغضب بطريقةٍ صحيحةٍ وتغفر. فإنَّ مَنْ تعمل معه معروفًا هو أنت.

الفصل الأول

هذا ليس عدلاً

سوسنة، امرأة في الأربعين من عمرها، تربّت في مزرعة نائية في مدينة صغيرة بولاية تكساس. كان والداها فقيرين جداً، وكان دخلهما ضئيلاً، ولديهما ستة من الأبناء.

كانت سوسنة هي البنت الصغرى، وقد كان لميلها للتفاؤل، وملاحظها الجميلة، وذكاؤها غير المعتاد، دورٌ مفيد في حياتها منذ حداثتها. بعد أن أنهت دراستها الثانوية، أصبحت من أفضل مندوبات المبيعات؛ حيث عملت في شركة صغيرة لتصنيع الملابس، ثم ابتدأت مشروعاً خاصاً بها لتصنيع ملابس النساء. كانت تحب عملها، وقد كان يمدّها بإحساس تحقيق الذات والقيمة، فكرّست نفسها للعمل من كل قلبها، قابلت رجل أحلامها وتزوجته، ورزقا بطفلين. تقدمت بها السنوات، وكذلك تقدم مشروعها وكبر، وما أن وصلت لبداية الأربعينات من عمرها حتى كانت هي وزوجها يديران معاً شركة تُقدّر بملايين الدولارات.

تمتعت سوسنة وزوجها بكل ما يمكن للمال أن يوفره من بيتٍ رائع، وسيارات، ومراكب، وكوخ صيفي. كانا يسافران في إجازتهما لأماكن عديدة حول العالم. ذهبت بنتاهما إلى أفضل المدارس، وتمتعنا بصحبة أفضل الدوائر الاجتماعية. وما أن كبرت بنتاهما حتى استمتعنا بوظائف ناجحة وكانت لكلٍ منهما أسرة ناجحة. ورغم أنّ سوسنة وزوجها كانا يرتادان الكنيسة في المناسبات بدافع تأدية الواجب، إلا أنه لم تكن لهما علاقة شخصية بالله، ولا كانا يراعيان إرادة الله في أي قرار يتخذانه. وحتى علاقتهما الأسرية كانت سطحية أكثر منها عميقة وأمينّة وحميمة.

وذات يوم، حدث فجأة وبدون سابق إنذار، أن علمت سوسنة أن زوجها على علاقة غرامية بأخرى. وأن هذه لم تكن المرة الأولى له. شعرت سوسنة بالصدمة وبجرح عميق. ولم يكتفِ زوجها بكونه خائناً، لكنها علمت أيضاً أنه أدخل الشركة في ديون وأن جزءاً كبيراً من مال الشركة قد تم تبديده. لقد كان يأخذ الأموال من الشركة التي أسستها هي لينفق منها على صديقاته وحياته السرية.

سرعان ما انهار الزواج. وترك لها زوجها شركة غارقة في الديون وعلى شفا الانهيار، ثم حدث انهيار في الاقتصاد وهوت تجارة التجزئة، مما أدى إلى انهيار شركة سوسنة. وكان غضبها من زوجها، الذي كانت تلومه على كل شيء، يزداد يوماً. أجهت سوسنة لبناتها طلباً للتفاهم والتعزية، لكنهما رفضتاها بسبب تلك السنوات الطويلة التي كانت تعمل فيها كثيراً ولم تقض معهما الوقت الكافي. كانتا تشعران أيضاً أن جزءاً من اللوم على خيانة أبيهما يقع على عاتق حب أهمهما لعملها أكثر من أي شيء آخر في حياتها. كانتا مهتمتين بحياتيهما الخاصتين وأهملتا احتياجات والدتهما ومشكلتهما. تماماً كما كانت هي مشغولة عنهما عندما كانتا تحتاجانها. كانت سوسنة تفتقر للمساندة، لكنها لم جد من يقدمها لها.

أجهت لأختها، لكن هل تصدق أنها كانت تتشقى في حزن سوسنة؟ كانت الأخت ترى أن سنوات نجاح سوسنة و«حياتها المريحة» جعلتها أنانيةً وغير مبالية بالآخرين. كان الشق الفاصل بين الأختين كبيراً. ولم تكلما بعضهما حتى الآن، منذ ثمان سنوات.

لا تتصل الابنتان بأبهما أو تدعوانها للزيارة، على الرغم من تربيتهما المهذبة. امتلأت سوسنة بالمرارة الشديدة واللوم الشديد لكل الناس عمّا ألمّ بها من يؤس. لم تفكر مرةً أن جزءاً من المشكلة قد يكون ذنبها هي، ولم تفكر مرةً في الغفران للآخرين أو طلب الغفران لنفسها.

إنها غاضبة من زوجها السابق. ومن نفسها؛ لأنها لم تكن ترى زواجها وعملها يهويان أمام عينيها. وهي غاضبة من ابنتيهما لأنهما لم تقدما لها المزيد. وهي غاضبة من الله لأن حياتها أصبحت بائسةً.

وَمَنْ يَسْتَطِيعُ أَلَّا يَغْضَبَ؟

إنَّ أغلب الناس في موقف كهذا يغضبون. لكنهم ما كانوا ليغضبوا لو فهموا محبة الله. وأنه قد دَبَّرَ لهم سُلْماً مَخْرَجاً لهذا النوع من البؤس. إنَّ عدد مَنْ دَمَّرَ الغضبُ وعدَمَ الغفران حياتهم هو عددٌ مَذْهِلٌ. بعضهم لا يدري ماذا يفعل غير ذلك. لكن الكثيرين منهم مسيحيون يعرفون ما هو أفضل من ذلك. إلا أنهم غير مستعدين أن يتَّخذوا الاختيارَ الصحيح؛ فهم يعيشون بِمُقْتَضَى مشاعرهم. بدلاً من أن يَسْمُوا فوقها ويفعلوا الشيءَ الأفضل. ويحبسون أنفسهم في سجن المشاعر السلبية ويعرجون في الحياة بدلاً من أن يعيشوها بملئها وحيويتها. نعم. أغلب الناس سيعضبون. لكن هناك طريقاً أفضل: فهم يستطيعون أن يعملوا في أنفسهم معروفاً ويغفروا. يمكنهم أن يتخلَّصوا من الإحباط ويعيدوا أملهم في الرب. يمكنهم أن يتطلعوا للمستقبل بدلاً من النظر للماضي. يمكنهم أن يتعلموا من أخطائهم ويحاولوا ألا يكرروها مجدداً. بالرغم من أنَّ أغلبنا لا يجد نفسه في مثل هذه الظروف القاسية التي مرَّت بها سوسنة. فإن الأمور التي تغضبنا لا تنتهي: كلب الجيران. الضرائب الحكومية. عدم الحصول على العلاوة التي نتوقعها. المرور الزوج الذي يترك جواربه وملابسه الداخلية على أرضية الحمام. أو الأطفال الذين لا يُقَدِّرون ما نعمله من أجلهم. ثم هناك مَنْ يقولون لنا أقوالاً شريرةً ولا يعتذرون. الأبناء الذين لم يظهروا شفقةً. الإخوة الذين تمنعوا بأفضلية. الاتهامات الباطلة. وتستمر القائمة في تصاعد لا ينتهي من الاحتمالات التي تجعلك إما أن تغضب أو أن تغفر. إنَّ رد فعلنا الطبيعي هو الحزن. الشعور بالإساءة. المرارة. وعدم الغفران. لكن من الذي يتأذى عندما يربي هذه المشاعر السلبية؟ هل هو الشخص الذي ارتكب الإساءة؟ أحياناً. يشعر الناس بالأذى عندما يُبْقِهم بعيدين عنا بالغضب. لكنهم في الأغلب لا يدرون بغضبنا أو يهتمون به! نحن نسير في الحياة مشغولين بحزننا. ونعيد مشهد الإساءة في أذهاننا مرات ومرات. كم من وقتٍ قضيناه متخيلاً ما كنتُ تود أن تقوله للشخص الذي أغضبك. وأنت لا تفعل شيئاً سوى زيادة أحزانك؟! عندما ندع أنفسنا نعمل هذا. فإننا في الواقع نوذي أنفسنا أكثر مما نوذي من أساء إلينا. أظهرت الدراسات الطبية أنَّ الغضب يمكنه أن يتسبب في أي شيء. من القرحة حتى المزاج السيئ. أقل ما يمكن أن نقوله إنه تضيقٌ لوقتٍ ثمين. كل ساعة نقضيها في الغضب هي ساعة استهلكناها ولن ترجع ثانية. في حالة

سوسنة وعائلتها. فقد أضاعوا سنوات. فكّر فقط في أوقات الصحبة التي ضاعت عليهم بسبب الغضب الحادث بينهم. إنّ الحياة أمرٌ لا يمكن التنبؤ به؛ فنحن لا نعرف كم من الوقت تبقّى لنا مع أحبائنا. يا له من عار أن نحرم أنفسنا من الذكريات والعلاقات الجميلة بسبب الغضب! أنا أيضاً أضعت سنوات في الغضب والمرارة بسبب ما تعرضتُ له من ظلمٍ في صغري. لقد أثر اتجاه قلبي عليّ بأشكالٍ سلبيةٍ عديدة. وقد أثر ذلك على عائلتي. غالباً ما يُلقى الغاضبون غضبهم على شخصٍ ما لأنّ ما بداخلنا يخرج منا. قد نعتقد أننا نستطيع إخفاء الغضب عن أي شخص. لكنه يجد طريقه ليعبر عن نفسه في النهاية. إنّ الأمور التي حدثت لنا هي في الأغلب أمورٌ ظالمة. لكن الله سيعوّضنا. إنّ وثقنا به وأطعناه. الرغبة في الانتقام هي رغبةٌ طبيعية. لكن لا يمكننا أن نضطلع نحن بها. نحن نرغب أن نرى تعويضاً عمّا لحق بنا من ضرر. والله يّعِدنا أن يفعل هذا.

"فَإِنَّا نَعْرِفُ الَّذِي قَالَ: «لِيَ الْإِنْتِقَامُ. [عندي العقاب والعدالة الكاملة] أَنَا أَجَارِي. [أعوض] يَقُولُ الرَّبُّ». وَأَيْضًا: «الرَّبُّ يَدِينُ [يحدد ويحل مشاكل] سَعْبَهُ»"

(عبرانيين ١٠: ٣٠).

هذه الآية. وآيات أخرى مثلها. شجّعني كثيراً أن أتخلّص من غضبي ومرارتي وأطلب من الله أن يعوّضني بطريقته هو. وأنا أشجّعك بقوة أن تأخذ نفس قفزة الإيمان في أي وقت تشعر فيه بأنك تلقيتَ معاملةً غير عادلة. إنّ مَنْ يجب أن نقدم لهم الغفران لا يستحقونه وأحياناً لا يريدونه. ربما لا يعلمون أنهم تسبّبوا في إيذائنا. أو لا يهتمون. ومع ذلك يطلب الله منا أن نغفر لهم. قد يبدو هذا الأمرُ ظالماً جداً إلا أنّ هذا هو ما فعله الله معنا وهو يطالبنا أن نفعل نفس هذا الأمر مع الآخرين؛ إنه يسامحنا مراراً عديدةً وهو مستمرٌّ في محبتنا بلا شروط.

من الأمور التي تساعدني أن أغفر. هو أنني أستغل الوقت في تدكّر كل الأخطاء التي ارتكبتها واحتجّت فيها - فضلاً عن غفران الله - لغفران الناس أيضاً. كان زوجي كرمًا ورحيمًا معي طيلة السنوات التي كنتُ أتعافى فيها من صدمة التحرش التي مررتُ بها في طفولتي. كان معتقدي هو «مَنْ يتعرض للآلم يتسبّب في الآلم للآخرين». أعلم أنني تسببتُ في الأذى لعائلتي ولم أكن قادرةً على

إقامة علاقاتٍ سليمةٍ. لكنني لم أكن بالطبع أتعهد ذلك. لقد كان هذا نتيجة ألي وجهلي. لقد تعرضتُ للآذى. وكان كل ما بذهني هو نفسي. كنتُ أتألم، فتسببتُ في ألم الآخرين. كنتُ أفتقر فعلاً إلى الفهم السليم، إلى المواجهة في الوقت المناسب، والكثير من الغفران. وقد عمل الله لي ذلك من خلال ديف. وأحاول الآن تذكير نفسي بأنَّ الله كان يريد أن يعمل من خلالي نفس العمل من أجل آخرين. هل احتجتُ قبلاً للغفران. سواء من الناس أو من الله؟ أنا متأكدة أنك احتجتَه. تذكّر هذه الأوقات، وسوف تمكّنك من أن تغفر عندما يجب ذلك.

من فضلك، اترك غضبك عند الباب

هل سبق لك أن شاهدت فيلماً سينمائيًا قديمًا من أفلام الغرب الأمريكي؛ حيث كانوا يطلبون من رعاة البقر أن يتركوا أسلحتهم قبل دخولهم الحانة؟ أنا شاهدتها. وهذا مَثَلٌ جيدٌ نستطيع أن نستخدمه ونحن نفكر في الغضب. إنَّ الغضب كالسلاح الذي نحمله معنا حتى نتمكن أن نجلد من يبدو وكأنه يوشك على أن يؤذينا. كما كان يمكن لراعي البقر أن يسحب سلاحه ليدافع عن نفسه، إلا إذا تركه عند الباب، فنحن أيضًا نسحب الغضب لدفاع عن أنفسنا دائمًا. فلنكتسب عادة أن نترك دائمًا غضبنا عند الباب قبل أن ندخل إلى مكان ما. فلنرفض أن نأخذ معنا عندما نخرج ونبدأ يومنا. فلنقل باستمرار: «سأخرج اليوم بدون الغضب. سأخذ معي الحب، والرحمة، والغفران، وسأكون كريمًا في تقديم هذه الأمور عندما يحتاجها أحد».

لقد وجدتُ أنَّ التحدُّث لنفسي أمرٌ مفيد. أستطيع أن أقنع نفسي بالدخول في أمور ما أو الخروج منها. أستطيع أن أقنع نفسي بأن أغضب أو أن أنقلب على الغضب. تعلّم أن تتفاهم مع نفسك. قلّ لنفسك: «إنَّ البقاء غاضبًا هو مضيعة للوقت، وهو أمر لا يُرضي الله، لذا سأتخلّى عنه بإرادتي». أنا أدكّر نفسي أنني أحسن الصنيع لنفسي عندما أقرر أن أقبل السلام وأرفض الغضب.

قد لا نشعر أننا نقوم بالعمل الصائب، لكن يمكننا أن نحيا لرضي الله أو نحيا لرضي ذاتنا. إنَّ اخترنا أن نرضي الله، سنقوم بعمل أمور كثيرة عكس رغبات ذاتنا. كلنا لدينا مشاعر. لكننا أكبر بكثير من مجرد مشاعرنا. إنَّ لدينا أيضًا إرادة حرة ويمكننا أن نقرر عمل ما نراه لفائدتنا.

الغضب أمر قوي ومدمر

الغضب هو السخط. والثأر. والحقن؛ فهو يبدأ كإحساس ثم يتطوّر ليظهر في الكلام والتصرفات إن لم نتخلّ عنه. إنه من أقوى الأحاسيس وهو شديد التدمير. تعلّمنا كلمة الله أنّ علينا أن نتحكّم في الغضب لأنه لا يصنع ير الله (يعقوب ١: ٢٠).

لقد أمرنا الله أن نكون متمهلين في الغضب. عندما نشعر أننا قد بدأنا في الغليان من الغضب. يجب أن نضع غطاءً عليه. يمكننا أن نُقلّب أنفسنا ونزيد مشاكلنا سوءًا بتفكيرنا فيها وكلامنا عنها. وهو ما يساوي تغذيتها. أو يمكننا أن نفعل شيئًا ما حيال مشاعرنا فور أن تبدأ في الثورة. كن قويًا مع الشعور بالغضب وقل: «أرفض أن أبقى غاضبًا. أرفض أن أقبل الشعور بالإساءة. لقد وهبني الله ضبط النفس. وسأستخدمه».

حكى لي أحدهم قصةً عن راعي كنيسة دعا متكلّمًا زائرًا لكنيسته. كان الراعي جالسًا في الصفوف الأمامية للكنيسة يستمع للمتكلّم. ولم يكن المتكلّم حكيمًا عندما تكلم عن بعض الأمور السلبية في طريقة تعامل الراعي مع شؤون كنيسته؛ كان يريد أن يعطي تعليمًا عامًا وأنا واثقة أنه لم يكن يقصد إهانة أحد. لكن كلماته كانت محرّجة وقاسية. وبينما كان المتكلّم يعظ. كان الراعي يهمس لنفسه بهذه الكلمات: «لن أقبل الشعور بالإساءة. لن أقبل الشعور بالإساءة». كان خادمًا متقدمًا في السن لديه حكمة أكبر مما للمتكلّم. كان مدركًا لحماس المتكلّم. لكنه كان يعلم أيضًا أنّ المتكلّم يفتقر للمعرفة. لقد رفض الراعي أن يدع كلمات ضيفه تجعله يشعر بالإساءة.

أنا أعلم هذا الشعور لأنني أقدم برامج تليفزيونية أشارك فيها بإيجال المسيح. وأستمع لأناس آخرين في مجال الخدمة لا يخدمون في التليفزيون وهم يعلقون تعليقات سلبية عن «واعظي التليفزيون» وهذا هو اللقب غير المحبوب الذي يستخدمونه لوصف من دعاهم الرب للخدمة في وسائل الإعلام.

من السهل أن تُدين الآخرين إن لم تُجرّب ما مروا به. وعندما أستمع لأناس يقولون تعليقات غير طيبة. أحاول أن أتذكر أنهم يتكلمون عن أمور لا يدرون عنها شيئًا. يقول الناس كلامًا مثل: «واعظو التليفزيون هؤلاء لا يقومون بأي شيء لبنيان الكنيسة: إنهم يظهرون ليخدموا أنفسهم ولا يفكرون في ملكوت الله». بالتأكيد. هناك أشخاص في كلّ مهنة لهم دوافع غير طاهرة. لكن أن نوسم كلّ من في هذه الفئة هو شيء خاطئ تمامًا ولا يتفق مع كلمة الله. عندما أسمع

أمورًا كهذه. أو أعرف أنّ شخصًا يقول ذلك. أقرر ألا أقبل الشعور بالإساءة. لأن هذا لن يغير شيئًا وبالتأكيد لن يفيدني خيرًا.

عندما أدعو الناس من خلال التليفزيون ليقبلوا المسيح. تستقبل خدمتنا استجاباتٍ رائعة. نرسل لهم كتابًا يطلب منهم أن يشتركوا في كنيسةٍ محلية. لكن هذا الأمر قد لا يعرفه من ينتقدنا. لقد اتخذت عهدًا أن أعمل ما أعرف أن الله دعاني لأعمله وألا أفلق من المنتقدين. لأنهم ليسوا هم من سيحاسبني عند انتهاء حياتي. بل الله وحده.

من السهل أن ننتقد الآخرين. معتقدين أننا نعلم «القصة بأكملها». لكننا لا نعرف هذا حقًا؛ فهذا أمر خاص بالله. أنا متأكدة أن لديك أمثلة على هذا الأمر خاصة بك. وأفضل ما يمكنك عمله هو أن تصلي من أجل الشخص الذي تسبب لك في الأذى بكلماته. واتخذ قرارًا ألا تقبل الشعور بالإساءة. اتخذ قرارًا بأن تحبس الظن به. يجب علينا جميعًا أن نصلي ألا نؤذي الآخرين أو نجعلهم يشعرون بالإساءة بسبب كلماتنا.

الفصل الثاني

مشاعر الغضب

إنَّ من يعيشون بدون الله في حياتهم لا يُقلقهم إحساسُ الغضب. بل قد يرون أنَّ الغضب هو الطريقة المثلى لحل الأمور أو طريقتهم للحصول على ما يرغبون. ينزعج المسيحيون المؤمنون من الغضب. وغالبًا ما يُربكهم. بصفتنا أشخاص ننتهي لله، نعتقد أننا كمؤمنين، لا ينبغي أن نغضب. ثم نشعر بالذنب إن مررنا بإحساس الغضب. ونتساءل: «لماذا نشعر بالغضب؟» وهو في الواقع أمر لا نريده مطلقًا.

لقد درستُ كلمة الله بجدِّية لمدة ٣٥ سنة. وأقول لكم إنني لا أحب أن أغضب. لقد عملتُ جاهدةً مع الروح القدس على مدار السنين حتى أتعلَّم كيف أتغلب على الغضب وأحكم به. أنا أحب السلام وأسعى وراء الوحدة في علاقاتي. أكره الخلافات! ومع ذلك، وجدتُ نفسي منذ وقتٍ قريب أغضب بطريقةٍ لم أختبرها من مدةٍ طويلةٍ جدًا.

يمكن للمشاعر أن تنفجر سريعًا. ليس من المطلوب منا ألا نخبر هذه المشاعر. لكن المطلوب منا هو ألا ندعها تتحكَّم فينا. لا تقول كلمة الله إنَّ الشعور بالغضب خطيئة. لكن الغضب يكون خطيئةً حين لا نتحكَّم فيه بالطريقة السليمة أو حين نتمسك به. يوصينا الرسول بولس ألا ندع الشمس تغيب على غيظنا (أف ٤: ٢٦ - ٢٧). وهذا يخبرنا إنَّ الناس يمكنهم أن يختبروا إحساس الغضب. لكن لمدةٍ قصيرةٍ حتى يمكنهم التخلي عنه. يتطلب هذا الأمر بالنسبة لي الصلاة. وأن أأخذ قرارًا يتخطى مشاعري.

منذ وقتٍ ليس ببعيد، كنتُ أتكلَّم مع عمتي بالتليفون. وقد كنتُ أنا وزوجي ديف نغولها ماليًا في السنوات السابقة؛ حيث إنها أرملة ودخلها لا يكفي

لإعالتها بالطريقة اللائقة. كنتُ أنا المسؤولة عنها قانونيًا. حتى أنه في أي وقتٍ خُتاج إلى رعايةٍ طبيّةٍ يتّصلون بي من مركز الرعاية الصحية الذي تقيم فيه حتى أتواجد في أي طوارئٍ صحيّة. كنتُ أرغب أن تُضاف ابنتي لللائحة الناس المسؤولين قانونيًا عن عمتي حتى تتخذ القرارات لعمتي. وذلك حتى يتم الاعتناء بطلبات عمتي الصحية حين أكون خارج البلاد. أرسلتُ ابنتي للدار الذي تقيم فيه عمتي ومعها ورقة حتى توقّع عليها عمتي. فوجدناها عدائيةً ورفضت التوقيع. عندما أبلغتني ابنتي بهذا الأمر. على الفور وبلا أية رويةٍ غضبتُ جدًّا حتى كدتُ أنفجر. كنتُ أتوقع من عمتي أن تثق فيّ وتعمل ما طلبتهُ منها. فاتصلتُ بها وقلتُ لها ما كان بخاطري. وذكّرتها بكلّ ما عملتهُ من أجلها وإنني لم يعجبني تصرفها الأثاني هذا. كنا كلانا نمتلئ بالغضب وقلنا أمورًا كثيرةً ما كان يجب أن تُقال.

وللأمانة. كنتُ أشعر أنّ لي الحق في أن أغضب. وكان هذا خطأً. إنّ تبريري لما كنتُ أشعر به جعلني أتمسك به لثلاثة أيام. وكنتُ أريدُها أن تتصل هي بي وتعتذر. لكنها لم تفعل ذلك. في هذه الثلاثة أيام. أخبرتُ الكثيرين من عائلتي وإحدى صديقاتي عمّا حدث. معبّرةً عن رأيي أنّ سلوك عمتي هذا كان يتّصف بالأنانية. وبالطبع كان هذا خطأً أيضًا: حيث إنّ كلمة الله تعلّمنا ألا نعمل أمرًا يؤذي سمعة شخصٍ آخر. ولا أن نسلك بالنميمة أو نغتاب أحداً. في كل مرةٍ كنتُ أحكي فيها ما حدث. كان غضبي يشتعل أكثر ويزداد سخونةً عما سبق. وأقول بأمانةٍ إنّني لا أتذكر مرةً كنتُ فيها بهذا الكمّ من الغضب منذ سنواتٍ طويلةٍ. ماذا حدث؟ أولاً. كنتُ مُتعبّةً عندما حدث هذا الموقف. وأدرك الآن أنني تصرفتُ بتسرّع بشأن رد عمتي على طلبي. ولأنني كنتُ مُتعبّةً. لم أقض وقتًا كافيًا في تفسير ما يدور برأسي لعمتي. ما فتح الباب لسوء الفهم. ولم أكن مُتعبّةً فقط. لكنني كنتُ منشغلةً بتسديد الكثير من الاحتياجات الأساسية لعمتي والدتي في الأسابيع السابقة لهذا الموقف. وكنتُ أشعر بضغوط وأنطلع لطريقةٍ تُسهّل عليّ الوضع.

في صباح اليوم الرابع بعد ما حدث بيني وبين عمتي. أدركتُ أنّ الغضب الذي شعرتُ به كان يعيق علاقتي الحميمة بالله ويمعني من دراسة كلمة الله بطريقةٍ سليمةٍ. ظللتُ أفكر في الموقف ولم أستطع أن أنزع من مخيلتي. وهذا ما يحدث معي عادةً حتى أواجه الأمور الصعبة وأصل فيها لحلٍّ. بدأتُ أشعر أنّ الله أرادني أن أتصل بها وأعتذر. وأنا أعترف أنني لم أكن أريدُ أن ألبي هذا الطلب. وكلما فتح قلب لي لله أكثر. أدركتُ بوضوحٍ أكثر وجهةً نظر عمتي فيما حدث: إنها في الرابعة والثمانين من عمرها وتشعر بفقدان استقلاليتها بسهولة.

وهو أمرٌ يمكن تَفَهُُّهم صعوبته عليها. من وجهة نظرها هي. ربما تكون قد فوجئت من تَغْيَرِ الظروف؛ فقد وجدتني فجأة أرسل لها أوراقًا لتوقعها جَعَل ابنتي هي المسؤولة عن صحتها إن كنتُ خارج البلاد. دون أن أفسّر لها معنى هذا بالتدقيق. بعد أن انتظرتُ ساعات قليلة حتى أَتَغَلَّب على خوفي من المكالمات. اتصلتُ بها أخيرًا وقلتُ لها إني أعتذر عن غضبي. وكانت مفاجأة سعيدة بالنسبة لي أنها اعتذرت لي هي أيضًا؛ حيث إنها تصرّفت بطريقَةٍ سيئَةٍ لأنها شعرت بارتباك. وفي دقيقتين تم حل المسألة ورجع لي سلامي. وهي كذلك.

بعد هذا الموقف. أدركتُ أنه كان يمكنني. بل كان يجب عليّ. أن أتعامل مع الموقف بحكمة أكبر واهتمام أكبر بمشاعرها. فتبتُّ أمام الله من قلبي. ليس فقط على بقائي غاضبةً لثلاثة أيام. لكن أيضًا على نيمتي في هذا الأمر أمام أشخاص آخرين.

أردتُ أن أشارككم بهذا الموقف حتى تروا أنَّ الغضبَ يمكنه أن يحدث بسرعة. مهما كنا «قدسين». فنحن لسنا أكبر من الوقوع في فخ الغضب. أشعر بالندم لأنني أبقيتُ الأمرَ لثلاثة أيام. لكنني سعيدةٌ بأنني لم أجعل الأمرَ يتطوّر ليكون جذورًا لمرارة في حياتي ويستمر في تسميم نفسي.

الرب بطيء الغضب. وعلينا أن نكون مثله. الرب يكتُم غضبه. وهذا يعني ضبط النفس. «وَكثِيرًا مَا رَدَّ غَضَبُهُ وَلَمْ يُشْعِلْ كُلَّ سَخَطِهِ» (مز ٧٨: ٣٨). «رَدَّ غَضَبَهُ» تعني أنه خكّم فيه. لا ننس أن ضبط النفس هو من ثمار الروح. إنه من صفات شخصية الله التي شاركنا بها. هناك الكثير من الأحداث في الكتاب المقدس التي نرى فيها الإنسان يثير غضبَ الله. لكن الله تمالك نفسه. وفي الموقف الذي دار بيني وبين عمتي. استغرق الأمرُ مني أربعة أيام حتى أتمالك نفسي. وهذا أمرٌ لا أفتخر به.

يجب أن تكون رغبتنا دائمًا هي أن نكون متشبّهين بالله أكثر في سلوكنا. إليكم مثالاً لتقتدوا به:

«أَبَاؤُنَا فِي مِصْرَ لَمْ يَفْهَمُوا عَجَائِكَ [بإخلاص]. لَمْ يَذْكُرُوا
كَثْرَةَ مَرَاحِمِكَ [في قلوبهم] فَتَمَرَّدُوا عِنْدَ الْبَحْرِ عِنْدَ بَحْرِ
سُوفٍ. فَخَلَّصَهُمْ مِنْ أَجْلِ اسْمِهِ [لِيُثَبِّت قُدَاسَةَ شَخْصِيَّتِهِ
الِإِلَهِيَّةِ] لِيُعَرَّفَ بِجَبَرُوتِهِ»

(مرزمور ١٠٦: ٧-٨).

بالرغم من أنَّ بني إسرائيل تمردوا واستحقوا العقاب. إلا أنَّ الله سامحهم وأظهر لهم أنَّ الرحمة صفة من طبيعته. بمعنى آخر. الله محبة. وهو أمرٌ غير قابل للتشغيل والإيقاف. إن الله هو هو دائماً. ولا يسمح لتصرُّفات الآخرين أن تغيِّره. لقد سمحتُ لتصرفات عمتي أن تغيِّرني بسرعةٍ. ولو كنتُ صرفتُ وقتاً لأفكر قبل أن أتصرف. لكان الموقف مختلفاً تماماً. لقد تصرفتُ بناءً على مشاعري. بدلاً من التصرف على أساس كلمة الله وأتباع مثاله. لقد قمتُ بمثل هذه التصرفات في مواقف كثيرةٍ لعدة سنوات. كان الغضبُ أمراً يحدث يومياً حتى قررتُ أن أدع الله يغيِّرني.

في الفصل القادم. سأناقش كيف واجه ديف سلوكي السيئ دون أن يسيء معاملتي. إنَّ صفة الثبات والاستعداد الدائم لإظهار المحبة لي كانت من الأسباب الرئيسية لرغبتني في تغيير سلوكي السيئ؛ لو كان ديف قرَّر أن يغضب ويصبح فيّ. ويتهمني. ويهدِّدني بفقدان العلاقة. ما كنتُ لأتغيَّر أبداً. وصلتُ لوقتٍ في حياتي كنتُ أحتاج فيه بشدة أن أرى الحبَّ بشكل عملي. وقد أظهر ديف لي ذلك. أحياناً لا تكون الكلمات كافيةً. إن النطق بكلمات الحب هو أمرٌ شائع في مجتمعنا. لقد كان والدي - الذي خرَّش بي جنسياً - يقول لي إنه يحبُّني. وكانت والدتي - التي تخلَّت عني - تقول لي إنها تحبُّني. كان أصدقاؤني - الذين كذبوا عليّ - يقولون لي إنهم يحبُّونني. ففقدتُ الكلمات معناها بالنسبة لي. لم يكتفِ ديف بأن يقول لي إنه يحبني. بل أظهر لي نوعية المحبة التي يريد الله أن نقدمها للآخرين. محبة الله نفسه!

الغضب الخارج عن السيطرة

يمكن للغضب الخارج عن السيطرة أن يتحوَّل لثورةٍ عارمةٍ. الثورة العارمة أمر خطير. في هذه الحالة. يقول الناس ويفعلون كلَّ الأمور التي يمكنها أن تقلب مسار حياتهم. هل سمعتُ من قبل أحداً يقول: «كنتُ غاضباً حتى أنني لم أقدر أن أرى بشكل سليم»؟ كان هذا ما شعرتُ به حين غضبتُ من عمتي. أدرك الآن أنَّ ما شعرتُ به من غضب كان أكبر مما يستحقه الموقف. أعتقد أنني سمحتُ لبعض الاستياء أن يتراكم داخلي وكان يجب التخلص منه. وكان ما حدث مع عمتي هو القشة التي قصمت ظهر البعير. إنَّ صح القول.

عندما نختبر غضب الآخرين موجَّهًا نحونا، فغالبًا ما ينطوي غضبهم على ما هو أكثر من الموقف الرَّاهن. قد تكون راكبًا سيارتك ووجد شخصًا في ثورة غضبه لأنك لم تعطه الإشارة المناسبة. غضبه هذا أكبر من حجم الإساءة التي تعرَّض لها. لقد ارتكبت خطأ بسيطًا فإذ به يغضب جدًّا حتى أنه يجرحك. ولكن رغم أن غضبه موجَّه نحوك، إلا أنه ليس بسببك إطلاقًا. إنه تراكم لما يمكن أن يكون سنوات من المشاكل التي لم يتم حلها في حياته. نستمع كثيرًا هذه الأيام في الأخبار عن شخص مسلَّح دخل مبنى وأطلق النار على أشخاص مختلفين. ما أدى لقتل البعض وإصابة البعض الآخر. في ثورة غضبه، بدأ هذا الشخص في إطلاق النار على أناس لا يعرفهم. لماذا؟ لقد تراكم غضبه ووصل إلى حالة الخروج عن السيطرة.

كم عدد الموجودين في السجن حاليًا لأنهم قتلوا شخصًا آخر في ثورة غضبهم؟ كم عدد الذين دمروا علاقاتهم بسبب كلام فظيع ومؤذٍ قالوه في ثورة غضبهم؟ كم من الناس كانوا سيحظون بحياة أفضل الآن لو كانوا تعلَّموا كيف يتعاملون مع مشاعر الغضب بشكل سليم؟

إنَّ أقوى فعل مذهل كان نتيجةً لثورة الغضب هو ما عمله اليهود مع يسوع عندما قرروا أن يصلبوه وهو مَنْ أتى ليخلصهم ولم يعمل أيَّ خطأ. إن هذا الظلم هو الأفظع في التاريخ. ولكن الله غفر لهم. ودبر خطةً لعدائنا واستردانا بالكامل. محبة مذهلة!

إنَّ السبيل الوحيد لتجنُّب ثورة الغضب هو أن تُعد حتى ١٠٠ عندما تغضب. أو ١٠٠٠. أو إلى أي حدٍّ تحتاجه حتى تهدأ. اعمل ذلك قبل أن تقول أيَّ شيء أو تتصرف أيَّ تصرف. «اجعل المشاعر تتنحى ثم اتَّخذ قرارك».

لا تضيع طاقتك العاطفية في الغضب

إنَّ الغضب يستهلك كمًّا كبيرًا من الطاقة. هل لاحظتَ قبلاً كم تكون متعبًا بعد ثورة غضبك؟ أنا لاحظتُ ذلك. وفي عمري هذا أدركتُ أنه لا وقت لديَّ لأضيعه من حياتي. إنَّ الغضب خسارة ولا يفيدك إلا عندما يكون غضبًا مقدسًا. وهذا موضوع آخر نتعامل معه في فصل آخر. لقد تعلَّمتُ أنني حين أغضب جدًّا أحتاج وقتًا كبيرًا لأهدأ. وأدركتُ أخيرًا أنه من الأفضل أن أستخدم طاقتي في التحكم في غضبي من البداية بدلًا من استنفاد كل طاقتي في الغضب ثم

محاولة الهدوء من جديد. إليكم نصيحة جيدة: إنْ اختلفت مع أحدهم، اتركه بين يدي الله. اطلب من الله أن يكشف مَنْ الْحَقَّ وَمَنْ الْخَطِيءُ. وكن مستعداً لمواجهة الحقيقة إنْ قال لك الله إنك أنت المخطئ.

لسنوات عديدة، أهدرت طاقتي في الجدال مع ديف بشأن أمورٍ تافهة لم تكن تشكّل أيّ اختلاف حقيقي. غير أنني كنت أرغب أن أكون أنا المُحقّة. لكن المحبة تتخلّى عن حقوقها لتكون على حق (١ كو ١٣: ٥). ليس معنى أن تكون محقاً أن تستشيط غضباً لتثبت ذلك. إن الطاقة التي نضيّعها في محاولة إثبات أننا على حق هي طاقة موضوعة في مكان غير صحيح في أغلب الأوقات. فحين جادلنا مع ديف لمدة طويلة حتى جعلته يقول: «أنت على حق» فإنني لم أفز حقاً؛ لأنني خيبت أمل الله فيّ بتصرفي هذا ولم أكن قدوة حسنة لمن هم حولي.

إنّ السلام يعطينا قوة، لكن الغضب يُضعفنا. دعونا نختار أن نتبع السلام مع الله. ومع أنفسنا. ومع الإنسان.

«لأنّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُحِبَّ الْحَيَاةَ وَيَبْرَى أَبَامًا صَالِحَةً [سواء رأى هذه الأيام أو لا]. فَلْيَكْفُمْ لِسَانُهُ عَنِ السَّرِّ وَسَقَتِيهِ أَنْ تَنَكَّلَمَا بِالْكُفْرِ [الغدر، الخداع]. لِيُعْرَضَ عَنِ السَّرِّ وَيَصْنَعَ الْخَيْرَ لِيَطْلُبَ السَّلَامَ [الانسجام، عدم الانزعاج بالخوف، المشاعر المتهيجة، والمشاكل الأخلاقية] وَيَجِدَ فِي أَثَرِهِ. [لا تكتفِ بمجرد الرغبة في السلام في علاقتك بالله. وبالأخرين. ومع نفسك. بل اتبعه. اركض وراءه!]

(١ بطرس ٣: ١٠-١١).

أتمنى أن تكون قد قضيت وقتاً في قراءة الآيات السابقة. لقد جعلتني هذه الآيات أرى أخيراً أنني لا أقدر أن أكتفي بالصلاة من أجل السلام، لكن لا بد أن أطلبه. وأسعى وراءه. وأركض وراءه من كل قلبي. كان لا بد أن أكون مستعدة لإجراء تعديلات والتأقلم مع الآخرين حتى أتمتع بالسلام. كان لا بد أيضاً أن أكون مستعدة للتواضع كما فعلت في ذلك اليوم حين اتصلت بعمتي لأعتذر لها. إن أردت السلام حقاً.

ما هي قيمة السلام بالنسبة لك؟ إن لم تعتبر أنَّ له قيمةً ثمينةً، لن تقوم بما يجب عليك عمله حتى تتمتع به. إنَّ التحكُّم في غضبك وتعلُّم السخاء في الغفران والإسراع به هي من متطلبات الحصول على السلام. لكن الاستعداد دائمًا أن تضحي برغباتك، خصوصًا رغبتك في أن تكون على حق، هي أيضًا من المتطلبات اليومية للتمتع بالسلام الذي أعطانا الله إياه في يسوع المسيح. لقد اكتشف أنَّ الله أفضل مني في استرداد حقي مما لو حاولتُ أنا أن أنتقم لنفسي. دع الله يكون السيد على حياتك، وستستمتع بسلام أكبر أيضًا.

لا يجب أن يتحكم فيك الشعور بالغضب. سيكون هذا الشعور متواجدًا بقربك دائمًا يبحث عن فرصةٍ ليطل برأسه القبيح. لكن عن طريق قيادة الروح القدس، والصلاة، وضبط النفس، يمكننا ألا ندعن له. تقول كلمة الله إن الله يعطينا القوة أن نملك وسط أعدائنا، وبالنسبة لي أنا، فالغضب هو عدو في حياتي أرفض أن أخضع له. اعمل في نفسك خدمةً، تخلص من الغضب. تخطاه، وتمتع بسلام الله.

الفصل الثالث

جذور الغضب

هناك أشياء تُغضبنا. لكن هناك أشخاصًا لا يغضبون من شيءٍ محدد؛ فهم غاضبون فحسب. أحيانًا لا نعلم من أين يأتي غضبنا. لقد قابلتُ أكثر من شخص يقول لي: «أنا أغضب كثيرًا ولا أعلم السبب وراء ذلك... ماذا أصابني؟» هناك جذور للغضب في مكان ما، وبالصلاة، وبعض التنقيب، والكثير من مواجهة الحقيقة، عادةً ما يخرج الغضب للسطح. لقد وجدتُ أنَّ الله عادةً يكشف لي عن مشكلتي الحقيقية إنَّ طلبتُ منه ذلك. وما يعلنه لي الله لا يكون بالضرورة هو ما أريد أن أسمع. خصوصًا إنَّ أعلن لي أنني أنا سبب المشكلة، لكنه يريد أن نواجه الحقيقة في إنساننا الداخلي ونجعل الحقَّ يحررنا.

حتى بلغتُ منتصف العمر، كنتُ أعاني من مشاكل مع الغضب. إنَّ لم أحصل على ما أريده، كان غضبي يشتعل سريعًا؛ وذلك لأنني اعتدتُ أن أرى أبي يتصرف بنفس الطريقة. غالبًا ما ينحدر الغاضبون من عائلاتٍ غاضبة، إن هذا سلوكٌ مُكتسب، وما لم تتم السيطرة عليه، سيبقى الغضب موجودًا. على سبيل المثال، تخبرنا الإحصائيات بأنَّ العديد من الأزواج الذين يضربون زوجاتهم قد شهدوا سلوكًا مائلًا من آبائهم تجاه أمهاتهم. وبالرغم من أنهم كانوا يكرهون رؤية أمهاتهم يتعرضن للإساءة، إلا أنهم يتعاملون مع الاختلاف بنفس النهج.

كان أبي دائم العنف مع والدتي. خصوصًا عندما يسكر بالخمر. كان رجلًا غضوبًا. ومع أننا لم نصل فعليًا لجذور غضبه، إلا أننا عرفنا أن أباه كان هو أيضًا رجلًا غضوبًا. صعب الإرضاء. وكان الغضب هو أسلوبه في المنزل. تَعَلَّمنا كلمة الله أن الخطية والسلوكيات المصاحبة لها يتم توارثها من جيل لجيل حتى يتعرف أحدهم على محبة الله ويبدأ في تطبيق مبادئ الله في حياته (تث ٥: ٨-١٠).

لقد شاهدتُ دورةَ الغضب والعنف في عائلتي وهي تنكسر في حياتي. ويريد الله أن يفعل نفس الشيء لأي شخص يعاني من متاعب في الغضب. اقض وقتاً في التفكير في البيت الذي نشأت فيه. كيف كان الجو فيه؟ كيف كان الكبار يتعاملون مع بعضهم البعض أثناء الاختلاف؟ هل كان البيت ملوِّعاً بالتظاهر أم إنهم كانوا يتعاملون سويّاً بانفتاحٍ وحق؟ إن تصادف أن تكون من القلائل المحظوظين الذين تربوا في بيت أتقياء، فعليك أن تشكر الله لأنه أعطاك بدايةً جيدة. لكن مَنْ منا لم يحظَ بقوةٍ جيدةٍ، يمكنه أن يتعافى عن طريق محبة الله وحق كلمته.

كيف تقوم بمواجهةٍ وفقاً لأسلوب الله؟

لم تكن المشكلة فقط أنّ والدي كان عنيفاً. بل أنّ والدتي لم تواجهه. كانت تخاف منه. فخافت من إساءة استخدامه لسلطته: فهي لم تخف في حماية نفسها وحسب. لكنها لم جهمني أنا أيضاً. كبرت وأنا أحتقر ما أراه من ضعف فيها. وقررت منذ صغري ألا أكون ضعيفاً أو أسمح لأحد أن يسيء معاملتي. وأثناء محاولاتي لحماية نفسي، أصبحت متسلطة. كنتُ أعتقد أنني إن جعلتُ كلَّ شيء وكل شخص يخضع لي. لن أتعرض للأذى. لكن بالطبع. لم تكن تصرفاتي هذه جيّدة؛ لأنها لم تكن بحسب أسلوب الله. وفي النهاية، قام زوجي بمواجهةٍ بأسلوب الله. في علاقتنا. ورغم أنّ هذا استغرق وقتاً، إلا أنه ساعدني أن أتغيّر.

رغم أننا مدعوون للسلام وعلينا أن نطلبه ونسعى وراءه. فإنّ خوفنا من أن نواجه مَنْ يسيئون معاملتنا ليس هو الطريقة المثلى للتعامل مع الاختلاف. لقد تعلّمنا أخيراً في بيتنا أنّ الصراحة والحقيقة هما أفضل السياسات في كل وقت. لديّ أنا وديف أربعة أحفاد كبار، ونقضي كلنا وقتاً طويلاً سوياً. هناك أوقات نغضب فيها ونقول أشياء تسبّب الخلاف بيننا. لكنني سعيدة أن أقول إنّ لا أحد منا يبقى غاضباً لمدة طويلة. نحن نواجه المشاكل. وحتى لو اختلفنا. نحاول أن نختلف بأسلوب مقبول. نحن نعرف خطورة الانشقاق ونصرّ على ألا يتواجد في عائلتنا. أشارككم بهذا حتى تروا أنه بالرغم من كوني قد تربيتُ في بيتٍ غاضب ما جعلني في البداية أنقل الغضب لبيتي. إلا أنّ نمط الحياة الخاطئ هذا انكسر برحمة الله ونعمته. ومن خلال طاعة كلمة الله.

إنَّ المواجهة بحسب أسلوب الله تبدأ بالواجهة في الوقت الذي يقودنا الله فيه وأن ننتظر حتى يقودنا الله لنقوم بذلك. إنَّ المواجهة الزائدة في وقت مبكر جدًا يمكن أن تجعل الإنسان الغضوب أكثر غضبًا. اذكر المشكلة بأسلوب هادئ وبه محبة وحاول أن تفعل ذلك بمحاذئة مباشرة وسهلة. إنَّ مواجهة الغضب بالغضب لا تجدي. لذلك فمن المهم أن تبقى هادئًا أثناء المواجهة.

«الْجَوَابُ اللَّيِّنُ يَصْرِفُ الْغَضَبَ وَالْكَلَامُ الْمَوْجِعُ يَهَيِّجُ السَّخَطَ»
(أمثال ١٥ : ١).

«هُدُوءُ اللِّسَانِ [بقوة شفائه] شَجَرَةٌ حَيَاةٍ وَأَعْوَجَاغُهُ سَحُوقٌ
في الرُّوحِ»
(أمثال ١٥ : ٤).

«يَبْطِئُ الْغَضَبُ يُقَنِّعُ الرَّئِيسُ وَاللِّسَانُ اللَّيِّنُ يَكْسِرُ الْعِظَمَ»
(أمثال ٢٥ : ١٥).

قل للشخص الذي تواجهه ما تُشعرُك به تصرفاته. واجعله يعرف أنَّ هذا غير مقبول. حاول أن تجعل نعمة صوتك رقيقة. لكن حازمة. أكد لهذا الشخص أنك تحبه وتريد أن تكون علاقتكما صحية. لكنك لن تقبل معاملته بها عدم احترام أو إساءة من أي نوع. لا تتفاجأ إن لم يتقبل هذا الشخص ما تقوله في البداية؛ فنحن عادة نحتاج وقتًا حتى نتعمق الأمور في أذهاننا. لا تتفاجأ إن غضب هذا الشخص وبدأ في اتهامك بأنك أنت سبب المشكلة. تمسك بقرارك. صل كثيرًا. وأعط الرب وقتًا ليعمل. كثيرًا ما يرجع هذا الشخص فيما بعد ويعبر لك عن أسفه وأنه أدرك أنك على حق.

عندما واجهني ديف، قال لي إنه يحبني لكنه لن يكون قادرًا أن يحترمني إن لم أكن مستعدة أن أواجه سلوكي الذي ليس بحسب الله وأن أدع الله يغيّرني. قال لي كيف كان يشعر من أسلوب وكماتني. وجعلني أعرف أنَّ مشاعره من

ناحيته حتاج للشفاء بعد كل ما ألمَّ بها من ضرر. لم يُيسر معاملتي ولا مرة واحدة. ولا عزلني عن حياته بالصمت، لكنه كان حازماً ومصمماً. في البداية تمردتُ، وكنتُ عدائيةً جداً. وحاولتُ أن أقول له الأخطاء التي فيه. لكنني في النهاية خملت مسؤوليتي وبدأت التعاون مع الروح القدس في اتجاه التغيير. كان الثبات الهادئ والحازم الذي أظهره لي ديف طول الوقت مُهمّاً. وأنا أرى أنَّ هذا مهمٌّ لكلِّ مَنْ يكون في موقفٍ يجب مواجهته فيه.

التعرض للاستغلال وسوء المعاملة

إن كلمة «الإساءة أو التحرش» تعني سوء الاستخدام أو التعامل بأسلوب خاطئ؛ فعندما يتحرّش أب بابنته فهو يسيء معاملتها. وعندما لا تقدّم أم كلمات عطف لأولادها، فهي تسيء لهم لأنها تسيء معاملتهم. عندما يضرب زوج زوجته، فهو يؤذيها. عندما يحاول أحد أن يتحكم في شخص آخر، فهذه إساءة. لقد خلقنا الله نحتاج للحب، والقبول، والحرية؛ هذه الأمور هي جزء من تكويننا الجيني، ولن نعيش بطريقة صحيحة بدونها.

أشعر بحزنٍ شديد عندما أفكر في كمّ الإساءة في مجتمعنا اليوم. يبدو أننا نعيش في عالمٍ غاضب يعيش فيه أغلب الناس كقنابل موقوتة جاهزة للانفجار في أي لحظة. لقد أصبح الناس أنانيين وذاتيين. وقد نما معهم غضبهم. بالنسبة لي، الله هو الحل الوحيد للمشاكل التي نواجهها اليوم. لا نقدر أن نسيطر على ما يفعله العالم، لكن يمكننا أن نختار عدم اتباع طريقه. يجب أن تكون اختياراتنا في جانب الله وطريقه. وعندما نفعل ذلك، ستكون حياتنا نوراً يشع بالقُدوة للآخرين. فلنعلن: «فَاخْتَارُوا لِأَنْفُسِكُمْ الْيَوْمَ مَنْ تَعْبُدُونَ... وَأَمَّا أَنَا وَبَيْتِي فَتَعْبُدُ الرَّبَّ» (يشوع ٢٤: ١٥).

إنّ الإساءة بكلّ أنواعها تترك الناس في غضب. هل تشعر بالغضب من شخصٍ أساء إليك؟ قد يكون غفرانك له هو بداية شفائك ورجوعك. يقول لنا الكتاب المقدس في (يوحنا ٢٠: ٢٣) إنّ يسوع قال لتلاميذه إنّ الخطية التي يمسكونها تُمسك، لكن إنّ غفروا الخطية، ستُغفر. عندما نرفض أن نغفر لشخص ما آذاناً، قد نحتفظ بهذه الخطية داخلنا ونعيدها على أنفسنا. كثيرون من تعرضوا للتحرّش يصبحون هم أيضاً متحرّشين. وعلى أقل قدر يكونون غضوبين وغير قابلين للتغيير حتى يتمكنوا من الغفران الكامل لمن جرحهم. سوف يحرص

إبليس أن نتعرض كلُّنا للجرح من شخصٍ ما. ويأمل أن نعيش حياةً غاضبةً. لكن تذكّر (جامعة ٧: ٩): «الْعَصَبُ يَسْتَقِرُّ فِي حِصْنِ الْجَهَّالِ». نصبح حمقى إنْ احتفظنا بالغضب الذي نشعر به عندما يؤذيُنَا أحدهم. اعمل في نفسك معروفاً واغفر.

في عام ١٩٨٥، تعرضت راعوث، جدة بيل بيلك، للقتل على أيدي أربع فتيات مرافقات. لقد كانت امرأةً مؤمنةً رائعةً تقدم دروس الكتاب المقدس في بيتها. وذات ليلةٍ، فتحت بابها لتستقبل مجموعةً من الفتيات. كانت تظن أنها ستعلمهن كلمة الله. لكن الفتيات قمن بقتلها في بيتها بطريقةٍ وحشيةٍ. وفي ليلةٍ، من شهر نوفمبر ١٩٨٦، وجد بيل نفسه يفكر في جدته.

* * *

قال بيلك: «في الثاني من نوفمبر ١٩٨٦، كنتُ أفكر في حياة جدتي وموتها. بدأتُ أفكر في إيمانها. كانت جدتي مؤمنةً تقيّةً، وقد تربّيتُ في أسرةٍ مسيحيةٍ. تذكّرتُ أن يسوع قال إننا إنْ أردنا أن يغفر الأبُّ لنا، علينا أن نغفر لمن أساءوا إلينا. كنتُ أعلم أن يسوع قال إنَّ الغفران يجب أن يكون عادةً طبيعيةً، أسلوب حياة. اغفر. اغفر. اغفر. وادوم على الغفران... اعتقدتُ أنه يجب عليّ أن اغفر لبولا كوبر (زعيمه البنات ذات الخمسة عشر عامًا) ما فعلته لجدتي. فقلتُ إنني قد أعمل ذلك يوماً ما؛ حيث إنَّ هذا هو الأمر الصواب.

كلما فكرتُ أكثر في نانا جدتي، اقتنعتُ أنها كانت ستجزع من حكم الموت الذي أخذته بولا... وشعرتُ أيضًا أنها أرادت أن يُظهر شخصٌ من أسرتي نفس نوعية المحبة والحنان. شعرتُ أنَّ الأمر ملقى على كتفي. ورغم أنني كنتُ أعلم أنَّ الغفران هو الصواب، إلا أنَّ موضوع المحبة والحنان كان مستبعداً بسبب وحشية مقتل نانا. لكن لأنني كنتُ مقتنعاً بأنَّ هذا ما كانت نانا سترغبه، ولأنني لا أعرف أيَّ سبيل آخر لتنفيذ الأمر، توسّلتُ لله أن يعطيني محبةً وعطفاً لبولا كوبر وعائلتها وأن أقدر أن أفعل ذلك بالنيابة عن نانا.

كانت صلاةً قصيرةً، لكنني بدأتُ على الفور أفكر في كتابة خطاب لبولا وأخبرها من هي نانا ولماذا سمحت لها بالدخول لبيتها في المقام الأول. كنتُ أريد أن أشاركها بإيمان نانا.

أدركتُ أن الله استجاب لطلبتي للمحبة والعطف؛ حيث إنني وجدتُ نفسي أريد أن أساعدها وفجأةً شعرتُ أنَّ إعدامها خطأ جسيم. تعلمتُ أقوى درس في

حياتي في تلك الليلة. كان هذا درس قوة الشفاء التي في الغفران. عندما لمسّت الحبة قلبي. حدث الغفران. وعندما تم الغفران. جلب معه شفاءً هائلاً. كان قد مرّ عام ونصف على موت نانا. وكنتُ كلما أتذكر نانا في هذا الوقت. أتخيلها وهي مقتولة. كان أمراً فظيماً أن أفكر في الميتة الشنيعة التي ماتتها. لكنني أدركتُ حين لمسّت الحبة قلبي وتم الغفران أنني من هذا الوقت فصاعداً، كلما أتذكر نانا. لن أتخيلها وهي مقتولة، بل سأفكر في حياتها. وما كانت تؤمن به، وما كانت تمثله، وشخصيتها الجميلة الرائعة.

إنّ الغفران لا يعني الاتفاق مع ما فعلته كوبر. ولا يعني أنه لا توجد عواقب لما فعلته. ليس المقصود هو أن نغفر وننسى؛ فأنا لن أنسى أبداً ما حدث لنانا، لكن لا يمكنني أن أسمح بوجود أي فكر انتقام من بولا. أنا أتمنى لها الخير».

* * *

إنّ القصص الواقعية. كالتي قرأناها للتو. هي قصص ملهمة جداً وتُظهر لنا أننا يمكننا أن نغفر لأي شخص أي شيء إن نظرنا إلى ما هو أبعد مما اقترفه في حقنا. وننظر إلى الفائدة التي على المدى البعيد لكل من اشترك في القصة. لقد علّمني الله، وما زال. ألا أكتفي بالنظر لما اقترفه الطرف الآخر بحقي. لكن أن أرى بقوة أكثر ما اقترفوه في حق أنفسهم. وأن أكون على استعداد أن أغفر لهم وأصلي من أجلهم.

الغضب المتأصل في المثالية

إنّ كنا نتوقع من أنفسنا أو من غيرنا توقعات غير واقعية. فيمكن لذلك أن يكون أصل غضب في حياتنا. الشخص الكمال هو ذلك الشخص غير القابل للإرضاء إلا بالكمال. الأمر الجيد لا يكفي. ولا حتى الممتاز... يجب أن يكون كل شيء مثاليًا. إن لم يدعُ الكمال الله ليحدث توازنًا في حياته. فإن الاندفاع بالمثالية سيصبح مصدرًا للضغط والبؤس.

الحياة ليست مثالية، ولا الناس أيضًا. لكن الله أعطانا القدرة أن نتقبّل ما يمكن أن يحدث بسرور إن كانت لنا الإرادة أن نفعل ذلك.

* * *

كانت أم ليزا تقسو عليها. وتطالبها دائماً بالمثالية في كل ما تعمله. ورغم أنَّ ليزا لم تكن موهوبةً في الموسيقى، إلا أنَّ أمها أصرَّت أن تتعلَّم العزف على البيانو. وأجبرتها على التدريب أربع ساعات يوميًا. تكاد تكون أمها لم تمدح أبدًا ما عملته ليزا. وحتى في المرات النادرة التي مدحتها فيها. كانت تُذكرها أيضًا بالأمر الذي كان عليها أن تتحسَّن بها. ونتيجة لذلك، احتفظت ليزا بغضبٍ عميق من نفسها بسبب الفشل الذي تراه في كل شيء تقريبًا. كما أنها أصبحت متشددة جدًا وصعبة الإرضاء في علاقتها بزوجها وابنيها. في عُمر الثلاثين أصيبت ليزا بالقرحة ومتلازمة القولون المتهيج. وكلا المرضين يتأثران سلبًا بالضغط الذي كانت تعيش تحته دائمًا.

تقوم ليزا حاليًا بزيارة مشيرٍ مسيحي وخرز بعضَ التقدم. لكنها معركة يومية. إنَّ الحياة جري. وعند نهاية كل يوم عادةً يحدث شيء غير مثالي وعليها أن تقرر بإرادتها ألا تسمح لهذا الأمر أن يُغضبها. إنها تريد أن تتحرَّر من طغيان المثالية. لكن الأمر سيسغرق وقتًا حتى يتجدد ذهنها في هذا الأمر. سيكون على ليزا أن تتعلم الحياة بحسب كلمة الله. وتصدق ما تقوله الكلمة. وألا يكون رد فعلها عاطفيًا على أساس ما تذكره من توقعات أمها العالية منها. يسوع هو الوحيد الذي يمكنه أن يفي بكل متطلبات الناموس بلا خطيئة. وقد قام بذلك نيابةً عنا حتى نتحرَّر نحن. حتى إن كان لنا اتجاه قلب كامل من جهة الله وننشُد المثالية. فإننا سنقوم بارتكاب بعض الأخطاء طالما نعيش في أجسادنا التي من لحم ودم ولنا نفوس تتأثر بكل ما يجري حولنا. من خلال دراسة كلمة الله وقضاء الوقت معه. ننمو في اتجاه علامة الكمال. لكن علينا أن نتعلَّم أن نفرح بما وصلنا إليه في طريقنا إلى وجهتنا.

ما يهم في الحياة هو الرحلة. وليس الجهة المقصودة. إنَّ قوة الله تكمل في ضعفاتنا. يمكننا أن نكون أقوياء. لكن فيه هو فقط. لن نستفيد شيئًا إنَّ غضبنا من أنفسنا؛ فنحن لا نقدر أن نكون مثالين طوال الوقت. لقد تعلمتُ أن أبذل قصارى جهدي وأترك الله يعمل الباقي.

احتياجات غير مُسدَّدة

لكلِّ منا احتياجاته المشروعة. ليس من العيب أن نتوقع من عرفهم أن يسدِّدوا بعض هذه الاحتياجات. لكن، يجب أن نحرص على التوجُّه لله أولاً وأن

نطلب منه أن يعمل من خلال الآخرين. ينجذب أغلب الناس لأشخاص على النقيض منهم. لقد ربَّ الله أن نكون كلنا مختلفين حتى يحتاج كلُّ منا للآخر. لا يوجد من يتمتّع بكل شيء، لكن كلّا منا له جزء من المطلوب حتى نتمتّع بتوازن صحي في الحياة. أنا هجومية جداً أما زوجي فهو مترجع بعض الشيء. كان هذا سبباً للجدال بيننا لسنوات. لكننا نرى الآن أنني أنا من يثيره لاتخاذ الفعل، وهو من يبطئ خطواتي حتى لا أتصرف بهوجائية. نحن نصنع معاً توازناً جيداً. قد تكون في ظروف مشابهة. لكن إن لم تنظر للأمر بالنظرة السليمة، ستضيع حياتك في محاولاتك أن تجعل الآخر يعطيك ما لا يدرك أنك تحتاجه. لأنه ببساطة مختلف عنك.

أنا أؤمن أنّ الله سيسدّد كلّ احتياجاتنا المشروعة. لكنه يفعل ذلك من خلال من يختارهم. لقد قضيت أوقاتاً طويلة غاضبة من ديف لأنه لم يفهمني. أو لأنه لم يكن يرغب في أن يقضي معي ساعاتٍ نتحدث في مشاكلنا. كانت طريقته مباشرة: كان يريد تحديد المشكلة، نفعل ما ينبغي فعله، ثم نلقي بهمومنا على الله (١ بط ٥: ٧). ومن الناحية الأخرى، كنتُ أريد أن أعرف ما يجب علينا فعله. كان منهاج ديف هو الصواب. لكن لي شخصية تختلف عن شخصيته. وليس هذا فقط. بل كنتُ أيضاً أقل نضجاً منه في مجال الثقة بالله.

وعلى مدار السنوات تعلمتُ ألا أحتفظ بسجل في ذهني لما اعتبره احتياجات غير مُسدّدة. الأمر الذي يتحوّل في النهاية إلى جذور للغضب في حياتي. لكن عليّ أن أثق بالله أن يسدّد كلّ احتياجاتي. أنا أعرف أنّ ديف يحبني وأنه يريد أن يسدّد احتياجاتي. لكن الحقيقة هي أنه لا يقدر أن يميزها دائماً، ولا يعرف ماذا يفعل: لأن هذا ليس جزءاً من تكوين الله له. لقد تعلمتُ أن أرى كلّ الأمور الرائعة التي يقوم بها ديف من أجلي وألا أركز نظري على الأمور القليلة التي لا يعملها. إنّ القلب الممتن الذي يشكر على ما لديه هو قلب ينجح أكثر في جذب الغضب والسخط. كنّ شاكرًا وعَبّر عن ذلك. واجه الغضب بقوة: لأنك إن لم تفعل ذلك، سيؤذيك أكثر ممّا يؤذي الآخرين.

الاحتياج للتقويم

في سنوات زواجنا الأولى، كنتُ أحتاج فعلاً أن يُقوِّمني ديف. رغم أنني لم أكن أحب ذلك في البداية. لقد فعل ذلك لأنه يحبني وأراد أن تكون علاقتنا صحية.

تَعَلَّمْنَا كلمة الله أَنَّ الصديق الحقيقي يجرحنا بضربات التقويم عند الاحتياج لها. من الأسهل لنا دائمًا أن نتغافل عن السلوك الخاطئ لأننا لا نريد التعامل مع الدراما التي تحدث عندما نُقَوِّم أحداً. لكن الاهتمام الصادق بالآخر لن يسمح لنا بذلك.

لا يحتاج الأطفال إلى المحبة والعطف فقط. بل إلى التقويم أيضًا. إن لم يتم تقويم الطفل. يصبح متمردًا على الآخرين ولا يحترمهم. إن نسبة كبيرة من الرجال والسيدات الذين في السجون يشهدون أَنَّ آباءهم لم يقوِّموهم حسنًا. لدى ابنتنا ساندرنا وزوجها ستيف بنتان توأم هما حاليًا في سن الثامنة. ستيف وساندرنا والدان جيدان جدًا يقدمان الكثير من الحب. لكنهما أيضًا حازمان في التقويم. وحتى أريكم استجابة الأطفال للتوازن الجيد بين الحب والتقويم. دعوني أشارككم برسالة كتبتها حفيدتي أجيل لأُمها وهي تقضي ليلة وحيدة في غرفتها تحت العقاب بسبب كذبة قالتها.

«حبيبتي ماما. أنا أحبك كثيرًا جدًا. وأنت تهمينني جدًا وأريدك أن تعرفي أنني أحبك جدًا جدًا جدًا».

كانت أجيل تعرف أَنَّ عقابها كان هو الصواب لمصلحتها وأن هذا عمل محبة يعملها والداها. وقد كتبت رسالة ماثلة لأبيها.

تقول لنا كلمة الله إنه يؤدب (يُقَوِّم) من يحبهم (عب ١٢: ٦). وهو يقدم لنا المثال الذي يريدنا أن نتبعه مع أطفالنا. قَدِّم لأطفالك الكثير من الحب. الكثير من الغفران. والمواجهة والتأديب في الوقت المناسب.

تمسك كثير من جذور الغضب بحياتنا. وقد تكون جذور الغضب التي في حياتك لم تتم معالجتها هنا. اطلب من الله أن يُظهر لك سبب غضبك. عندما تغضب. لا تفكر فقط فيما أثار غضبك. لكن انظر إن كنت تتذكر أوقانا أخرى في حياتك شعرت فيها بنفس المشاعر. هل هناك نمط متكرر؟

ومع أَنَّ فهم جذور المشكلة لا يقوم بحلها. لكن هذا يمكنه أن يمنحك بصيرة وفهمًا. الأمر الذي يُعتبر خطوة عظيمة نحو الشفاء.

لدينا الكثير من الاحتياجات في الحياة. وإن لم تُسدّد هذه الاحتياجات. يمكن أن تنسب في الغضب. لكن الحق سيحرّرننا. مجرد إدراك من أين ينبع الغضب هو حقيقة كافية للبدء في عملية الشفاء.

الفصل الرابع

جذور الغيرة

«الْغَضَبُ قَسَاوَةٌ وَالسَّخَطُ جُرَافٌ وَمَنْ يَقِفْ قَدَّامَ
الْحَسَدِ؟»

(أمثال ٢٧: ٤)

إنَّ الغيرة والحسد أمر فظيع. وغالبًا يقول عنها الناس إنها «الوحش ذو العين الخضراء»: وذلك لأنها تلتهم الحياة من الشخص الذي يسمح لها بالتواجد في قلبه. بحسب (أمثال ٢٧: ٤)، فإنها أسوأ من الغضب والسخط. الغيرة مشكلة كبيرة وأعتقد أنها تستحق فصلًا بمفردها.

* * *

قَصْتُ جينيفر حياتها تقارن نفسها بأختها جاكو. كانتا توأماً لكنهما ليستا متماثلتين. وُلِدَت جاكو أولاً، وكانت تتمتع بشخصيةٍ منفتحةٍ وناثرة. أما جينيفر فقد كانت خجولةً وهادئةً. وبدلاً من أن تبحث عن إمكانياتها وتطوِّرها، اكتسبت جينيفر هذه الصفة الكسولة حيث تغار ما تقدر أن تعمله أختها. أقول إن الغيرة كسل؛ لأن الأمر لا يتطلب مجهوداً أن نسترخي ونشعر بالسوء حيال أنفسنا ونسخط على الآخرين الذين يمتلكون ما نرغب فيه. نعم، كانت جاكو موهوبةً في جوانب مختلفة، لكن الحقيقة أنَّ جينيفر أيضاً كانت هي الأخرى

موهوبةً، إلا أنَّ إحساسها بالمرارة جَاه أختها منعها من حتى رؤية مواهبها الخاصة بها. مرور السنوات، ما كان يمكنه، وكان يجب، أن يكون علاقة محبة بين الأختين. حَوَّلَ إلى منافسةٍ من ناحية جينيفر. أَلْقَتْ الغيرة، التي كانت موجودةً دائماً في قلب جينيفر، بظلالها السوداء على سنوات مراهقتها. كانت جاكو سعيدةً ومُفَعِّمةً بالحياة ولم تكن تلاحظ المرارة التي في أسلوب أختها. وكان هذا يشعل من غضب جينيفر أكثر. كانت تود أن تلاحظ أختها كم كانت بائسةً، والأكثر من ذلك، فقد كانت تريد أن تشعر بالتعاسة هي الأخرى.

عندما كبرت وأصبح لهما أطفال، أدركت جاكو أنَّ هناك مشكلةً، لكن بالرغم من محاولاتها لإقامة علاقةٍ قويةٍ مع أختها جينيفر، لم تفلح في ذلك. كانتا تتعاملان بأدبٍ اجتماعي مع بعضهما البعض، لكن الحاجز بينهما كان لا يزال موجوداً. كان يمكن لكل الإحساس بتيار الغضب الخفي هذا، وعانت العائلة كلها من إحساس بنت واحدة بعدم الأمان والغيرة.

كيف يمكن لدورة كهذه أن تحدث في حياة الشخص؟ إنَّ إبليس يريّض دائماً محاولاً أن يجد طريقةً لإحداث انشقاق بين الناس. خصوصاً بين أفراد العائلة الواحدة. من المُحتمَل يكون والدا جاكو قد قاما بمدحها على أمرٍ أحسنت عمله في نفس اليوم الذي قاما فيه بمعاقبة جينيفر على قرار سيئٍ قامت به، واستخدم إبليس هذا الموقف ليزرع فيها بذور التشكيك في الذات والمرارة، من الممكن أن تكون هناك آلاف السيناريوهات المُحتملة، لكن النتيجة تبقى كما هي. عندما نحيا في صراعٍ قائم على الغيرة، نتخلَّى عن السلام، والحياة الفضلى التي يريدها لنا الله.

كانت الوصية العاشرة التي أعطهاها الله لموسى ليقدمها للشعب هي: «لا تَشْتَهَ بَيْتَ قَرِيبِكَ، لا تَشْتَهَ امْرَأَةً قَرِيبِكَ ولا عَبْدَهُ ولا أَمَتَهُ ولا ثَوْرَهُ ولا حِمَارَهُ ولا شَيْئاً مِمَّا لِقَرِيبِكَ» (خر ٢٠: ١٧). تعني هذه الوصية أنَّ علينا ألا نحسد أو نغار من أي شيء لدى شخصٍ آخر. الحسد خطيئةٌ قلبية، إنه فكرٌ يغذّي الخصام والغضب، ويجلب الانشقاق. يريدنا الله أن نكون سعداء ببركاته للآخرين، وإلى أن نقدر أن نفعل ذلك، لا نتمكّن عادةً من الحصول على ما نرغبه. وحتى إن حصلنا على ما نرغب، لا نقدر أن نكون سعداء وراضين به لأننا سنظل دائماً نرى شخصاً آخر لديه أكثر مما لدينا ونجد أنفسنا تعساء مجدداً.

قال الرسول بولس إنه لم يشته ذهباً أحد أو فضته أو ملابسه (أع ٢٠: ٣٣). كان قانعاً بعمل ما دعاه الله لعمله وأن يكون ما خلقه الله ليكون. إن القناعة مكان جميل للحياة، لكن قليلين جداً هم مَن يجدونه ويكثون فيه طويلاً. كان

بولس يَعْلَم سرًّا: كان يَعْلَم أنه في مشيئة الله وأن الله كان يدبر له ما يراه مناسبًا. وفي الوقت المناسب. لم يكن شخصًا سلبيًا بلا رغبات. لكنه كان رجل إيمان لديه ثقة كاملة في صلاح وحكمة الله.

كان يوحنا المعمدان رجلًا آخر من رجال الله، الذي لم تبدُ عليه إشارات الحسد. يقول الكتاب في (يوحنا ٣: ٢٥-٢٧) إِنَّ مَشَاجِرَةَ نَشَأَتْ بَيْن تَلَامِيذِ يوحنا وتلاميذ يسوع بالنسبة لبدأ التطهير. كان يوحنا يَعْمِد الناسَ وها قد أتى تلاميذ يسوع يَعْمِدون. وكان الناس يتدفقون على يسوع. نقدر أن نرى هنا جذور الغيرة التي تتسبب في الغضب والصراع. عندما جاء الخبر ليوحنا قال: «لَا يَقْدِرُ إِنْسَانٌ أَنْ يَأْخُذَ شَيْئًا (لا يقدر أن يدَّعي شيئًا، لا يقدر أن ينسب لنفسه شيئًا) إِنْ لَمْ يَكُنْ قَدْ أُعْطِيَ مِنَ السَّمَاءِ (على المرء أن يقنع بالموهبة المعطاة له من السماء. فلا يوجد مصدر آخر لها)».

عندما كنتُ أعاني في حياتي من الغيرة وأغضب لعدم حصولي على ما كان عند الآخرين. كانت هذه الآيات خير عون لي. بدأت أدرك أنني إِنْ كنتُ أثق بالله. فهذا يعني أن أثق أَنَّ ما أعطاه لي هو الملائم لي وأنه خطأ كبير أن أغار بما أعطاه لشخص آخر.

إِنَّ الله يعرفنا أكثر مما نعرف أنفسنا. ونقدر أن نتمتع بالاكتماء إِنْ كنا واثقين في صلاح الله وأنه لن يمنع عنا الخير في الوقت المناسب.

يخبرنا الرسول يعقوب أَنَّ الخصام (الحروب) والصراعات (الخصومات) تنشأ من رغباتنا الحارِبة في أعضائنا. نحن غيورون ونشتهي ما للآخرين. وعندما لا نتحقق فينا هذه الرغبات. نبدأ في الكراهية. الأمر الذي يُعْتَبَر جريمة قتل فيما يتعلق بالقلب. يقول يعقوب إِنَّ الناس يحترقون بالحسد والغضب ولا يقدر أن يحصلوا على الترضية أو الاكتفاء أو السعادة التي يبحثون عنها. ثم قال يعقوب أمرًا أصبح آيةً محوريةً في حياتي الخاصة:

«لَسْتُمْ تَمْلِكُون. لَأَنْكُمْ لَا تَطْلُبُونَ» (يعقوب ٤: ٢).

قامت هذه الكلمات القليلة بتحريرني من خيبة أملي حين لا أحصل على ما أريد وأغار ممن يملكونه. رأيتُ بوضوح أنني إِنْ أردتُ شيئًا. فعليَّ أن أطلبه من الله وأثق أنه إِنْ كان هذا خيرًا لي. فسيُعطيني الله إياه في وقته هو. مع الله. هناك الكثير. قد لا يعطينا ما يملكه الآخر. لكنه سيسدّد احتياجاتنا بغنى إن وثقنا فيه وفي توقّعاته لحياتنا.

وتعلمتُ أيضاً أنه إن لم يُعطيني الله ما طلبته، فليس هذا لأنه يريد أن يحرمني منه، لكن لأنه يدبر لي ما هو أفضل وعليّ أن أقبل انتظاره. قبل أن أفهم «لَسْتُمْ مَمْلُوكُونَ. لَا تَتَكَبَّرُوا»، كان قلبي مُفَعِّمًا بالخصومات؛ لأنني كنتُ أعمل أعمال الجسد وأحاول أن أجعل أفكارِي الخاصة وخططي تفلح. كنتُ أقرر ما الذي أريده وأنصرف مع الله وكأنه مُجَبَّر أن يعطيني إياه. كان فكري طفولياً وأنا نيتياً جداً. إنَّ الغيرة قاسية حقاً.

كراهية تحوّل للعنف

كان الملك شاول غاضباً جداً حتى أنه حاول أكثر من مرة أن يقتل داود. وكان غضبه هذا نتيجةً لغيرته المبنية على خوفه من أن يفقد مكانته ويأخذها داود (١ صم ١٨: ١-١٢). غضب شاول جداً حتى أنه ذات مرة رمى رمحه على ابنه يونانان لأنه كان صديقاً لداود (١ صم ٢٠: ٣٠-٣٤). نستطيع أن نرى بسهولة أنَّ غضبه وغيرته تحوّل إلى ثورة عارمة جعلت منه شخصاً عنيفاً.

هناك الكثير من الأمثلة الكتابية، لكننا لا نريد أن نقرأ قصص حياة أناس آخرين ونتجاهل المشكلة التي فينا. هل تغار من شخص ما؟ هل تشعر بغضبٍ إن حقّق أحدهم إنجازات أفضل منك في الرياضة، العمل، أو أي مجال آخر في الحياة؟ كثيراً جداً نرى الغضبَ يطل بوجهه القبيح أثناء المنافسات الرياضية. كلنا نرغب في الفوز. وعندما تكون رغبتنا في الفوز شديدة جداً، نغضب ممّن يتفوّقون علينا. وهذا خطأ. أتذكر أنني كنتُ أَلعب الكرة الطائرة في فريقٍ لإحدى الكنائس وأشاهد المسيحيين وهم يسلكون سلوكاً غير مسيحي بسبب التنافس. إنَّ وحش الغيرة ذا العين الخضراء يسعى ورائنا كلنا. يجب أن نأخذ حذرنا.

إن وجدتَ نفسك غيوراً من أحد لأي سببٍ من الأسباب، فاعمل في نفسك معروفاً وتخطّى الأمر: لأن الغيرة لن توصلك لشيءٍ إلا البؤس. إنَّ الله لديه خطة خاصة متفردة لكلّ منا. كلنا مختلفون. لكننا كلنا لنا نفس القيمة، ومعرفة هذا تساعدنا أن نرضى ونفتمّع بأنفسنا وبما لدينا.

مختلف لكن لست أقل

كل المقارنات والمنافسات في مجتمعنا هي أمور مأساوية وهي الجذر المسبب لكل هذا الغضب والانقسام. لا يعني كوننا مختلفين عن الآخرين أننا أقل. أو أكثر منهم. إن لكل شيء قيمته بطريقته الخاصة. يداي مختلفتان عن رجليّ. وهي لا تغار من بعضها البعض: فهي تعمل سوياً بشكل جميل. تقوم كل منها بدورها الذي صمّمه لها الله. يريدنا الله أن نعمل نفس الشيء. إنه يريد من كل منا أن يرى جماله المتفرد وقيّمته الفريدة وألا يشعر أحدنا بالدونية لأنه مختلف عن الآخرين. سمعتُ أحد الخدام يقول عن هذا الموضوع: «علينا أن نتعلم أن نكون مرتاحين في أجسادنا».

إنّ الغضب يعكس أحاسيس الدونية. يجب أن نتعامل مع الآخرين بصفتهم مساوين لنا. وليس علينا أن نشعر بأننا أفضل منهم. وبالتأكيد لسنا أقل منهم. يسوع هو المعادل العظيم. كلنا فيه متساوون: فقد قال إنه لا يوجد فرق بين ذكر وأنثى. أو يهودي ويوناني. أو عبد وحر. لأننا كلنا جميعاً فيه (غل ٣: ٢٨). ليست قيمتنا في ما نقدر على عمله. لكن في أنفسنا وفي من ننتمي له. نحن ننتمي لله. وشكلنا. ومواهبنا. وقدراتنا الأخرى تنبع منه. لا يقدر شخص قصير أن يجعل قامته أطول ببوصة واحدة أو يقلق نفسه بالغيرة من شخص أطول منه. ما يمكنه عمله هو أن يسعى أن يكون على أفضل حالاته في الحياة وألا يقارن نفسه بشخص آخر.

كان زكا رجلاً قصير القامة. عندما سمع أنّ يسوع كان يمر على بلده. كان يريد أن يراه حقاً. لكنه كان يعرف أنه لن يقدر أن يراه من كل هذه الجموع لأنه كان قصيراً. كان بإمكان زكا أن يكتئب بسبب حجمه؛ كان يمكن اعتباره مُعَوِّقاً ويسقط في فخ الشفقة على الذات والسلبية. لكن زكا لم يفعل شيئاً من ذلك. لكنه جرى أمام الجموع وتسلق شجرة حتى يرى بوضوح. عندما مرّ يسوع على المكان. رأى زكا فوق الشجرة. وقال له أن ينزل حيث إنه سيذهب معه لمنزله ويتعشى معه (لوقا ١٩: ١-٦). إنّ هذه من أكثر قصص الكتاب المفضّلة لديّ لأنني أرى أنّ فكر زكا الإيجابي قد أَرْضَى يسوع. لقد أعجبه تفكير زكا حتى أنه قضى معه وقتاً خاصاً. كان زكا سيفقد هذا الحدث لو غضب من قصر قامته.

إِنْ كُنْتَ غَاضِبًا الْآنَ، أَنْصَحُكَ بِشِدَّةٍ أَنْ تَتَعَلَّمَ الدَّرْسَ مِنْ زَكَا. اسْتَغْلِ مَا لَدَيْكَ بِأَقْصَى الْوَسَائِلِ الْمُمْكِنَةِ، وَسَيَعُوْذُ اللَّهُ الْفَرْقَ دَائِمًا وَيَنْمِيكَ فِي الْحَيَاةِ. كُنْ مَدْرَكًا أَنَّ اللَّهَ خَلَقَكَ بِيَدَيْهِ بِعَنَابَةٍ وَأَنْتَ فِي رَحْمِ أُمِّكَ، وَهُوَ لَا يَخْطِئُ: كُلُّ مَا يَصْنَعُهُ الرَّبُّ صَالِحٌ، وَهَذَا يَسْمُكُ أَنْتَ أَيْضًا.

أَقْتَرَحُ عَلَيْكَ أَنْ تَقْضِيَ بَعْضَ الدَّقَائِقِ فِي عَمَلِ قَائِمَةٍ بِمَا لَا خَبَةَ فِي مَظْهَرِهِ الْخَارِجِيِّ أَوْ قُدْرَاتِكَ. وَبَعْدَ أَنْ تَقُومَ بِذَلِكَ، اطْلُبْ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَسَامَحَكَ عَلَى عَدَمِ إِعْجَابِكَ بِمَا اخْتَارَهُ لَكَ، مَزَقِ الْقَائِمَةَ، تَخَلَّصْ مِنْهَا. وَاطْلُبْ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَسَاعِدَكَ عَلَى أَنْ تَكُونَ نَفْسُكَ بِالْتِمَامِ وَالْكَمَالِ.

قَبْلَ أَنْ أَتَعَلَّمَ الْأَفْضَلَ، كُنْتُ أَوَدُّ أَنْ يَكُونَ صَوْتِي أَنْعَمَ، وَرَجُلَايَ أَرْفَعُ، وَشِعْرِي أَثْقَلُ. عِنْدَمَا كُنْتُ أَرَى سِيدَاتٍ عِنْدَهُنَّ مَا أَرَدْتُ، كُنْتُ أَشْعُرُ أَنِّي أَعْزَلُهُنَّ عَنْ حَيَاتِي. عِنْدَمَا نَكُونُ غِيُورِينَ مِنْ شَخْصٍ آخَرَ، فَهَذَا يَمْنَعُنَا مِنَ التَّمَتُّعِ بِهِ. كُنْتُ أَكْرَهُ هَؤُلَاءِ النِّسَاءِ اللَّوَاتِي كُنَّ يَتَمَتَّعْنَ بِمَا أَرَدْتُ، وَكُنْتُ أَشْعُرُ أَنِّي أَقْلُ مِنْهُنَّ. وَالْحَقِيقَةُ هِيَ أَنَّهُنَّ عَلَى الْأَرْجَحِ لَا يَحْبِبْنَ أَشْيَاءَ فِي أَنْفُسِهِنَّ كَذَلِكَ، وَمِنْ الْمُحْتَمَلِ أَنَّهُنَّ يَشْعُرْنَ بِالْغِيْرَةِ مِنْ شَيْءٍ مَا لَدَيَّ وَلَا يَمْلِكُنَّهُ هُنَّ.

إِنَّ الْغِيْرَةَ هِيَ إِحْدَى أَدْوَاتِ إِبْلِيسَ فِي إِحْدَاثِ الْانْقِسَامِ بَيْنَ النَّاسِ، وَهِيَ مُضِيعَةٌ كَامِلَةٌ لِقُوَّتِنَا؛ لِأَنَّهَا لَا تَقِيدُ وَهِيَ قِطْعًا لَا تَسَاعِدُنَا عَلَى أَنْ نَحْصَلَ عَلَى مَا نُرِيدُ. مِنْ بَيْنِ أَسْبَابِ كِتَابَتِي هَذَا الْكِتَابَ أَنْ أَسَاعِدَكَ عَلَى اتِّخَاذِ قَرَارِكَ بِأَلَّا تُضَيِّعَ وَقْتَكَ فِي عَمَلِ أَشْيَاءَ لَا تَنْتُجُ ثَمَرًا جَيِّدًا؛ فَنَحْنُ نَعْمَلُ فِي أَنْفُسِنَا مَعْرُوفًا أَكِيدًا عِنْدَمَا نَرَفُضُ أَنْ نَكُونَ غِيُورِينَ مِنَ الْآخَرِينَ وَأَنْ نَتَّقَ بِبَسَاطَةٍ فِي مَحَبَةِ اللَّهِ لَنَا.

* * *

قِصَّةُ يُوسُفَ فِي الْكِتَابِ الْمَقْدَسِ هِيَ قِصَّةُ انْتِصَارِ مَذْهَلٍ: كَانَ يُوسُفَ هُوَ الطِّفْلُ فِي عَائِلَتِهِ وَهُوَ الْمَفْضَّلُ عِنْدَ أَبِيهِ. لَا أَعْتَقِدُ أَنَّ أَبَاهُ كَانَ يَحِبُّهُ أَكْثَرَ مِنْ بَاقِي إِخْوَتِهِ، لَكِنَّهُ أَحَبَّهُ بِشَكْلٍ مُخْتَلَفٍ. كَانَ يُوسُفَ هُوَ الطِّفْلُ، وَيَمِيلُ الْأَطْفَالُ فِي كُلِّ أُسْرَةٍ إِلَى جَذْبِ انْتِبَاهِ أَكْبَرِ غَارٍ مِنْهُ إِخْوَتِهِ، وَجَعَلَتْهُمْ غَيْرُتَهُمْ غَاضِبِينَ، حَتَّى أَنَّهُمْ بَاعُوا يُوسُفَ لِتِجَارِ الْعَبِيدِ، ثُمَّ قَالُوا لِأَبِيهِمْ إِنَّ حَيَوَانًا بَرِيًّا قَتَلَهُ، قَضَى يُوسُفَ سِنَوَاتٍ عَدِيدَةٍ فِي ظُرُوفٍ سَيِّئَةٍ، بِمَا فِي ذَلِكَ سَجْنَهُ لثَلَاثَةِ عَشَرَ عَامًا لَجُرْمَةٍ لَمْ يَرْتَكِبْهَا، لَكِنْ بِسَبَبِ انْجَاهِ قَلْبِهِ الْإِيجَابِيِّ، كَانَ دَائِمًا يَتَرَقَّى فِي أَيِّ مَهْمَةٍ تَوَكَّلَ إِلَيْهِ. إِنْ اللَّهَ يَرْفَعُنَا دَائِمًا فِي الْحَيَاةِ إِنَّ وَثْقَانَا بِهِ وَلَمْ نَدْعِ مَشَاعِرَ الْخَوْفِ، وَصَغُرَ النَّفْسُ، وَالْغِيْرَةُ تَقُودُنَا. كَانَ بِإِمْكَانِ يُوسُفَ أَنْ يَرُدَّ عَلَى غَضَبِ إِخْوَتِهِ بِالْغَضَبِ مِنْ

ناحيته. كان يمكنه أن يدع هذا الغضب يُشعره بالمرارة ويدمر حياته. لكنه لم يسمح لقرار إخوته الخاطئ أن يسود عليه.

هل تسمح لقرارات خاطئة قام بها أحدهم أن تغضبك؟ إن كان هذا صحيحًا. فأنت تتصرف بحماقة؛ لأن لديك اختيارًا آخر. يمكنك أن تعمل في نفسك معروفاً وتتخطى ما فعله هذا الآخر. لا يمكننا دائمًا تغيير ما يفعله الآخرون. لكن ليس لزماً علينا أن نسمح لقراراتهم أن تتحكم في تصرفاتنا. لقد منح الله كلاً منا إرادة حرة. يمكننا في كل موقف أن نختار بين الحياة والموت. وتعني الإرادة الحرة أيضاً أن علينا مسؤولية. لذا ففي الواقع عندما أكون حزيناً فهذا خطأي لأنه بإمكانني أن أختار ألا أكون حزيناً.

عندما نقرأ قصة يوسف كلها في الكتاب المقدس. نعرف إنَّ عائلته أتت إليه في النهاية ليتوبوا عن معاملتهم السيئة له. وقد ساعدتهم بسخاء في المجاعة. ولكن يوسف لم يكتفِ برفض الغضب وعدم الشعور بالمرارة. بل كان أيضاً مسرعاً في الغفران لإخوته الذين عملوا معه أشياء رهيبة. إنَّ مَنْ يسامح هو دائماً أكبر مَنْ يشعر بالغيرة والغضب. قليلو العقل فقط هم مَنْ يسمحون للغيرة والغضب أن يحددا مصيرهم.

يسوع هو شافينا

نعرف من كلمة الله أنَّ يسوع جاء ليشفي. لكن لا يأتي شفاؤه دائماً عن طريق وسائل معجزية. غالباً يأتي الشفاء عن طريق اتباع وصفة الشافي للحياة السليمة. بمعنى آخر. إن فعلنا ما علّمنا يسوع أن نعمله. لن نكتفي فقط بالحصول على فرح أكبر. لكننا سنكون أيضاً أصحاء أكثر.

«حَيَاةُ الْجَسَدِ هُدُوءُ الْقَلْبِ [القلب والعقل الهادئ غير المضطرب هما حياة وصحة الجسد] وَتَحَرُّ الْعِظَامِ الْحَسَدُ [والحسد والغيرة والغضب هي كالعفن الذي يصيب العظام]»

(أمثال ١٤ : ٣٠).

هذه إحدى الآيات الرائعة بالنسبة لي. يجلب السلام الشفاء. بينما يجلب الحزن. والحسد. والغيرة. والغضب ضعف الصحة. يخبرنا الأطباء أنَّ ٨٠ بالمائة من كل الأعراض الجسمانية يسببها التوتر وأنه من المستحيل التمتع بصحة جيدة إلا عند تقليل التوتر الزائد أو التخلص منه. إنَّ الغضب يجعلني في غاية التوتر. وأنا متأكدة أنه يترك فيك نفس التأثير. إنَّ الغيرة هي الغضب بما يملكه شخص آخر لا يملكه نحن. ولها تأثير سلبي على الصحة.

أي نوع من الغضب. مهما كان أصله. يسبب التوتر. والتوتر يسبب المرض. عندما مررتُ بذلك الموقف مع عمتي. الذي ذكرته لكم سابقاً. أتذكر أنني شعرتُ بإرهاقٍ تام بعد بضعة أيام من ثورة غضبي. كنتُ أشعر بالألم في أماكن متعددة في جسمي. شعرتُ بصداق. وكنتُ مرهقة جداً. ليست إرادة الله أن نغضب. كما أن أجسادنا لا تشعر بالراحة عندما نغضب.

كنتُ أذهب للكنيسة مع امرأةٍ قالت لي إنها كانت تعاني من آلام رهيبة بسبب التهاب المفاصل لسنوات عديدة حتى غفرت لأحد أعضاء أسرتهَا كان قد ظلمها كثيراً. ما أن غفرت له. حتى بدأ الألم يزول تدريجياً بمرور الأيام. ولم يعاودها مرة أخرى. أنا لا أفترض أنك إن كنتَ تعاني من التهاب المفاصل فهذا يعني أنك لم تصفح عن أحدهم. أنا لا أقول إنك إن كنتَ تعاني من الصداق فهذا بسبب الغيرة. لكنني أقترح عليك أن تفحص قلبك وتتخلَّى عن أيٍّ من هذه المشاعر السلبية قبل أن تطلب الشفاء من الله. أنا أؤمن بقوة أنَّ المشاعر السلبية هي السبب الأصلي لكثير من الأمراض وأنَّ الاعتراف بها يمكنه أن يساعدنا في الحصول على الشفاء والطاقة في حياتنا.

قال يسوع: «أنا هو الطريق». عندما نتبع طريقه نحصل على أفضل حياةٍ ممكنة. وعندما نعصى مبادئه علينا أن نتوقع المتاعب في كلِّ نواحي حياتنا.

الاكتفاء

أحتفظ بمذكرات أدوّن فيها كلَّ صباح. وعندما أنظر لما كتبته في السنوات القليلة الماضية. أجد أنني مرات عديدة كتبتُ فيها فقط: «أشعر بالرضا». يعني لي الكثير أن أكون قادرةً على قول شيء كهذا؛ لأنني أضعتُ سنوات عديدة في عدم الرضا. كان هناك دائماً شيء ما عليَّ أن أحصل عليه لأشعر بالاكتفاء. قال الرسول بولس إنه تعلَّم أن يكون «مكتفياً» (راضياً بما وصل إليه وغير منزعج)

مهما كانت الظروف التي كان فيها (في ٤: ١١). أنا أؤمن أنَّ القناعة هي أمر نتعلمه؛ لأن كل إنسان يولد بشعور عدم القناعة. هذا أمر في جسدنا ولن يهدأ حتى نتوقف عن تغذيته.

هل أنت راضٍ؟ إن لم تكن كذلك، اسع وراء القناعة؛ لأنها مكانٌ جميل يحلو السكن فيه. ليس معنى القناعة ألا نرغب في الأشياء. لكنها تعني أننا راضون بما عندنا حتى يرى الله الوقت مناسباً ليعطينا شيئاً آخر. يشعر الوالد بالألم حين يشعر ابنه بعدم الرضا مهما كانت حالة هذا الابن. نحن نرى ما نعمله من أجلهم. وهم يرون ما يمتلكه الآخرون وهم لا يمتلكونه. إنهم يرغبون في أحدث وأفضل تليفون. وأحدث كمبيوتر. وأحذية التنس ذات الأسماء المعروفة. وهكذا. نحن نريدهم أن يكونوا شاكركين على ما عندهم. نحن لا نمانع أن يطلبوا منا ما يريدون. لكننا لا نريدهم أن يضغطوا علينا بمزاجهم السيئ الذي لا يشبع أبداً. إن كان هذا شعورنا تجاه أولادنا، فكيف ينظر الله لعدم اكتفائنا؟ لا أعتقد أنَّ هذا يدفعه أن يعطينا ما نعتقد أننا نحتاجه. لكن قد يدفعه هذا أن يجعلنا ننتظر مدةً أطول حتى نتعلم ما هي الأمور المهمة حقاً في الحياة.

إنَّ أفكارنا تغذي مشاعرنا؛ فإنَّ شعرت بعدم الرضا، فالسبيل للتغلب على هذا هو تغيير تفكيرك. فكّر في ما هو لديك بدلاً من التفكير في ما ليس عندك. تأمل في حكمة الله وصلاحه وداوم على تذكير نفسك بأنه قد سمع صلاتك وسوف يقوم بما فيه خيرك في توقيته الكامل. في كل مرة ترى فيها شخصاً باركه الله، خصوصاً إن كان يملك ما تريده وليس عندك، اشكر الربَّ على بركرته إياه. قم بذلك في طاعة الله، وستجد الفرح ينطلق في قلبك.

صديقتي الغيرة

كانت لي صديقة تغار بك أعطاني إياه الربُّ، وكان هذا يُشعرنى بعدم الارتياح. على سبيل المثال، إن أهداني أحدهم خاتماً، كان تعليق صديقتي هو «كم أتمنى أن يهديني أحدهم خاتماً!» إنَّ من خصائص الصديق الجيد أن يفرح بصدق من أجل صديقه. وبسبب أسلوبها هذا، كنتُ كلما باركني الربُّ بشيء، أفضّل ألا أخبرها. حاولتُ أن أتوخى الحذر في تعليقاتي حتى لا أقول لها أي شيء يغذي فيها الغيرة وعدم الأمان. أصبح التواجد معها أمراً شاقاً بالنسبة لي. وفي النهاية بدأتُ أحاسنها.

من فضلة القلب يتكلم اللسان. يمكننا أن نستمع للغيرة خارجةً من أفواه الآخرين. ويمكننا أن نسمعها تخرج على أفواهنا نحن أيضًا إنْ أصغينا جيدًا. أنا عازمة على أن أعمل في نفسي معروفاً وألا أغار من أي شخص. وأتمنى أن تنضم إليّ في هذا السعي المقدس. الجشع، الحسد والغيرة، كلها أمور تسبب الغضب. والغضب لا يُنتج البرّ الذي يريده الربّ.

الفصل الخامس

إخفاء الغضب وراء القناع

لأن الناس عمومًا يرون الغضب سلوكًا غير مقبول، فنحن نجد طرقًا لإخفائه عن الآخرين وعن أنفسنا أيضًا؛ إذ نلبيس الغضب قناعًا تصرفاتٍ أخرى. يمكن ارتداء القناع لإخفاء شيءٍ لا نُسرُّ برؤيته، كي نمنع الناس من رؤية ما وراء القناع. نلبس الأقنعة في الحفلات التنكرية لمنع الناس من معرفة شخصية من يرتدونها. أو لنخدعهم فيحسبون أننا شخصٌ أو شيء آخر على خلاف حقيقتنا. وحين وقت خلع الأقنعة ومواجهة الغضب على حقيقته والتعامل معه بحسب إرادة الله.

فلنلق نظرةً على بعض الأقنعة التي نرتديها حين نغضب.

قناع البرودة هو قناعٌ منتشر للغضب؛ فإننا نتظاهر بأننا لسنا غاضبين ونصبح باردين (لا يوجد دفاء أو حرارة في المشاعر) في تعاملنا مع الشخص الذي من المفترض أننا لسنا غاضبين منه. أتذكر مرات عديدة أنني كنتُ أصلي صلاةً أسميها «صلاة أغفر لك الرسمية». لكنني أبقي مبتعدةً وباردةً تجاه الشخص الذي قلت لله إنني سامحته. ولأنني مؤمنة، فأنا أعرف أنَّ عليَّ ألا أبقي غاضبةً وأنَّ هذا أمرٌ خطير لأسبابٍ سأناقشها لاحقًا في هذا الكتاب. ولأنني أريد أن أقوم بالصواب، كنتُ أصلي قائلةً: «أنا أسامح ——— لما سبَّبه لي من أذى. ساعدني أن أتغلب على ما أشعر به من ألم». كنتُ أعني ما أقول. لكنني في ذلك الوقت لم أكن أدري أنَّ عليَّ أن أقوم بعمل طاعة بجانب صلاة الطاعة. كان الله يريد مني أن أتخذ الخطوة التالية وأن أعامل الشخص بدفاء وكان شيئًا لم يحدث. لكن لم يكن عندي الاستعداد لفعل ذلك.

يقول الكتاب المقدس في (١ بطرس ٤: ٨) إنه يجب أن تكون محبتنا شديدةً (حارة، حامية). لا يقبل الله الحبة الباردة؛ لأنها تقليدٌ للأمر الحقيقي الذي يريده.

يجب أن تكون المحبة الحقيقية صادقةً، وقويةً، وحارةً، لا باردة أو متباعدة. بحسب كلمة الله، فإن محبة المؤمنين تبرد بسبب الشر المتضاعف وكثرة الإثم (مت ٢٤: ١٢). وكلما اقتربت نهاية الأيام ونحن ننتظر المجيء الثاني للرب يسوع المسيح، يجب أن نقاوم بقوة السماح لمحبتنا للآخرين أن تبرد وتصبح ميتةً.

حيث إنني إنسانةٌ مسؤولةٌ، فأنا أقوم بواجباتي دائماً حتى إن كانت مسؤوليتي هذه هي عن شخص أغضبني. كنت لا أزال أضطلع بمسؤولياتي لكنني كنت غالباً أقوم بها ببرود، ولا أظهر محبةً أو عطفاً صادقين. مثلاً، كانت هناك أوقات حين كنت أغضب من أفراد عائلتي كلهم لأنهم خذلوني في أمر ما. كنت لا أزال أطهو من أجلهم وأقدم لهم العشاء. كنت أقوم بواجباتي، لكن ببرودة وبطريقة آلية. وإن جاء أحد ليسألني إن كان هناك ما يضايقني، كنت أقول: «لا، أنا بخير». أنا متأكدة أننا كلنا نعرف هذا النوع من السلوك. إن هذه هي إحدى الطرق التي نتظاهر بها بأن كل الأمور بخير. لكننا بهذه الطريقة نخبئ خلف قناع على أمل أن نخدع الآخرين للاعتقاد بأننا نتصرف بطريقة سليمة.

يمكنني دائماً أن أعرف حين يقوم أحدهم بشيء ما من أجلي بدافع الواجب، لا بدافع الرغبة، ويجب أن أقول إنني أكره هذا جداً. أفضل ألا يقوم بعمل الأمر لأنني أقدر أن أُميّز الادّعاء. وأنا متأكدة أنّ الآخرين أيضاً يمكنهم أن يشعروا بنفس الأمر حين أتصرّف أنا أيضاً بنفس هذه الطريقة. لقد عقدت العزم على أن أكون صادقةً، بدلاً من التزييف. أرى أنه من الأفضل أن أخبر الشخص بأنني غاضبةٌ وأني أحتاج وقتاً لأتعافى من الأمر بدلاً من التظاهر بأنه لا توجد مشكلة مع أنني أستشيط غضباً من الداخل.

إغلاق حياتنا في وجه الناس

قناع التجنّب. لدينا أساليب كثيرة لإغلاق حياتنا في وجه الناس. التعامل الصامت هو أحد هذه الأساليب. عندما نغضب، ننفجر أحياناً ونهدأ أحياناً. نقول لأنفسنا وللآخرين إننا لسنا غاضبين، ومع ذلك نرفض التحدّث مع الشخص الذي من المفترض أننا لم نغضب منه. وإن كان الحديث لا بد منه، نقول أقل القليل، نبتزم، نمتهم، نوميئ بالرأس، أو نفعل أيّ شيء آخر عدا الكلام الطبيعي. كانت هناك أوقات حين كنت أغضب جداً وأشعر أن فمي مغلق بالأسمنت، وحتى حين كنت أعلم أنّ عليّ أن أتكلّم للشخص الذي أغضبني وأتوقف عن التصرفات الطفولية، كنت أحتاج إلى كل قوة إرادتي حتى أفتح فمي وأتكلّم.

يمكننا أن نغلق حياتنا في وجه الناس عن طريق رفض التلامس معهم. غضبت ذات مرة من ديف وانكمشتُ حرفيًا في جانبي من السرير كأبعد ما يكون عنه حتى لا ألمسه. لدرجة أنني شعرتُ أنني أنام على ندية المرتبة. قضيتُ الليلة كلها أشعر بالبرد لأنني لم أرغب في أن أطلب منه أن يعطيني أغطيةً. كان هذا تصرفًا أحمق من جانبي لأن ديف استغرق في نومه بينما قضيتُ أنا الليلة كلها بائسةً. أتذكر هذه الأوقات وكيف كنتُ أشعر باكتئابٍ في نفسي. وكم أنا سعيدة أنني بمعونة الرب تغلبتُ على هذا السلوك.

هل كنتُ غاضبًا ذات يوم وجنبتُ أن تكون في نفس الغرفة مع الشخص الذي أغضبك؟ إن دخل الغرفة التي أنت بها، جِد لنفسك عذرًا حتى تتركها. إن أراد أن يشاهد التلفزيون، تريد أنت أن تنام، لكن إن أراد أن ينام، تريد أنت أن تسهر وتشاهد التلفزيون. عندما يريد أن يأكل، لا تكون أنت جوعانًا. إن أراد الذهاب للتنشية أو الخروج بالسيارة، تُصاب أنت بالصداع. كل هذه أقنعة نرتديها. نتظاهر بأن كل الأمور بخير مع أنَّ تصرفاتنا تكشف فعلًا عن الحقيقة.

كنتُ أرفض أن أعدّ لديف قهوته في الصباح. أو أطهو له الطعام الذي يحبه. أو أناديه لأخبره بأمور عادةً ما أقولها له. كل هذا وأنا أقول لنفسي إنني قد سامحته على إساءته لي. هذه السلوكيات تبقينا في قيد. لكن طاعتنا لكلمة الله خَرَّنا. يستخدم بعض الوعاظ والرعاة منابرهم لمواجهة مواضيع تغضبهم في رعيتهُم أو في بعض أعضاء الكنيسة. فهم يُليسون غضبهم قناعَ العظة التي من المفترض أنهم تلقوها من الله. كان رجل وامرأة أعرفهما برعيان كنيسة وتطلقا بسبب خيانة الزوج. استمرت المرأة في الوعظ. لكن لقرابة العامين كانت كل عظائهما تدور حول مَنْ يتحكمون بنا ويخدعوننا. كانت تعظ بالأنا نسمح للناس باستغلالنا. وكيفية الحصول على علاقاتٍ آمنة. وأمور أخرى متعلقة بنفس الأمر. كان كل ما تشارك به الرعية يبدو أنَّ له علاقة بالموقف الذي مرت به. كانت تعظ من واقع ألها بدلًا من الوعظ بإرشاد الروح القدس. كانت تقول لي مرارًا إنها قد غفرت لزوجها وإنها تمضي قدمًا في حياتها. لكنها نادرًا ما تكلمت معي دون أن تتكلم عما فعله معها زوجها. طالما كنا نتكلم عن جروحنا، فنحن لم نتعاف منها بعد. قد نتظاهر بأننا قد تعافينا. لكن الحقيقة عكس ذلك.

يقول الكتاب المقدس إنَّ القلب أخدع من كل شيء وإنه من الصعب على المرء أن يعرف قلبه (إر ١٧: ٩). إنَّ خداع النفس هو طريقة للاختباء من الحقيقة. يمكنني أن أقول لنفسي إنني لم أعد غاضبًا وإنني قد غفرتُ. لكن إنَّ عاملتُ الشخص ببرودةٍ ومبادئ في الكلام عما بدر منه وألني. إذًا فأنا لم أغفر وأؤدي نفسي أكثر من أي شخص آخر.

إساءة استخدام الآيات

قناع الآيات. أنا أعتقد أنه يمكننا حتى استخدام آيات الكتاب المقدس لنسكب غضبنا على الناس. المثال الجيد لذلك نجده في (أفسس ٤: ١٥)، حيث يقول: «صَادِقِينَ فِي الْحَقَّةِ». غالباً ما يُساء استخدام هذه الآية لتستر تعبیرنا عن غضبنا وخيبة أملنا من أشخاص عندما نخبرهم بحقيقة ما عملوه. هل نخبرهم بالحقيقة لمصلحتهم أم لمصلحتنا نحن؟ هل نقول الصدق في المحبة بسبب اهتمامنا الصادق بهم. أم أننا وجدنا طريقةً ننسبها لله نقدر بها أن نوبّخهم؟

كنتُ ضحية بعض الناس الذين كانوا «يقولون لي الصدق في المحبة». لكن ما قالوه جرحني. وسبّب لي مشكلةً على التعامل معها. أتذكر سيدةً قالت لي: «يا جويس، لا بد أن أخبرك الحقيقة بشأن أمر ما». وكان يمكنني من نبذة صوتها أن أعرف أنني قد لا أعجبني ما ستقوله. فأخبرتني كيف أنني أسأتُ لها في إحدى عظاتي وكيف أن هذا جرحها جداً. لكنها قالت لي أن أطمئن لأنها قد غفرت لي. كان هذا سخفًا؛ فقد كانت تخدع نفسها. لأنها إن كانت حقًا قد غفرت لي. ما كانت لتحتاج أن تثير الموضوع. لقد كانت فقط تستخدم آيةً لتعبّر عن غضبها عليّ.

كما قلتُ قبلاً، هناك أوقات علينا فيها أن نواجه الآخر بما اقترفه. لكن علينا أن نتأكد أننا نفعل ذلك لحيره هو أيضًا كما أنه لخيرنا. لا يحب البعضُ المواجهة. لكن هذه لم تكن مشكلتي أبدًا. في الواقع، كان عليّ أن أتعلّم ألا أواجه إلا عندما يرشدني الله لذلك. هناك مواقف يريد منّا الله فيها أن نحتفظ بها لأنفسنا دون أن نخبر عنها أي شخص. لا يعني مجرد أن شخصًا ما جرح مشاعري أنني لا بد أن أخبره بذلك. قد يكون قرارك أن «تستر» الإساءة وتتخلّى عنها قرارًا أعظم وأكثر تقوى.

يمكن لغضبنا أن يتحوّل لدراما؛ فنحن مُمَثِّل فيه بطرق مختلفة. ومن المؤسف أن أقول إننا نخدع أنفسنا عندما نعتقد أننا لسنا غضوبين. اطلب من الله أن يخبرك إن كنتَ تخبّي غضبك حتّى قناع ما. وابدأ في السماح لله بجلب الشفاء لحياتك. ومرة أخرى اسمح لي أن أدّكرُك، «الحق يحرركم».

حياتي تعمها الفوضى بسبب الغضب

حقيبة من المسامير

يُحكى أنَّ ولدًا صغيرًا كان كثير الغضب. أعطاه أبوه حقيبة مليئةً بالمسامير وقال له إنه في كل مرة لا يضبط غضبه عليه أن يدق مسمارًا في السور. في أول يوم، قام الولد بدق سبعة وثلاثين مسمارًا في السور. لكن تدريجيًا، تقلص عدد المسامير التي تم دقها في السور؛ فقد اكتشف أنَّ ضبطه لغضبه أسهل من دق هذه المسامير في السور. وأخيرًا، أتى اليوم الذي لم يفقد فيه الولد أعصابه ولا مرة. فأخبر والده بما حدث وهو فخور بنفسه. فما كان من الأب إلا أنه قال له إن عليه الآن أن يقتلع مسمارًا عن كل يوم يتمكن فيه من السيطرة على أعصابه. مرت الأيام وتمكن الولد أخيرًا أن يقول لأبيه إنه اقتلع كل المسامير. أخذ الأب ابنه من يده وذهب به للسور. وقال له: «لقد أبليتَ بلاءً حسنًا يا بني. لكن انظر للثقوب التي في السور. لن يكون السور على سابق عهده أبدًا. عندما تقول شيئًا في غمرة الغضب، تترك ندبةً كهذه. يمكنك أن تغرس سكينًا في جسد شخص وتخرجها منه. ومهما قلت له إنك أسف، فإنَّ الجرح لا يزال موجودًا».

ما هي نتيجة الغضب طويل المدى؟ سيدمر كل جوانب حياتك. الجسد والنفس، والروح تتأثر سلبًا. يتم تدمير صحتنا وعلاقاتنا. إنَّ الغضب يعيق المستقبل الناجح؛ لأنه يغيّر من شخصيتك، فالإنسان الغضوب لا يقدر على الاحتفاظ بوظيفته. لا يمكنني أن أكون كما يريدني الربُّ إن بقيتَ غاضبًا. أنا أعتقد أنَّ كلَّ المجتمع يتأثر بغضبنا. لكننا نحن من يتأثر أكثر من أي شخص آخر لذلك أقول وأكرر: «اعمل في نفسك معروفًا واغفر» تذكّر أنه حتى إن كان غضبك هو نتيجة إساءة مبرّرة، فأنت مازلتَ لم تساعد نفسك أو حلَّ الموقف إن بقيتَ غاضبًا.

مكتوب على شواهد أحد القبور:

هنا جد دان القذر راقداً

كان دان رجلاً غاضباً

دائم التجهّم، دائم الصياح

مات صغيراً، والكل ارتاح.

يفرح الجميعُ عندما لا يتواجد الشخصُ الغضوب؛ لأنه يضع ضغوطاً علينا كلنا. كان أبي رجلاً غضوباً أغلب حياته، وخلق غضبه جواً من التوتر نعيش فيه. وقد قالت لي أُمي مراراً منذ أن مات كم إنها تستمتع بالجلوس في شقتها في هدوءٍ وسكينة. بقيت أُمي مع أبي بسبب التزامها بزواجها. لكن التوتر الذي مرت به أضّر بصحتها، والغضب الذي أحس به أبي أضّر به هو.

إنَّ التوتر، وخصوصاً التوتر طويل الأمد، يُرهق كلَّ أعضاء الجسم. ضغط الدم، القلب، والمعدة، كلها تتأثر بالتوتر. يشيخ الغاضبون أسرع من المسالمين: الصداق الشديد، مشاكل القولون، القلق، أو اضطرابات المناعة، القائمة طويلة جداً في الحقيقة. الحقيقة هي أنَّ الغاضبين يموتون أسرع من هؤلاء الذين يغفرون سريعاً.

أنا أؤمن أنه قد حان الوقت لتواجه حقيقة الغضب وتعامل معها. إن كنت إنساناً غضوباً، اتخذ قراراً أن تصل لجذر المشكلة وأن تعمل مع الروح القدس لتحرر منه. لا تخف الغضب تحت قناع أو تتجاهله. قاومه مواجهةً وسمِّه باسمه. ليس شيئاً جذاباً أن تقول: «أنا غاضب» لكن الاعتراف بالأمر هو الخطوة الأولى نحو التغلب عليه. يجب أن تقوم بهذا الأمر بنفسك. سوف يستفيد الآخرون من آثار توقفك عن الغضب لكنك ستكون أكثر المستفيدين.

كنتُ قد بلغتُ الثانية والثلاثين من عمري قبل حتى أن أنفتح على حقيقة ماضي. لقد اعتدى والدي عليّ جنسياً. كان يتحرش بي منذ نعومة أظافري حتى كبرتُ بالشكل الذي يسمح له بممارسة الجنس معي. وفي آخر خمس سنوات لي في البيت، اغتصبني ما يقرب من مائتي مرة. أعلم أن هذا يبدو صادمًا، لكن مواجهة الحقيقة كما هي، كانت من الأمور التي كان عليّ أن أقوم بها حتى أتغلب على الموقف (تفاصيل قصتي متوفرة على أقراص دي في دي في خدمتنا).

بعد أن انتقلتُ من بيتي في سن الثامنة عشرة، افترضتُ أنني تركتُ المشكلة ورائي. بالطبع، كنتُ أشعر بمرارةٍ وكنتُ أكره أبي جداً، لكنني لم أكن أدري كم أن هذا الأمر يؤلّني. عندما بدأتُ رحلة مواجهة الحقيقة والغفران، لم تكن لديّ أدنى فكرة كم أن هذا سيفيدني على المدى الطويل. كنتُ في البداية أود فقط أن أطيع الربَّ وأغفر. لا يقدر الغاضبون أن يحبوا بطريقةٍ سليمةٍ؛ لأن ما بداخلنا يظهر بطريقةٍ ما. كان كلُّ مَنْ يعرفني يعاني بسبب غضبي واستيائي، ولم أكن أدري ذلك. كان غضبي متأصلاً بقوةٍ في أعماقي. لقد كان في تفكيري، ومشاعري، وكلماتي، وكل تصرفاتي؛ حيث إنه أصبح جزءاً مني. كان الغضب متواجداً معي لمدة طويلة حتى أنني لم أكن أعرف أنَّ هذا غضب.

عندما درستُ كلمة الله، ابتدأ الروح القدس يريني المشاكل التي كانت لديّ. وقبل ذلك، كان كلُّ ما أفكر فيه هو ما فعله الآخرون بي. ولم يطرأ ببالي أنّ رد فعلي على تصرفاتهم هي شيء لابد أن أنظر فيه. كنتُ أرى أن لي الحق في أن أكره وأرفض ليس فقط أبي الذي تسبّب لي في الألم، بل أيضًا كلّ مَنْ كان يمكنه أن يساعدني ولم يفعل. كيف يمكن لله أن يطلب مني أو مَن تعرضوا للاعتداء مثلي أن يغفروا هذه الإساءات التي لا يمكن التعبير عنها؟ إنه يطلب منّا ذلك؛ لأنه يعرف أنّ هذا فيه خيرنا. إنّ الله لديه خطة لاستردادنا الكامل. وأي شيء يطلب منا أن نقوم به فهذا بسبب حبّه لنا ولأنه يفكر في مصلحتنا. سيعطينا الله النعمة لنغفر حتى إنّ بدا ذلك لنا مستحيلًا. هذا إن كانت لدينا الرغبة في أن نطيعه.

عندما أكلمكم عن تخطي الغضب واتّخاذ الغفران كأسلوب حياة، فأنا أقوم بذلك من واقع الخبرة. لستُ فقط أعرف كم أنّ هذا صعب. لكني أعرف أيضًا كم سيكون هذا شيئًا قيّمًا ما أن تقوم به. لذلك، أشجّعك بقوة ألا تكتفي فقط بقراءة هذا الكتاب وتقوم بقهر كتاب آخر وإضافته لقائمة «كتب قرأتها» لكن اقرأه بقلب منفتح واستعداد لتطبيق ما تقرأه في حياتك.

إنّ الله عنده حياة رائعة سبق ورثبها وأعدّها لكل شخص. وإن تعاوننا معه بعمل ما يطلبه منّا، سنتمتع بهذه الحياة. إنّ لم نفعل ذلك، سنفقد هذه الحياة. سيظل الله يحبُّنا، لكننا سنفقد فرحة خطته الصالحة. اعمل في نفسك معروفًا وارفض أن تفقد أمرًا واحدًا صالحًا ما أعده الله لك.

الفصل السادس

مَن الذي يُغضبك؟

كما قلنا قبلًا، نحن نغضب غالبًا من هؤلاء الذين آذونا وجرحونا. قد نشعر بالغضب تجاه مَن جرحونا منذ زمنٍ بعيدٍ وهؤلاء الذين يؤذوننا يوميًا. نحن نغضب من الظلم، وتصرخ نفوسنا «هذا ظلم!» لكن ليس من الضروري أن يكون الآخرون هم دائمًا مصدر الغضب. يخبرنا الكتاب المقدس أنَّ علينا أن نكون في سلام مع الله، ومع أنفسنا. ومع الآخرين (١ بط ٣: ١٠-١١).

أنا غاضب من نفسي

هل أنت غاضبٌ من نفسك؟ كثيرون من الناس كذلك. في الواقع، نحن لا نغامر حين نقول إنَّ مَن يغضبون من أنفسهم عددهم أكبر من هؤلاء المستمتعين بالسلام مع النفس. لماذا؟ كما قلنا من قبل، نحن لدينا توقعات غير واقعية، ونقارن أنفسنا بالآخرين، ونشعر بأننا أقل منهم. قد يكون بداخلنا إحساسٌ عميق بالخجل من شيء فعلناه أو فعله أحدهم بنا. نشعر بالذنب الكبير حتى أننا نغضب من أنفسنا. وفي الأغلب الأعم، يغضب الناس من أنفسهم لأنهم يقومون بعمل أشياء لا يوافقون عليها ولا يعرفون كيف يتقبلون غفران الله وقوته للتغلب على سلوكهم غير المقبول.

صدق أو لا تصدق، أول خطوة تجاه السلام مع نفسك هي أن تنظر للخطية في عيناها وتدعوها باسمها. ليس التجاهل أو اختلاق الأعذار للسلوك السيئ هو الطريق للحرية على الإطلاق. طالما نقوم بعمل الخطايا، لن نتمكن أبدًا من

الحصول على السلام الحقيقي مع أنفسنا. وإذا فشلنا في الاعتراف بالخطية ونحملُ مسؤوليتنا عنها، فستظل تُؤرقنا.

قبول غفران الله

عندما نعترف بأننا خطاة، علينا أن نتوب عن خطايانا. يعني هذا أننا لا نكتفي فقط بالندم على خطايانا، لكن أننا عازمون أيضاً على أن نتحول عنها. إِنَّ الحياة في الخطية هي مستوى حياة متدنٍّ، لكن عندما نتوب، نرجع للمكانة العليا التي يريدها الله لنا. إِنَّ السقيفة هي أعلى شقة في عمارة سكنية. إنها الشقة التي في آخر طابق. عندما نتوب، نعود إلى المكانة العليا التي يريدها الله لنا. مكان السلام والفرح في بره.

قد يكون الاعتراف الكامل بخطيتنا وحملُ المسؤولية عنها أمراً صعباً في البداية. من المتوقع أننا قضينا عمرنا في لوم الآخرين واختلاق الأعذار، لذا يصعب علينا أن نقول ببساطة: «أنا مذنب. لقد ارتكبتُ خطيئة» لكن الجميع أخطأوا وأوزعهم مجد الله. لذا عندما نقول إننا أخطأنا فهذا لا يضعنا في مكانةٍ أسوأ من أي إنسان آخر على الأرض.

«إِنْ قُلْنَا: إِنَّهُ لَيْسَ لَنَا خَطِيئَةٌ [إِنْ رَفَضْنَا أَنْ نَعْتَرِفَ بِأَنْنَا
خطاة] نُضِلُّ أَنْفُسَنَا وَلَيْسَ الْحَقُّ [الذي يقدمه الإنجيل] فِينَا
[لا يعيش في قلوبنا]. إِنْ اعْتَرَفْنَا [بإرادتنا] بِخَطَايَانَا فَهُوَ
أَمِينٌ وَعَادِلٌ [أمين لشخصه ووعوده]، حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا
[يخلصنا من تمرُّدنا] وَ[باستمرار] يُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ [كل ما
لا يتَّفِق مع إرادته في أهدافنا، وأفكارنا، وأعمالنا]»

(١ يوحنا ١: ٨-٩).

هناك الكثير مما أحبه ويعزّيني في هذه الآيات. لكن ما أحبه على وجه الخصوص هو أَنَّ الربَّ يداوم على تطهيرنا من كل خطيئة. اعتقد أَنَّ هذا يرينا أننا طالما سيرنا مع الله، وسارعنا بالاعتراف بالخطية والتوبة عنها بانتظام، سيبقى

دائمًا يطهِّرنا. يقول الكتاب المقدس إنَّ يسوع جالسٌ عن يمين الله يشفع فينا باستمرار. وأعتقد أنَّ هذا يرجع لكوننا نحتاج إلى ذلك باستمرار. هذا أمر يعزِّزني أيضًا.

الربُّ يطهِّرنا من كلِّ إثم. وإنَّ آمَنَّا بذلك وقبِلنا غفرانه بالإيمان. يمكننا أن نتغلَّب على غضبنا من أنفسنا. لا توجد خطية قمتُ أنا أو أنت بارتكابها تتعدَّى «كل» التي وعد بها الرب. عندما يقول «كل» فهو يعني «كل».

كما أنَّ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله. فكَذلك أيضًا الجميع مُتبرِّرون ومتصالحون مع الله بالفداء الذي بيسوع المسيح (رو ٣: ٢٣-٢٤) «الجميع» هنا تشملني وتشملك.

إنَّ غفران الله هو عطية مجانية. ولا يوجد ما يمكننا عمله إزاء هدية مجانيةٍ إلا أن نقبلها ونشكر منَّ أجلها. أعتقد أننا كثيرًا ما نطلب الغفران لكننا لا نقبله. بعد أن نطلب الغفران من الله على شيء خطأ قمتُ به. قلُّ له إنك تقبل عطيته وانتظر في محضره للحظة التي تشعر فيها أنك أدركت في أعماقك روعة هذه العطية.

لا تخف من الخطية

في كل مرة نخاف من شيء ما. نعطيه سلطانًا علينا. ولهذا السبب أشجّعك ألا تخاف من الخطية. كتب الرسول بولس قائلاً إنَّ الخطية ليست لها قوة علينا فيما بعد إنَّ آمَنَّا أننا متنا عندما مات المسيح وقمنا حين قام لنحيا حياة جديدة له (رو ٦: ٨-٥). لقد تكفل يسوع بالكامل بمشكلة الخطية. وهو لا يكتفي فقط أن يغفر لنا بالكامل وباستمرار. لكنه أرسل لنا أيضًا روحه القدوس ليبيكِّتنا على الخطية في حياتنا اليومية ويقوِّنا عليها.

عندما نعرِّف في البداية بأننا خطاة وأننا نحتاج مُخلِّصًا ونقبل يسوع المسيح بصفته الوحيد القادر على تسديد هذا الاحتياج نكون في طريقنا نحو حياة جديدة وأسلوب حياة جديد. كنا قبلاً خطاةً ولا نهتم. لكننا قبِلنا روح الله في قلوبنا. فأصبحنا حسَّاسين جدًّا تجاه الخطية وسنقضي حياتنا نقاومها ونجتنبها. نحن نقوم بذلك بسرور كخدمةٍ لله. ونحن نثق بالكامل أنَّ الروح القدس سيساعدنا. سوف نواجه جميعًا التجارب. ويمكننا أن نطمئن أنَّ الله لن يسمح لأيِّ جُريرةٍ أن تتغلب علينا. وهذا أمر ليس بغريب على البشر (١ كو ١٠: ١٣).

بمعنى آخر. ليست جبارينا أسوأ من جارب الآخرين. علينا أن نؤمن بأنها ليست أكبر من قدرتنا على التحمل. إنَّ الله لا يسمح بما هو أكبر من حَمَلْنَا. وهو في كل تجربة يعطي أيضًا المنفذ. هذه أخبار سارة حقًا! ليس علينا أن نخاف من التجربة؛ لأنَّ الأعظم يعيش فيها. ويعطينا قوة إلهية لنقاوم. إن كنا نثق فيه ونطلب معونته. يضعف الناس أمام التجربة عندما يحاولون أن يقاوموها بقوةتهم الذاتية. أو عندما يعتقدون خطأ أنهم لا يقوون على المقاومة. كثيرًا ما أسمع الناس يرددون عبارات سخيفة مثل: «إنَّ تناولتُ قطعة شوكولاتة واحدة، لا أقدر أن أمتنع نفسي من التهام باقي العبة». أو «أعلم أنَّ السكر مُضَرٌّ لي. لكني لا أقدر أن أمتنع عن تناول الشوكولاتة يوميًا». أقول إنَّ هذه عبارات سخيفة لأنها مؤسَّسة على أكاذيب نصدقها. يخبرنا إبليس بأننا ضعفاء ولا نقدر على مقاومة حتى أبسط الإغراءات. لكن الله يخبرنا بأننا أقوياء به ولا يوجد ما هو أكبر من قدرتنا على المقاومة. ما نقرر أن نصدق هو العامل الذي يحدِّد إن كنا سنلين أمام الخطيئة أم سنهزمها. اقض وقتًا واسأل نفسك إن كنت تصدِّق أمورًا لا تتفق مع كلمة الله. هل تؤمن بأنك تقدر أن تقاوم التجربة بقوة الروح القدس وباختبار ثمرة ضبط النفس. أم أنك تؤمن بأنَّ هناك بعض التجارب التي لا يمكنك مقاومتها؟ ما نؤمن به هو ما يصبح حقيقتنا؛ لذلك. من المهم لكلِّ منَّا أن يعرف أنَّ ما نؤمن به هو حق وليس خداعًا من إبليس.

صلَّى الرسول بولس أن تعرف الكنيسة القوة التي لها في يسوع المسيح وتؤمن بها. إن كنت مؤمنًا بيسوع المسيح. فلديك قوة ويمكنك أن تقاوم التجربة. كلنا نخطئ. وطالما كنا في أجسادٍ من لحم ودم ونفس لم نتجدد بالكامل. سنحتاج للغفران. لكن ليس علينا أن نخاف الخطيئة. انظر بتمعن في هذه الآيات:

«يَا أَوْلَادِي، أَكْتُبُ إِلَيْكُمْ هَذَا لِكَيْ لَا تُخْطِئُوا [وتكسروا ناموس الله]. وَإِنْ أَخْطَأَ أَحَدٌ فَلَنَا شَفِيعٌ [شخص يتشفع من أجلنا] عِنْدَ الْآبِ، [هو] يَسُوعُ الْمَسِيحُ الْبَارُّ [كلِّي البر، العادل الذي أرضى إرادة الله الآب في كل هدف وفكر وعمل]. وَهُوَ [يسوع المسيح نفسه] كَفَّارَةٌ [ذبيحة الكفارة] لِخَطَايَانَا. لَيْسَ لِخَطَايَانَا فَقَطْ، بَلْ لِخَطَايَا كُلِّ الْعَالَمِ أَيْضًا»

(١ يوحنا ٢: ٢-١).

هذه الآيات مُذهلة في روعتها. عندما أدركتها لأول مرة كنتُ في فترةٍ في حياتي أمر فيها بصراع في محاولاتٍ يوميةٍ لفعل كل شيءٍ صائبًا حتى أشعر بالرضا عن نفسي وأعتقد أنَّ الله غير غاضبٍ مني. ومن الواضح أنَّ تفكيري هذا كان خاطئًا. لكن هذه كانت حقيقتي في هذا الوقت. وعندما أدركتُ أنَّ ما عليَّ أن أفعله هو أن أقوم من النوم صباحًا وأبذل قصارى جهدي وأثق أنَّ الله سيهتم بأخطائي التي أرتكبتها. شعرتُ وكأنَّ حِملاً ثَقِيلاً ارتفع عن كاهلي. تقول هذه الآيات إنَّ يسوع هو الكفارة عن خطايانا. ماذا يعني هذا؟ تعني أنه هو الذي أَرْضَى غضب الله من ناحية الخطية.

إنَّ الله يكره الخطية حقًّا، لكنه لا يكره الخطاة. عندما تكون امرأة غاضبة من زوجها لأنه لا يحترمها. ثم يرسل لها عشرات الورد الحمراء مع اعتذار مكتوب. تصبح الزهور ترضيةً عن غضبها. تسامحه وتعود الأمور إلى مجاريها. يسوع مثل تلك الزهور التي تم تقديمها لله حين كان غاضبًا من خطيتنا. إنه هو كفارتنا. وقد سامحنا الله من أجل يسوع. لا يوجد شيءٍ لدينا يكفي أن يكون ترضيةً ولا يوجد ما يمكننا أن نعمله لنقدِّمه كذبيحةٍ عن خطايانا. لكن يسوع هو الذبيحة التامة وهو البديل عَنَّا. يسوع هو شفيعنا الذي أخذ مكاننا أمام الله. ونحن نلنا الغفران بإيماننا به.

الإيمان بهذه الحقائق هو الخطوة الأولى في الجَّاه الحرة من الخطية ومن الغضب من نفسك بسبب الخطية. عندما أرتكب خطيةً. أشعر في الغالب بخيبة الأمل في نفسي وأصلي أن أكون أحسن. لكني لم أَعُدْ أغضب من نفسي. لأنني أعلم أنَّ هذه ليست إرادة الله وأنَّ هذا لا يؤدي لشيءٍ على الإطلاق.

التعامل بقسوة مع الخطية

بالإضافة لمعرفة كيفية قبول غفران الله العاجل الكامل عندما نرتكب الخطية. علينا أيضًا أن نقاوم الخطية بقسوة ونتعامل معها بقوة. إنَّ حقيقة أنَّ الله يريد أن يغفر لنا لا تعني أننا يمكننا أن نرتكب الخطية كما يحلو لنا ونرى أنها لا تمثل مشكلةً. إنَّ الله يعلم ما في قلوبنا. ولا يوجد شخصٌ له قلب مستقيم أمام الله إن لم يكره الخطية ويعمل كلَّ ما بوسعه ليتجنَّبها.

سأل أهل رومية بولس إن كان عليهم أن يستمروا في خطيتهم حتى تتفاضل نعمة الله (صلاحه وغفرانه) وتكثر. فأجابهم بولس قائلًا: «تَحَنُّ الَّذِينَ

مُتُّنَا عَنِ الْخُطِيَّةِ كَيْفَ نَعِيشُ بَعْدَ فِيهَا؟» (رو ١: ٢-١). أعاد بولس تذكيرهم بأنهم عندما قبلوا المسيح، اتَّخَذُوا قَرَارًا بأنه لم تُعَدْ لهم علاقة فعَّالة بالخطية فيما بعد. إِنَّ الخطية لا تموت أبدًا، ستبقى دائمًا على قيد الحياة وبصحة جيدة على كوكب الأرض، لكننا نحن الذين نموت عن الخطية. لقد أعطانا الله قلبًا جديدًا وروحًا، وهذا يعني أن لدينا معنى جديدًا للكلمة «أريد». نحن نقضي حياتنا في مقاومة الخطية، وهذا ببساطة لأنه لم تُعَدْ لدينا رغبة في الخطية. ما أن يصبح هذا اتجاهنا، عندما نرتكب الأخطاء، حتى نجد الله على استعداد دائم أن يغفر لنا. إِنْ كُنْتَ مُؤْمِنًا حَقِيقًا، أَسْتَطِيعُ أَنْ أُؤَكِّدَ لَكَ أَنَّكَ لَنْ تَصْحُو مِنَ النُّومِ تَبَحُّثَ عَنْ طَرِيقٍ لَارْتِكَابِ الخطية والإفلات بها. ستبذل كلَّ ما بوسعك حتى تعيش حياة مرضيةً أمام الله.

إِنْ لَمْ نَحْلَمْ بِفِكْرِ عِدَائِي وَقَوِي جَاهِ الخطية سَيَدِينُنَا قَلْبُنَا وينتهي بنا الأمرُ إِلَى حَالَةٍ مِنَ الغضب من أنفسنا. يُعَلِّمُنَا الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ أَنْ نَتَعَامَلَ مَعَ الخطية بِقَسْوَةٍ شَدِيدَةٍ، بل وبعنف أيضًا. نَرَى فِي (متى ١٨: ٩-٨) أَنَّهُ إِنْ كَانَتْ عَيْنُنَا نَعَثْرًا، فَعَلَيْنَا أَنْ نَقْتُلِعَهَا، وَإِنْ أَعَثَرْنَا أَيْدِينَا، فَعَلَيْنَا قَطْعَهَا.

لَا أُوْمِنُ أَنَّ عَلَيْنَا أَنْ نَأْخُذَ هَذَا الْكَلَامَ حَرْفِيًّا، بَلْ عَلَيْنَا أَنْ نَرَى أَنَّ اللَّهَ يَأْمُرُنَا بِأَنْ نَتَّخِذَ مَوْقِفًا مُتَشَدِّدًا مِنَ الخطية، أَنْ نَقْتَطِعَهَا حِينَ جُذِّهَا فِي أَيِّ مَكَانٍ فِي حَيَاتِنَا. إِنْ اسْتَلِمْتَ مَجَلَّةً فِي بَيْتِكَ وَبِهَا صُورٌ لِنِسَاءٍ بِمَلَابِسٍ فَاضِحَةٍ (وهذا يحدث كثيرًا) وتبدأ عيناك في رؤيتها والاستمتاع بها، فقم بسرعة بتمزيق المجلة وألقها في القمامة. تعامل مع الأمر بسرعة. لا تعبث مع الخطية. هناك حرفيًا عشرات الأمثلة التي يمكنني أن أسردها لك، لكنني سأسرد عليك مَثَلَيْنِ آخَرَيْنِ. إِنْ كُنْتَ امْرَأَةً مُتَزَوِّجَةً، وَابْتَدَأَ رَجُلٌ مَعَكَ فِي الْعَمَلِ فِي التَّوَدُّدِ إِلَيْكَ، ثُمَّ دَعَاكَ أَنْ تَتَقَابَلَا لِتَشْرَبَا الْقَهْوَةَ مَعًا لِتَتَكَلَّمَا فِي أُمُورِ الْعَمَلِ بِالنَّطِيعِ، ثُمَّ تَشْعُرِينَ فِي أَعْمَاقِ قَلْبِكِ بِأَنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَيْسَ مِنَ الْحِكْمَةِ، فَعِنْدَمَا تَشْعُرِينَ بِذَلِكَ، عَلَيْكَ بِاقْتِلَاعِ الْأَمْرِ قَبْلَ أَنْ يَتَحَوَّلَ لِمَشْكَلَةٍ حَقِيقَةٍ. إِنْ نَشِبَ خِلَافٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَحَدِ أَفْرَادِ عَائِلَتِكَ، وَحَثَّكَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ أَنْتِ مِنَ الْبَادِرِ بِصَنْعِ السَّلَامِ، فقم بهذا الأمر بسرعة قبل أن تقنع نفسك بعدم عمله، وهذا سيحميك من خطية البقاء غاضبًا. يُعَلِّمُنَا الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ فِي (رومية ١٣: ١٤) أَلَّا نَدْعَ مَكَانًا لِلْجَسَدِ، وَمِنَ الْمَعَانِي الَّتِي تَوْجَدُ هُنَا أَلَّا نَخْتَلِقَ لَهُ أَعْزَارًا وَلَا نَعْطِيهِ فُرْصَةً. إِنَّ الْمَرْأَةَ الْمُتَزَوِّجَةَ الَّتِي تَقَرَّرُ أَنْ تَشْرَبَ الْقَهْوَةَ مَعَ زَمِيلٍ لَهَا بِالْعَمَلِ بَعْدَ أَنْ شَعُرَتْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى أَنَّ هَذَا خَطَأٌ، فَهِيَ بِذَلِكَ تَعْطِي فُرْصَةً لِلْخُطِيَّةِ.

ذات مرة، قرأتُ قصةً عن فتاةٍ صغيرةٍ كانت تمشي في طريق جبلي. وكان الجو بالخارج بارداً جداً. قامت حية بالتسلل لجانبها وتوسّلت للفتاة أن تسمح لها بالاستراحة في معطفها. قامت الفتاة بمقاومة الفكرة لفترة قصيرة، لكنها في النهاية رضخت لطلب الحية. وبعد فترةٍ قصيرةٍ قامت الحية بلدغ الفتاة، فصرخت الفتاة: «لماذا تلدغيني وقد كنتُ طيبةً معكِ؟» فأجابته الحية: «لقد كنتِ تعلمين مَنْ أنا حين خبأتيني!» أعتقدُ أننا كلنا نرى أنفسنا في هذه القصة القصيرة. لقد مررنا كلنا بالتأكيد بأوقاتٍ في حياتنا كنا ندري فيها في أعماقنا أنَّ علينا ألا نقوم بأمرٍ ما. لكن مع استمرار التجربة، خضعنا وقمنا به، وكانت النتيجة هي الظروف السيئة. كلنا نرتكب الأخطاء، لكن ليس علينا أن نستمر في ارتكابها. من أحكم الأمور أن نتعلَّم من أخطائنا.

يأمرنا الله بأنْ نقتل ونطرح كُلَّ ثِقَلٍ وَالْخَطِيئَةِ الْحِيطَةِ بِنَا بِسُهُوَةٍ (عب ١٢: ١). هذا يجعلنا نشعر بأنَّ علينا أن نتعامل مع الخطية بقسوةٍ وبسرعةٍ. وإنَّ قمنا بذلك، سنحصد مكافأة الحياة الصحيحة، وسنحصل أيضاً على السلام في قلوبنا عالمين أننا قمنا بالصواب.

أشكر الله من أجل غفران الخطية، لكني لا أريد أن أحتاجه في كل مرة ألتفتُ فيها. إنَّ رغبتني هي أن أدرب نفسي على القيام بالاختيارات السليمة حتى أحصل على الفرح الناتج من إيماني بأني أرضيتُ قلبَ الله.

الخطية المختبئة

لا نقدر أن نتعامل مع الخطية بقسوةٍ وفعاليةٍ إنْ اخترقنا لها العذرَ أو أبقيناها مخفيةً. علينا جميعاً أن نفحص قلوبنا وأن نتحلَّى بالشجاعة الكافية لنكون أمناء مع أنفسنا بشأن سلوك الخطية في حياتنا. قال الرسول بولس إنه كان يدرب نفسه لِيَكُونَ لَهُ دَائِمًا ضَمِيرٌ بِلَا عَثْرَةٍ مِنْ نَحْوِ اللَّهِ وَالنَّاسِ (أع ٢٤: ١٦). يا للجمال! كان يعمل جاهداً حتى يكتشف الخطية في حياته ويبقيها بعيداً عنه. كان بولس يعرف قوة التحلّي بضمير نقي أمام الله. علينا أن نبذل أقصى جهد حتى لا نرتكب الخطية، لكن إنْ ارتكبناها، علينا ألا نخلق لها الأعذار، أو نبقيها مخبئةً. إنَّ لأسرارنا القدرة على تحويل حياتنا للبؤس، لكن الحق يحررنا. «كُلُّ مَا لَيْسَ مِنَ الْإِيمَانِ فَهُوَ خَطِيئَةٌ» (رو ١٤: ٢٣). إنَّ لم نعمل ما نعمله بإيمان، فعلينا ألا نعمله. إنْ كان أمرٌ ما خطيئةً، فادعه «خطيئةً». لا تسمِّه مشكلتك. أو

ما تتعلق به، أو إيمانك، الخطية قبيحة، وإن ألبسناها كلمات لها وَقَع أفضل، فسوف نحفظ بها.

علينا أن نفحص حياتنا تحت ضوء كلمة الله، ويجب أن نرى كل ما لا يتفق معها على حقيقته ونقاومه بكل ما أتانا الله من قوة. إن طلبنا من الله، سيعيننا دائماً. نحن شركاء مع الله، وهو لا يتوقع منا أن نعمل أمراً ما دون معونته، دعني أقولها مرة ثانية: «لا تُخَفِ الخطية، أخرجها للعَلَن، ادعها باسمها، ولا تخلق لها أعذاراً أو تلق باللائمة على الاختبارات الخاطئة أو على شخص آخر. اقبل غفران الله التام لخطاياك السابقة واعمل مع الروح القدس لتقاوم بقوة أي تجربة في المستقبل». والآن، اعمل في نفسك معروفاً واغفر لنفسك بالتمام والكمال، تخلّ عن أي غضب قد يكون بداخلك من نفسك عن أي اختبارات فشلت من جانبك، وابدأ في الحياة الصالحة التي سبق الله وأعدّها لكي تسلك فيها (أف ٢: ١٠).

هل أنت غاضب من الله؟

إن كنت قد سمعت شيئاً عن الله، فقد سمعت أن الله صالح وأنه يحبنا. لذا، فمن الطبيعي أن نندهش! لماذا يوجد هذا الكمّ الهائل من الألم والمأساة في العالم. إن كان الله لديه مُطلق السلطان ويمكنه أن يعمل ما يريد! لماذا لا يمنع الألم؟! إن أسئلتك كهذه، وأخرى مثلها، حَيَّرت العقل البشري منذ بدء الزمان. هناك إساءة موجّهة للأطفال، ونسمع دائماً أخباراً حروب ودمار، وتقضي الجماعات على حياة ملايين من البشر. أحياناً يموت الطبيبون في سنٍّ صغيرة، بينما يعيش الأشرار ومن يبدون بلا فائدة حياةً طويلة، يعم المرض كل أركان الأرض، وهو يهاجم الطبيين والأشرار على حدٍّ سواء، تصرخ نفوسنا: «هذا ليس عدلاً! أين العدل؟ أين الله؟

بالنسبة لمن يبحث عن حجة حتى لا يؤمن بالله، فهو يمضي إلى ما أبعد من هذه الأسئلة التي بلا إجابة، فهو يقول ببساطة: «إن كان الله موجوداً حقاً، كان سيمنع الألم؛ لذلك، لا أقدر أن أؤمن بأن الله موجود». لكن يوجد أيضاً ملايين الأشخاص الطبيين الذين يؤمنون بالله حتى إن لم يجدوا إجابات عن هذه الأسئلة المحيرة.

إن كنت تتمنى أن أعطيك إجابات شافية بشأن هذه الأمور، فأريد أن أقول لك الآن إنني لا أملك إتياء منها. لا أقدر أن أُعلّل هذه الأمور بكفاءة، ولا أعتقد أنه

يوجد مَنْ يُقدِّر على ذلك. لقد قرَّرتُ ببساطة أن أؤمن بالله؛ لأنِّي - كي أكون أُمِينَةً معكم - بدونهُ، لا أعتقد أنني أريد أن أكون على قيد الحياة. إنه هو حياتي. وأفضَّل أن أمتنع بعلاقة مع الله دون أن أفهم كلَّ شيءٍ عنه على العيش بدونهُ. لم يَعدُنَا الله أبدًا بحياةٍ بلا ألم، لكنه وعدنا أن يعزِّبنا ويعطينا القوة على الاستمرار. وقد وعدنا أيضًا أن يُخْرِجَ خيرًا من كلِّ ما يحدث معنا إن كنا نحبه وداومنا على طلب إرادته في حياتنا (رو ٨: ٢٨). لا أفرح بحدوث مشكلات تنسب لي في ألم، لكنني أفرح أن عندي إلهًا يعينني عليها. أشعر بالشفقة على مَنْ هم بلا رجاء الذين تملئ أذهانهم وقلوبهم بالمرارة؛ لأنهم لا يقدرُون أن يروا ما هو أبعد من الألم.

نحن نعلم أن الله صالحٌ لكننا نعلم أيضًا أن الشرَّ موجودٌ في العالم. لقد وضع الله أمامنا كلًّا من الخير والشر، البركة واللعة، وألقى علينا بمسؤولية اختيار واحد من الاثنين (تث ٣٠: ١٩)؛ حيث إنَّ الكثيرين يختارون الخطيئة والشرَّ. نرى آثار الخطيئة في العالم، حتى الشخص البار مازال يحيا تحت عبء التواجد في عالمٍ خاطئ؛ إننا نشعر بضغوط الشر ونشتاق للوقت الذي نتخلَّص منه فيه. يخبرنا الكتاب المقدس إنه حتى الخليقة تئن من عبودية الفساد وتشتاق إلى الحرية مثلها مثل البشر (رو ٨: ١٨-٢٣).

نحن نخدم إلهًا غير مرئي غامض! هناك أمور معيَّنة نعرفها عنه، لكن ستظل هناك أمور بشأنه أكبر من إدراكنا.

«يَا لَعَمْرُكَ غَنَى اللَّهِ وَحِكْمَتُهُ وَعِلْمُهُ! مَا أَبْعَدَ أَحْكَامُهُ [قراراته]

عَنِ الْفَحْصِ [غير مفهوم، خفية] وَطُرُقِهِ [أساليبه، سُبُلِهِ]

عَنِ الْإِسْتِقْصَاءِ [غامضة، لا يمكن اكتشافها]!»

(رومية ١١: ٣٣).

نحن نعرف شخصية الله ونضع ثقتنا في أمانته الدائمة الوجود معنا، لكننا لا نقدر أن نفهم كلَّ ما يعملهُ الله، أو كلَّ ما لا يعملهُ. إنَّ الإيمان يعني أن نؤمن بما لا نقدر أن نراه أو نفهمهُ. لدينا إيمان أثناء انتظارنا لهذه الأسرار لتتكشَّف. وإن كنا آمناء، سندرك أنَّ بعض هذه الإجابات لن تأتينا طالما نحن على هذه الأرض. إنَّ الله يطلب مِنَّا أن نثق به، وليس هناك حاجة للثقة إن لم تكن لدينا أسئلة بلا إجابات. قبل أن نكون راضين بحياتنا، علينا أن نتقبل فكرة أننا «لا نعرف».

تتعمق العلاقة الوثيقة بالألم

من أكثر العبارات الغامضة التي نتحدثنا في كلمة الله، ما هو مكتوب في (عبرانيين ٥: ٨-٩): «مَعَ كَوْنِهِ ابْنًا تَعَلَّمَ الطَّاعَةَ مِمَّا تَأَلَّمَ بِهِ. وَإِذْ كَمَلَ (صارت خبرته كاملةً، أصبح مؤهلاً تماماً) صَارَ جَمِيعَ الَّذِينَ يُطِيعُونَهُ سَبَبَ خَلَاصِ أَبَدِيٍّ». ممَّا يبدو أنَّ آلام يسوع كانت هي وسيلة اكتماله (نضوجه). ولن يكون الأمر مختلفاً بالنسبة لتلاميذه.

لا يمكن للإيمان أن ينضج دون أن يُخْتَبَر. إِنَّ اللَّهَ يَهْبِئُ الْإِيمَانَ كَعُطْبَةٍ، لَكِنْ لَا يَقْدِرُ الْإِيمَانُ أَنْ يَنْمُو وَيَزْدَادَ إِلَّا عِنْدَمَا نَسْتَخْذِمُهُ.

كان لدى التلاميذ الاثني عشر الأوائل الكثير من الأمور أثناء معاشتهم ليسوع لم يكونوا يفهمونها. فقال لهم يسوع في حديثه لبطرس: «كَيْسَتْ تَعَلَّمَ أَنْتَ الْآنَ مَا أَنَا أَصْنَعُ وَلَكِنَّكَ سَتَفْهَمُ فِيمَا بَعْدُ» (يو ١٣: ٧). نحن نعيش في عالم من الغموض. والأحداث التي لا تفسير لها. ويتوقع ممَّا اللَّهُ أَنْ نَتَّقَ بِهِ.

قال جيه أوزوالد ساندروز في كتاب "ENJOYING INTIMACY WITH GOD": «إن أردنا أن نخبر السكينة في هذا العالم المضطرب، فعلياً أن نتمسك أكثر باعتقادنا في سيادة الله وأن نثق في محبته حتى حين لا نقدر أن نبيِّن خططه». هناك أمور نتعلمها وقت الشدائد لا نقدر أن نتعلمها في وقت آخر. قال الرب في (إشعياء ٤٥: ٣): «وَأَعْطَيْكَ ذَخَائِرَ الظُّلْمَةِ وَكُنُوزَ الْخُفَايِ». هناك كنوز لا جدها إلا في الظلمة. من هذه الكنوز كنز الالتصاق بالرب.

الاقتناع العقلي

إنَّ الإنسان بطبيعته يريد أن يفهم كلَّ شيء. نريد أن نكون نحن المتحكمين في كل شيء ولا نحب المفاجآت. نحن نحب أن نتجح خططنا وفي التوقيت المرغوب، لكن هذا لا يحدث. إن كنا نؤمن بالله حقاً، سنطلب منه أن يعطينا ما نرغبه، لكنه لا يفعل ذلك دائماً. لذا، ينتهي بنا الحال أمام أسئلة بلا إجابات، وطبيعتنا تقاوم هذه الحالة.

إنَّ محاولة فهمنا لأمرٍ ما لن نحصل على إجابةٍ بشأنه أبداً هو أمرٌ مخيَّب للآمال ومربكٌ. بعد سنواتٍ من المعاناة عقلياً وعاطفياً في محاولاتي لفهم سبب حدوث الأمور السيئة للطيِّبين، بما في ذلك ما تعرضتُ له من خُرُش جنسي لمدة

عشر سنوات على يد أبي. قابلتُ مفترقَ طرقٍ بالنسبة لحياتي مع الله. كنتُ أعرف أنَّ عليَّ أن أتخذ قرارًا بالثقة في الله على نحو مطلق دون الحصول على كل الإجابات التي كنتُ أريدها وإلا لن أمتنع بالسلام أبدًا. أنا أؤمن شخصيًا بأنَّ هذا قرارٌ شخصي على كل شخص أن يتخذه. إن كنتُ تنتظر شخصًا ليفسّر الله لك، ستنتظر إلى الأبد. إنَّ الله أعلى من تفكيرنا، لكنه جميلٌ ومذهلٌ وهو يجلب العدلَ لحياتنا في النهاية. إنَّ الله يأمننا على ما لا يمكن تفسيره! حدث الأمور السيئة للطيبين. وامتيازٌ لهم أن يثقوا بالله.

«مَنْ مِنْكُمْ خَائِفُ الرَّبِّ سَامِعٌ لَصَوْتِ عَبْدِهِ؟ مَنْ الَّذِي يَسْأَلُكَ فِي الظُّلُمَاتِ وَلَا نُورَ لَهُ؟ فَلْيَتَكَلَّمْ عَلَى اسْمِ الرَّبِّ وَيَسْتَنْدِ إِلَى إِلَهِهِ»
(إشعياء ٥٠: ١٠).

يمكننا أن نختصر الامتحانات التي نمر بها في الحياة عندما نتعامل معها بنضوج. وسنجد أنفسنا نعرف الله بطريقةٍ أعمق من ذي قبل. أعتقد أن أغلبنا سيقول إنَّ أغلبية النضوج الروحي الذي حصل عليه كان في أوقات الشدائد أكثر من أوقات الراحة.

كثيرًا ما ألتجئ لـ (مزمو ٣٧) طلبًا للتعزيزية عندما أجد نفسي في موقفٍ مريب. يخبرنا المزمور في الآيات الإحدى عشرة الأولى بأنَّ علينا ألا نغار من الأشرار لأنهم سيزولون سريعًا. علينا أن نثق بالله ونعمل الخير. وهو الذي سيقوِّبنا. أنا أؤمن أن هذا يعني أنَّ الله سيمدُّنا بما نحتاج إليه في الحياة. ليس بالضرورة كل ما نطلبه. لكن بالتأكيد سيمدنا بكلِّ ما نحتاجه.

يخبرنا (مزمو ٣٧: ٨) بأنَّ علينا أن نكفَّ عن الغضب ونترك السخط لأن هذا لا يؤدي إلا لفعل الشر. إنَّ سمحنا لشرِّ الآخرين أن يُغضبنا، ربما ينتهي بنا الحال بأن نكون نحن أنفسنا فاعلي شرٍّ. لنا أيضًا وعد رائع... «أَمَّا الْوَدَعَاءُ (في النهاية) فَيَرْتَوْنَ الْأَرْضَ وَيَتَلَدَّدُونَ فِي كَثْرَةِ السَّلَامَةِ» (مز ٣٧: ١١). الودعاء هم من يتواضعون بإرادتهم وينقون بالله مهما كانت ظروفهم في الحياة. قال الرسول بولس إنه لَمْ يَعْزَمْ أَنْ يُعْرِفَ شَيْئًا إِلَّا بِسُوءِ الْمَسِيحِ وَإِيَّاهُ مَصْلُوبًا (١ كو ٢: ٢). ممَّ يبدو أنَّ بولس هو الآخر قد أعياه التعب في محاولات البحث عن تفسير جيد لكل شيء وقرر أن يعرف المسيح ببساطة.

علينا أن نثق بالرب من كل الفكر والقلب ونتعلم ألا نعتد على فكرنا (أم ٣: ٥). يقول لنا نفس هذا الإصحاح من سيفر الأمثال بعد ذلك ألا نكون حكماء في أعين أنفسنا (أم ٣: ٧). هذا يعني بالنسبة لي أن عليّ ألا أعتقد لو هلهي بأنّي ذكيّة بالكفاية حتى أدير حياتي بنفسي أو أجد أسباباً لما يعملها الله. إن كنت أقدر بأيّ حال أن أفهم الله، فلا يمكنه أن يكون إلهي فيما بعد. يجب أن يكون الله أعظم ممّا في كل شيء وإلا لا يكون هو الله على الإطلاق. من المعروف عن الله أنه بلا بداية أو نهاية. إن كنا لا نقدر أن نستوعب هذه العبارة الأساسية عن الله، فكيف لنا أن نفهم كل شيء آخر؟

إنّ الله يكشف لنا فعلاً بعض الأمور المحدّدة ويعطينا إجابات عن أمور كثيرة. لكنه لا يعطينا إجابات عن كل شيء. نحن نعلم بعض العلم بحسب كلمة الله، لكن سبأتي وقت ونعرف كما نعرف الآن.

«فَإِنَّا نَنْظُرُ الْآنَ فِي مِرَآةٍ فِي لُغْزٍ [نرى رؤيةً مُبْهِمَةً عن الحقيقة، كأننا في لغز، أو في معضلة] لَكِنْ حِينَئِذٍ [حين تأتي الرؤية] وَجْهًا لَوَجْهِهِ. الْآنَ أَعْرِفُ بَعْضَ الْمُعْرِفَةِ [ليس بالكامل] لَكِنْ حِينَئِذٍ سَأَعْرِفُ [بوضوح وبالكامل] كَمَا عُرِفْتُ [من الله]»

(١ كورنثوس ١٣: ١٢).

لماذا لم يتدخل الله؟

من الصعب أن نفهم لماذا لا يتدخل الله في آلامنا بينما نحن نعلم تماماً أنه يقدر أن يفعل ذلك بمنتهى السهولة. عندما كان يعقوب في السجن، قطعوا رأسه، لكن عندما دخل بطرس السجن، أنقذه ملاك وأوصله لاجتماع صلاة. لماذا؟ الإجابة الوحيدة هي: «لَسْتُ تَعْلَمُ أَنَّ الْآنَ مَا أَنَا أَصْنَعُ وَلَكِنَّكَ سَتَفْهَمُ فِيمَا بَعْدُ».

قد لا نكون قادرين على التعامل مع ما نعتقد أننا نريد أن نعرفه. قد يخبيّ الله عنا المعلومات من رحمته بنا. لقد قررتُ أنني سأؤمن بأنّ الله لن يعمل أمراً في حياتي، أو يطلب مني أن أعمل أمراً ما، دون أن يكون هذا الأمر في النهاية هو خيري.

لقد جلب لي هذا القرار كثيرًا من السلام. قد تتذكر أنني قلتُ في بدايات الكتاب إننا إن أردنا السلامَ، فلا بد أن نطلبه ونسعى وراءه من كل القلب. في سعبي الخاص وراء السلام. اكتشفتُ أنَّ السلام والفرح يأتيان من الإيمان (رو ١٥: ١٣). وهذا ما قررتُ أن أفعله. لا أقوم بهذا العمل بالكمال والتمام. لكن الله يساعدني على أن أتعلم التجاوب مع ما لا أفهمه قائلةً: «أثق بك يا رب» بدلًا من «أنا مرتبكة يا رب. وأحتاج أن أفهم ما يحدث». يمكننا كلنا أن نتخذ نفس هذا القرار بأن نتعامل بالإيمان بدلًا من الشك. وفي الواقع. يحثك الروح القدس أن تقوم بهذا الأمر الآن إن لم تكن قد قمتَ به بالفعل.

أنا لا أتكلم عن الإيمان بشكل عام. بل عن الإيمان بالله والثقة به في كل موقفٍ في الحياة. ما أسهل أن تؤمن بالله «للحصول» على شيءٍ ما! لكنه يريدك أن تثق به «وسط» كل شيء. و«في» كل شيء.

أيوب

أعتقد أنه إن كان عليَّ أن أخصَّص فصلًا عن الألم غير المتوقع فلا بد أن أتكلم عن أيوب: لقد كان رجلًا بارًّا حَمَلَ آلامًا أكثر من أي شخص آخر سمعتُ به في حياتي. تمسَّك أيوب بإيمانه لمدة طويلة. لكنه في النهاية بدأ يطالب الله بإجابات. وخصَّص الله أربعة إصحاحات كاملة ليجابوب أيوب. وجوهر ما قاله هو: «يا أيوب. إن كنتَ بهذا الذكاء. فلم لا جَرَّب أن تكون مكان الله لفترة قصيرة؟ عليك أن تدير الكون وترى ما يمكنك فعله». وبالطبع انتهى الأمر بأيوب أن اتَّضع وأدرك أنه كان يتكلم بحماقة. ثم قال أيوب أمرًا مذهلًا وهو ما يقدر الكثيرون منَّا أن يقولوه بعد حَمَلِ الألم الفظيع:

«يَسْمَعُ الْأَذِنَ [فقط] قَدْ سَمِعْتُ عَنْكَ وَالْآنَ رَأَيْتُكَ عَيْنِي
[الروحانية]»

(أيوب ٤٢: ٥).

في هذه التجربة. عرف أيوبُ الربَّ بشكلٍ لم يكن يعرفه به من قبل. قبل وقت معاناته. كان يعرف عن الرب. كان قد سمع عنه. لكنه أصبح يعرفه هو. أعرف

شأنًا مات بالسرطان. ورغم أن ألمه كان فظيعةً، إلا أنه قال: «لا أقبل أن أستبدل ما أمرُّ به بأي شيءٍ آخر. لأنني تعرفتُ فيه على الله بطريقَةٍ حميميةٍ» هل يعني هذا أن الله يدبر هذه الآلام حتى نتعرف عليه؟ لا، لا أعتقد ذلك. بل يعمل هذا من أجل فائدتنا الروحية.

يسوع

إن أردنا أن نناقش موضوع الألم، فعلينا أن نتكلم عن يسوع. لماذا لم يأت الربُّ بخطيئةٍ أخرى لدفاء الإنسان غير أن يترك ابنه يعاني آلام الصلب الرهيبة، ويمر بأوجاع خُمَل خطايا البشر على نفسه التي لم ترتكب خطيئةً؟ ربما يقول مثل أي أب صالح: «لا أطلب منك أن تمرَّ بشيءٍ لم أمر أنا به قبلك». كما قلتُ قبلاً، لا أملك إجابات عن كل هذه الأسئلة، لكن هل علينا أن نمتلكها حتى نؤمن بالله؟ لا أعتقد ذلك. إنَّ الإيمان يتخطَّى الفهم. وفي الواقع، كثيرًا ما يحل محله.

عندما ابتدأتُ هذا الفصل من الكتاب كنتُ أفحص في قلبي لأرى ماذا يريد الله مني أن أقوله للغاضبين من الله لسبب الألم وخبرات خيبة الأمل التي مروا بها في حياتهم. وأدركتُ في لحظات أنه لا يريدني أن أحاول الإجابة عن أي من هذه الأسئلة. لأننا لن نفهم أيًا منها. هناك كم كبير من الكتب المتوفرة التي تحاول أن تفسر الله، والبعض منها جيد جدًّا، لكنني لن أفعل هذا. أنا أقول ببساطة إنه يمكنك أن تختار ألا تغضب. وإنَّ اتَّخذت هذا القرار، ستكون بهذا قد أسديت لنفسك معروفًا؛ لأن الغضب من الله هو أمر في منتهى الحماسة؛ فالله هو الوحيد القادر أن يعينك، فلماذا نغلق أمام أنفسنا المصدر الوحيد للعون؟

أنا أعلم أنه إن كنت مجروحًا جرحًا عميقًا، فهناك جزء منك يصرخ الآن: «يا جويس، إن هذا لا يكفي». إن كنت كذلك، فأنا أتفهمك، ولا يسعني إلا أن أصلي أن تشعر قريبًا جدًّا بالإعفاء من الشعور باليأس فتقول مع أيوب: «هُودًا يَمْتَلِنِي. [مع أنه يقتلني] لا أَنتَظِرُ سَيِّئًا. فَقَطُّ أَرْكَبُ طَرِيقِي قَدَامَهُ [سائق به]» (أيوب ١٣: ١٥).

هل أنت متمرّد على الله؟

أعرف امرأةً سندهوها «جانين» حكّت لي عن فترةٍ طويلةٍ من حياتها كانت فيها غاضبةً من الله. كانت جانين، التي كانت مؤمنةً منذ الصغر، تتطلع دائمًا

للوقت الذي تلنقي فيه رجلاً مؤمناً صالحاً. وتقع في حبه، ثم يتزوجان، ويكوّنان أسرةً. بعد الجامعة، انتقلت إلى مدينة نيويورك لتعمل بالتدريس. وجدت جانين كنيسةً جيدةً وسرعان ما أصبحت عضوةً فعّالةً فيها. واشتركت في حياة شعب الكنيسة، وكوّنت صداقات جيدة هناك. وأصبحت ضمن مجموعة كبيرة من الفتيات غير المتزوجات. بعد بضع سنوات، تزوجت كثيرات من صديقاتها وكوّنت أنفسهن أسراً.

خولت جانين من سن العشرينات إلى سن الثلاثينات، وأثناء ذلك كله، كانت لا تزال تصلي حتى يرزقها الله بزواجٍ وعائلةٍ خاصة بها. باركها الربُّ في عملها. وسرعان ما أصبحت جانين مساعدةً مدير في مدرسة ثانوية كانت تُعلِّم بها. كان يبدو لها أن الله يباركها في كل مجالات حياتها عدا ذلك الجزء الذي كانت تهتم به بالأكثر. بدأت صديقاتها في إجاب الأولاد، وانتقلت كثيرات منهن من نيويورك حتى يربين أولادهن في أماكن أكثر ملائمة للعائلات.

داومت جانين على العمل باجتهادٍ واستمرت في نشاطها في الكنيسة، لكنها لم تكن تفهم لماذا لم يسمح لها الله بأن تحصل على رغبة قلبها الوحيدة: زوج وعائلة خاصة بها. بدأت تغضب من الله. لماذا كان صامتاً هكذا؟ ألم تكن جانين تريد شيئاً جيداً وطبيعياً على أي حال؟ ألم يكن الله هو الذي قال: «ليس جيداً أن يكون آدم وحده»؟ ثم ابتدأت تصلي طلباً للسلام، وأقنعت نفسها بأنه إن كان الله يرفض طلبها لزواج، فعلى الأقل أن يجعلها تشعر بالرضا بشأن كل ما باركها به.

لكن السنوات مرّت، واستمرت جانين وحيدةً. وبينما كانت تستمتع بأشياء كثيرة في حياتها، إلا أن الوحدة التي كانت تمرُّ بها أصبحت أكثر وأكثر بمثابة شوكة في جنبها. لماذا لا يُكرِّم الله صلواتها ويعطيها شيئاً طبيعياً ورائعاً كالزواج؟ لم تكن تقدر أن تفهم لماذا يجب الله بـ «لا» على صلاة بسيطة كهذه. كما أنَّ ذلك السلام الذي كانت تطلبه لم يأت أبداً. لماذا كان الله صامتاً هكذا؟ وذات يوم، حصلت جانين على رؤيا. بينما كانت تصلي، وتتوسل لله أن يعطيها راحةً في مشاعرها. رأت يسوع في بستان جثسيماني، يطلب من الله أن يجيز عنه كأس الموت حين كان منتظراً لصلبه. وفي نهاية صلاته قال: «لِتَكُنْ لَا إِزَادَتِي بَلْ إِزَادَتَكَ». لقد قال الله ليسوع في هذه الليلة: «لا». كان حتمياً أن يتحمّل يسوع عذاب الصليب حتى يخلّص البشرية.

أدركت جانين في هذه اللحظة أنه إن كان الله قال «لا» لابنه، ورفض يسوع هذه الإجابة، فمن حق جانين هي الأخرى أن ترفض هذه الإجابة. لم تتغيّر الظروف.

لكن تغيّر كل شيء بالنسبة لجانين. لأول مرة منذ أكثر من عشر سنوات، أدركت أنه ليس عليها أن تعرف إجابة كل شيء. وأنّ الله صالح. وأنه إنّ كان عليها أن تبقى بلا زواج طيلة عمرها دون أن تعرف السبب، فستقدر أن تفعل ذلك.

بعد ذلك ببضع سنوات، عندما كانت جانين في الثالثة والأربعين، قابلت رجلاً مؤمناً رائعاً وتزوجا بعد ذلك بسنتين. قالت لي جانين إنها إنّ تمكّنت من أن تقوم بكل شيء من جديد، ما كانت لتضيع كلّ هذا الوقت وهذه المشاعر في الغضب من ناحية الله، لأنه كان يبدو صامتاً. كانت ستصرف هذا الوقت في التمتع بما لديها من بركات، وتبذل قصارى جهدها في قبول قرار الرب بهذا الشأن.

أحياناً يقول الله «لا» لأمر جيدة ومقبولة نريدها. أحياناً يقول: «ليس الآن». وبينما نحن في هذه الحياة لن نعرف لماذا، لكن يمكننا استخدام هذا الوقت في الاستفادة القصوى من الحياة التي أعطانا الله إياها. أو يمكننا أن نقضيها في التآلم من جراء الارتباك واليأس. أي من هذين هو أفضل استخداماً للوقت؟ بالنسبة لي، أفضل أن أستغل وقتي بطريقةٍ بناءة. حتى إنّ كنت لا أعرف إجابة كل شيء.

طفلة تصلي وتستمر في الألم

عندما كنت طفلةً أتعرض للتحرش الجنسي. والأذى العقلي. والعاطفي. والشفهي من أبي. كنت أصلي كثيراً لله أن يُخرجني من هذا الوضع الذي كنت فيه. لكنه لم يفعل هذا. صليّك أن تترك أمي أبي وأن خميني. لكنها لم تفعل ذلك. وفي عدم حكمتي وأنا طفلة، طلبتُ من الله أن يُحييت أبي، لكنه عاش واستمر في سلوكه المسيء لي.

لماذا؟ كان هذا السؤال يتغلغل في كياني لسنوات طويلة. لماذا لم يقيم الله بإنقاذ طفلةٍ صغيرة كانت تصرخ إليه؟ وحتى بعد أن كبرت وأصبحت امرأةً وكنت في الخدمة. كنت لا أزال أسأل «لماذا؟» ومن يمكنه ألا يسأل هذا السؤال؟ أراني الله أنّ هناك أوقاتاً يعاني فيها الأبرياء لكونهم في طريق الأشرار. كان لأبي عليّ سلطان كآب. واتخذ اختيارات شريرة. وكان لهذه الاختيارات تأثيرٌ عليّ. ومع كل هذا كنت لا أزال أرى أنّ الله كان بإمكانه أن يضع حداً لما يحدث. لكنه اختار أن يعمل أمراً آخر بدلاً من ذلك. لقد أعطاني الشجاعة والقوة على أن أمرّ بهذه الظروف وأنغلب عليها. لقد سمح أن يستخدم ألي في معونة الآخرين. وبقيامه بهذا الأمر. جعل الظروف تتحوّل لخيري وخير من تعاطفتُ معهم في مواقفهم

وعاونتهم. لسنواتٍ عديدةٍ كنتُ أقول: «يا ليتني لم أتعرض للإساءة والتحرش. لكانت حياتي أصبحت أفضل!» لكني الآن أدرك أفضل: أنا أؤمن أنَّ حياتي أصبحت أقوى وذات ثمر أكثر بسبب ما جرى. من إحدى طرق الله التي يُظهر بها قوته الرائعة أن يساعد أناسًا عاديين في التغلب على مآسٍ رهيبة ثم يجعلهم يتحلَّون بأسلوب حياةٍ إيجابي وبالحبرة التي يساعدون بها آخرين. وأشكر الله على امتياز أن أقدر أن أقول إنني من هؤلاء. عليَّ أن أقول: «شكرًا لك يا رب. لأنك أعطيتني أفضل استجابة لصلاتي. ليس فقط ما طلبته».

لا يسعني إلا أن أصلي أنَّ تكون الأمور التي قلَّتها عن الغضب تجاه الله ذات فائدةٍ لبعض قرائي. لم أحاول أن أقدم لكم إجابات عن أسئلة ليست لها إجابات. لكني حاولتُ بأمانةٍ أن أشارككم بما في قلبي. أرجوكم أن تثق بالله مهما كان ما حدث لك أو لشخص تعرفه. مهما كان ما يحدث في هذا العالم. فאלله طيب وهو يحبك! إن كنت تعذب نفسك بسؤال: «لماذا يا رب. لماذا؟» أشجعك على أن تتخذ قرارًا بأن تلقي كلَّ همك عليه وتقول بدلًا من ذلك: «أثق بك يا رب. مهما حدث».

الفصل السابع

ساعدي: أنا غاضب

إِنْ كُنْتُ شَخْصًا غَضُوبًا وَتَقْرَأُ هَذَا الْكِتَابَ، فَدَعْنِي أَوَّلًا أُمَدِّحُكَ لِكَوْنِكَ مُسْتَعِدًّا أَنْ تَقْرَأَ بِشَأْنِ أَمْرِ خِتَاجٍ فِيهِ لِلْمُسَاعَدَةِ. أَنَا أُوْمِنُ بِقُوَّةِ أَنَّهُ بِإِمْكَانِكَ أَنْ تَتَغَلَّبَ عَلَى الْغَضَبِ الْأَثِيمِ الْخَارِجِ عَنِ السَّيْطَرَةِ. بَلْ وَسْتَظْفِرُ عَلَى ذَلِكَ. هُنَاكَ غَضَبٌ أَثْمٌ بِهِ خَطِيئَةٌ، وَغَضَبٌ لَيْسَ بِهِ خَطِيئَةٌ، لِذَلِكَ أُرِيدُ أَنْ أُنَاقِشَهُمَا سَوِيًّا لِأَتَأْكُدَ أَنَّ لَدَيْكَ فَهْمًا وَاضِحًا لِكُلِيهِمَا.

الغضب الذي بلا خطية

لَقَدْ وَهَبَنَا اللَّهُ مُشَاعَرَ الْغَضَبِ لِجَعْلِنَا نَعْرِفَ حِينَ نَتَعَرَّضُ نَحْنُ أَوْ شَخْصٌ آخَرٌ لِمَعَامِلَةٍ ظَالِمَةٍ. هَذَا النُّوعُ مِنَ الْغَضَبِ يُشَارُ إِلَيْهِ بِالْغَضَبِ الْمُقَدَّسِ. وَهُوَ يَهْدِفُ إِلَى أَنْ يَدْفَعَنَا لِاتِّخَاذِ مَوْقِفٍ بِحَسَبِ اللَّهِ لِتَدَارِكِ الْخَطَأِ. عِنْدَمَا كَانَتْ إِحْدَى بَنَاتِنَا فِي السَّابِعَةِ مِنْ عُمْرِهَا، كَانَتْ تَعَانِي صَعُوبَةً فِي تَكْوِينِ الصَّدَاقَاتِ فِي مَدْرَسَتِهَا الْجَدِيدَةِ. كُنَّا نَسْكُنُ قَرِيبًا مِنَ الْمَدْرَسَةِ، وَتَصَادَفَ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ أَنِّي كُنْتُ أَقُودُ سَيَّارَتِي أَمَامَ الْمَدْرَسَةِ فِي طَرِيقِي لِأَقُومَ بِمَهْمَةٍ قَصِيرَةٍ. لَاحِظْتُ ابْنَتِي وَهِيَ جُلُوسٌ وَحِيدَةً فِي فَنَاءِ الْمَدْرَسَةِ. تَبْدُو وَحِيدَةً جَدًّا بَيْنَمَا كَانَ كُلُّ الْأَطْفَالِ الْآخَرِينَ يَلْعَبُونَ. شَعَرْتُ بِالْغَضَبِ لِكَوْنِهَا تَتَعَرَّضُ لِسُوءِ الْمَعَامِلَةِ. وَمَا شَعَرْتُ بِهِ مِنْ غَضَبٍ لَيْسَ بِهِ خَطِيئَةٌ. كَانَ رَدُّ فِعْلِي هُوَ الصَّلَاةُ مِنْ أَجْلِهَا حَتَّى يُعْطِيَهَا الرَّبُّ أَصْدِقَاءً. لَوْ كَانَ رَدُّ فِعْلِي هُوَ الدَّخُولُ لِلْمَدْرَسَةِ وَالصَّرَاحُ فِي الْأَطْفَالِ الْآخَرِينَ، لَكَانَ غَضْبِي هَذَا خَطِيئَةً.

أعتقد أنه من المهم أن نفهم أنه في كل مرة نشعر فيها بالغضب لا يعني أننا نرتكب خطيئة. هناك أشياء كثيرة تثير مشاعر الغضب. لكن ما يهم الأكثر هو كيفية تعاملنا مع هذا الإحساس.

هناك ما يُلقَّب بالغضب المقدس. ونرى في (مزمو ٧٨) أنَّ الله غضب غضباً مقدَّساً على من كانوا يعبدون الأوثان. كم أنَّ عبادة الحجر شيء سخيف ونحن يمكننا أن نعبد الله الإله الحي رب الخليقة! لقد قام الله بقداسته بمعاقبة الشعب على عدم القداسة على أمل أن يتوبوا ويرجعوا له. كان القصد من هذا العقاب أن يعين الناس. لا أن يؤذيههم. إنَّ الغضب المقدس دائماً يتصرف بقصد المعاونة.

هذا النوع من الغضب هو نفسه الذي نشعر به نحو أطفالنا حين يعملون شيئاً نحن نعلم أنه سيؤذيهم. فنحن نظهر غضبنا ونؤذيههم لنعينهم.

عندما قمْتُ بزيارة كمبوديا ورأيت أطفالاً يعيشون في مقابل قمامة المدينة. ويقلبون في القمامة بحثاً عن طعام ليأكلوه وقطع الزجاج أو البلاستيك لبييعوها. شعرتُ بالحزن في قلبي وشعرتُ بغضبٍ مقدسٍ إزاء هذا النوع من الظلم. لم أكتفِ بكوني غاضباً. بل قررتُ أن أفعل شيئاً بشأن هذا الظلم. اشترتُ خدمتنا أتوبيسات وجهزتها بفصول دراسية ومطعم حتى نتمكن من إطعام وتعليم الأولاد كل يوم. كانت هناك رشاشات مياه ليمكن الأطفال من الاغتسال والحصول على ملابس جديدة عند الاحتياج. كان هذا رد فعل جيداً للغضب الذي شعرنا به. تخبرنا كلمة الله أنَّ الطريقة الوحيدة للتغلب على الشر هي بالخير (رو ١٢: ٢١).

هذا النوع من الغضب ليس خطيئة. بل هو في الواقع خير لأنه يحفِّزنا للقيام بتصريفٍ. يشعر الكثيرون اليوم بالغضب من الظلم. لكنهم يكتفون بكونهم غاضبين ويزدادون غضباً أكثر فأكثر. إنهم يقضون الوقت في إغضاب الآخرين بسلوكتهم وكلامهم السلبي. ولا يتخذون أيَّ عملٍ إيجابيٍ لتصحيح أي شيء. إنهم يتسّمون غالباً بسلوكة فاقية للأمل. إنهم يقررون أنَّ لا شيء سيُجدي. لذا لا يكبدون أنفسهم عناء المحاولة. هذا نوع من الغضب يتحوّل بسهولةٍ لخطيئة.

قام سائق مخمور بقتل بنت في الثالثة عشرة من عمرها. وقد أعطاه القاضي حكماً مخفّفاً. كانت أم هذه البنت غاضبةً جداً. لكنها قررت أن تحوّل غضبها لشيءٍ إيجابي. فكانت منظمة تدعى «أمهات ضد القيادة تحت تأثير الخمر». كان لهذه المنظمة دور حيوي في سنِّ تعديلاتٍ تشريعيةٍ تعطي قوانين أكثر صرامةً ضد السائقين الممهورين. كان يمكنها أن تقضي عمرها في الغضب والمرارة. لكنها غلبت الشرّ بالخير.

كنتُ غاضبةً بسبب خرش أبي بي. كنتُ أكرهه وأشتعل بالغضب لسنواتٍ عديدة. لكنني أدركتُ أخيراً أنَّ الوسيلة الوحيدة للتغلب على الشر الذي كان تجاهي هي أن أعمل خيراً لمساعدة الآخرين. كان هذا من أحد الأسباب التي دفعتني في الخامس وثلاثين سنة السابقة لأَعْلِمُ بكلمة الله وأساعد أناساً متألين آخرين. كان هناك شخص يُدعى ويليام وبلبرفوس غاضباً جداً من العبودية في إنجلترا حتى أنه قضى معظم حياته في مكافحتها والعمل على وجود تشريعات تحرم تجارة الرقيق. التاريخ مليء بأشخاص غضبوا من الظلم وحاربوا حتى يُحدثوا تغييراً إيجابياً. وللأسف، التاريخ مليء أيضاً بأشخاص غضبوا وامتلاؤا بالغيرة والمرارة وامتلاؤا في النهاية بالكراهية. كانوا غالباً يقومون بعملٍ ما يجلب الأذى لجموع من البشر.

لقد شهدت كلَّ حقبة زمنية نوعاً ما من الظلم. ولا تختلف فترتنا عن هذه الفترات. لكن الغضب الذي يتحول في النهاية لكراهية ليس هو الحل. إنَّ الكراهية شعورٌ قوي. نحن لا نكره شخصاً كرهًا قليلاً؛ إنه شعور يطلب المزيد. وهو يطلب إساءة معاملة الشخص محل الكراهية. تبدأ الكراهية في صورة غضب. إنها تستهلك كلَّ طاقة الحياة فيك. إنها تأكلك وكأنها مريضٌ مستفحل ومملأً أفكارك وأحاديثك. إنها تجعلك تشعر بالمرارة، والغيرة، والبغضة، والحنق، واللوم. وهي تجعل الله لا يقدر أن يستخدمك.

إنَّ كنتُ قد تعرضتُ لظلمٍ في حياتك بالفعل وتأملتُ، لا تجعل عجلة الكراهية تدور.

إنَّ الحل الوحيد للغضب هو الغفران. إنَّ التحلّي بالغفران هو في الأغلب عملية تدريجية؛ فهي تبدأ بقرار ألا تكتفي بطاعة الله فقط، بل أن تعمل في نفسك معروفاً وتغفر. ولكن عملية الشفاء من الذكريات والمشاعر تتطلب وقتاً. النصف الثاني من هذا الكتاب مخصّص لأهمية الغفران و «كيفية» الحصول عليه.

هل هناك ما يبرر غضبك أم أنه مشوّه؟

قبل أن نقدر على التعامل السليم مع غضبنا، علينا أن نكون أمناء بشكل كافٍ ونسأل إنَّ كان له ما يبرّره أم هو مُشوّه. من الممكن أن تكون الأشياء التي يقوم بها الناس لإغضابنا هي نتيجة شيء ما خطأ فينا نحن وليس أمراً خطأ

يقومون به. ليس معنى أننا نغضب أنَّ غضبنا هذا له ما يبرِّره. في الواقع. من المحتمل أن نسبةً عاليةً من الناس سريعي الغضب يقومون بذلك نتيجة جرح في أنفسهم لم يتركوه ليلتئم. غالبًا ما يغضب الغضوبون من أمورٍ نتعامل معها جميعنا يوميًّا دون أن نغضب.

قبل ذلك كانت هناك أمور يقوم بها ديف جِّعلني أغضب. لكن نفس هذه الأمور لا تزعجني الآن أبدًا. إنه مازال يقوم ببعض هذه الأمور. لكنني أنا من تغيَّرت. كان غضبي هو نتيجةً لإحساسي بعدم الأمان.

إنَّ شَعْر شخصٍ ما بعدم الأمان. فإنه غالبًا يتعامل مع الآخرين بغضب إنَّ لم يوافقوا على كلِّ ما يفكر فيه. ويشعر به. ويقول: فهو يتقبَّل أيَّ عدم اتفاق بصفته رفض. والمشكلة هي مشكلته هو في الحقيقة. ليست مشكلة الشخص الذي صب غضبه عليه. مَنْ يشعروا بعدم الأمان يحتاجون إلى مردودٍ إيجابي حتى يشعروا بالرضا عن أنفسهم. وعندما لا يحصلوا عليه. يغضبون.

أحيانًا نغضب بسهولةٍ لأننا لم نحصل على ما أردناه بالأسلوب الذي أردناه به. إنَّ القصة التي سأنشركم بها تؤثر فيَّ بعمق. إنها قصةٌ عن عدم الصبر والغضب الذي كلف إنسانًا الكثير. وكل هذا بسبب الغضب.

هدية أب – لمؤلف مجهول

كان هناك شاب يستعد للتخرج من الجامعة. كانت له شهور عديدة وهو معجب بسيارة رياضية معروضة بإحدى صالات العرض. وكان يعلم أنَّ أباه يقدر على ثمنها. فقال له إنها كانت كل ما يتمناه كهدية في تخرجه. وعندما اقترب اليوم المهم. كان الشاب يترقب أي إشارة توحى أنَّ أباه اشترى له السيارة.

وأخيرًا. في صباح يوم تخرجه. دعا الرجلُ ابنته لغرفة مكتبه الخاصة. قال له كم أنه فخور أنَّ له ابناً رائعاً مثله وقال له كم أنه يحبه. ثم أعطى ابنه علبة هدايا مغلفة بغلاف جميل.

بدافع الفضول. بالرغم من خيبة أمله. فتح الشاب العلبة ليجد كتابًا مقدسًا جميلًا ذا غطاء جلدي واسم الشاب منقوشًا عليه بالذهب. فرفع الولد صوته على أبيه غاضبًا وقال له: «بالرغم من كل أموالك هذه تعطيني كتابًا مقدسًا؟!» ثم اندفع خارجًا من البيت. تاركًا الكتاب المقدس وراءه.

مرت السنوات وأصبح الشاب ناجحًا في عمله. كان لديه بيت جميل وعائلة رائعة. لكنه أدرك أنَّ أباه تقدمت به الأيام جدًا ويجدر به أن يذهب ليزوره. لم يكن قد رآه منذ يوم التخرج.

وقبل أن يقوم بتجهيز نفسه، وصلته برفيعة تقول إنَّ أباه مات وقد أوصى بكل ممتلكاته لابنه. كان عليه أن يرجع سريعًا لبيته ليقوم بأداء بعض الأمور. حين وصل بيت أبيه، امتلأ قلبه بالحزن والندم. بدأ البحث في أوراق أبيه المهمة ورأى الكتاب المقدس الذي كان لا يزال يبدو جديدًا. تمامًا كما تركه منذ سنوات. فبدأ باكتاف في تصفُّح الكتاب والتقليب في صفحاته. كان أبوه قد وضع خطأ بعناية خت الآية التي في (متى ٧: ١١):

«فَإِنْ كُنْتُمْ وَأَنْتُمْ أَشْرَارٌ تُعْرِفُونَ أَنْ تُعْطُوا أَوْلَادَكُمْ عَطَايَا
جَيِّدَةً فَكَمْ بِالْخَيْرِ أَبُوكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ يَهَبُ خَيْرَاتٍ
لِلَّذِينَ يَسْأَلُونَهُ».

وما أن قرأ هذه الكلمات، حتى سقطت سلسلة مفاتيح سيارة من الكتاب المقدس. كان عليها بطاقة عليها اسم بائع السيارة. نفس البائع الذي كان لديه السيارة الرياضية التي كان يريدھا. ووجد على البطاقة تاريخ تخرجه ومكتوب عليها: مدفوعة بالكامل.

إنَّ هذه القصة تملأني بالحزن. إنها مثال قوي على أسلوب حياة الكثيرين منّا. بدلًا من أن نقبل عطايا الله بشكر، حتى إنَّ اعتقدنا أنها ليست ما طلبناه بالضبط، فنحن نغضب ونقطع اتصالاتنا به. أرجوك ألا تفعل ذلك! تذكر أنَّ أباك يحبك أكثر ممَّا تتخيل، إنه لا يريد إلَّا مصلحتك، حتى إنَّ وضع الهدية في علبةٍ مختلفةٍ عمدًا كنت تأمل.

عندما تكون لدينا مشكلة تظهر في غضبٍ غير عادي، فمن المهم أن نتملَّك المشكلة. يجب أن نراها مشكلتنا نحن ونتوقف عن إلقاء اللوم على الآخرين في حين أنهم ليسوا هم المشكلة إطلاقًا. يتم تدمير الكثير من العلاقات بسبب مشكلات من هذه النوعية. لقد حاولتُ وقتًا طويلاً أن أجعل ديف يدفع ثمن ما قام به أبي نحوي عن طريق عدم الثقة به ومحاولاتي للتحكم فيه حتى لا يجرحني. لقد كان لي إجاه سلبي إزاء كل الرجال لأن رجلاً تسبب في إيذائي. شعرتُ أنَّ

الناس مدينون لي بشيءٍ ما وكنتُ أحاول أن أسترده من كل شخص في حياتي. شكرًا للرب أنني رأيتُ أخيرًا ما كنتُ أفعله وطلبتُ من الله أن يعوّضني عن الظلم الذي شهدته في حياتي. وقد فعل ذلك.

إن كنتُ غاضبًا، دعني أسألك بعض الأسئلة. هل يؤدي غضبك إلى منفعتك أو منفعة أي شخص آخر؟ هل يحل المشكلة؟ هل يؤدي إلى تغيير الشخص الذي تغضب منه؟ هل يؤدي غضبك إلى زيادة الفرح والسلام لديك؟

هل تعتقد أنك تتحلّى بقدر معقول من الذكاء؟ إن كنت كذلك، فلماذا تستمر في القيام بشيءٍ هو مضیعة كاملة للوقت؟ لماذا لا تعمل في نفسك معروفاً وتتخلّى عن الأمر؟ سلّم للربّ الموقفَ بأكمله في الصلاة. ألقِ بهمّك عليه وامنحه الفرصة ليهتم بك. اجعل الربّ يتعامل مع الظلم الذي عانيت منه. يعدّ الربّ في (إشعياء ٦١) بأن يعطينا مكافأةً مضاعفةً عن متاعبنا السابقة. يعجبني هذا النوع من التعويض. ألا يعجبك أنت أيضًا؟

قد تقول: «يا جويس، لا أقدر أن أمنع نفسي من الغضب». أوافقك، لكن ما يمكنك عمله هو البدء في الصلاة من أجل من أغضبك طاعةً لله. وهذا سيساعدك. ما عليك فعله بعد ذلك هو أن تبدأ بدراسة مكثفةٍ لكلمة الله في موضوع الغضب. إنَّ لكلمة الله قوةً فعليةً في ذاتها وستمكّنك من أن تقوم بعمل الصواب. وهي تشفي نفسك. إنها دواء الله للنفس المجرّحة. ثق بكلمة الله. اقترب منها بتشوّق وإيمان. إنَّ شعرت بصداق ثم توجّهت لزجاجة مسكّن للألم، فأنت تتجّه لها متوقعًا أن تساعدك في تسكين الألم. اقترب من كلمة الله بنفس الطريقة وتناولها كدواء لمشاعرك المجرّحة.

أهم شيء هو أن تقرّر أنك لن تعيش حياة الغضب. إن كنت حازمًا في قرارك، ستجد حلولًا للمشكلات التي تمر بها. سوف يقودك الله بطريقة خاصة مناسبة لك خصيصًا. إننا نريد دائمًا تركيبةً تُصلح كلّ مشاكلنا. لكن الحقيقة هي أنّ علينا أن نثق بالله وندعه يقود كلاً منّا بصورة فردية. يمتلئ الكتاب المقدس بالحكمة التي تساعدنا في الابتعاد عن الغضب. إنَّ أفضل خطة هي الاكتشاف المبكر للغضب ومقاومته. لا تدع الغضب يتأصل في نفسك ويصبح مشكلةً من الصعب التعامل معها.

إن كنت إنسانًا غضوبًا، واعترف بذلك ومستعدًا لتلقي المعونة، يمكنك أن تفرح: حيث إنك لن تبقى غضوبًا لوقتٍ طويل. أنت في طريقك للتمتع بفيض من السلام ومستويات جديدة من الفرح. سوف يمكنك أن تحب الناس بحبة الله ما سيضيف قوةً لحياتك.

«الْجَوَابُ اللَّيْنُ يَصْرِفُ الْغَضَبَ وَالْكَلامُ الْمُوجِعُ يَهَيِّجُ السَّخَطَ»
(أمثال ١٥ : ١).

«إِعْضَبُوا وَلَا تُخْطِئُوا. لَا تَغْرِبِ الشَّمْسُ عَلَى غِيْظِكُمْ
[الغضب، السخط، الحنق، النقمة] وَلَا تُعْطُوا إِبْلِيسَ مَكَانًا
[كهذا]. [لا تعطوه فرصة]»
(أفسس ٤ : ٢٦-٢٧).

«إِذَا يَا إِخْوَتِي الْأَحِبَّاءَ، لِيَكُنْ كُلُّ إِنْسَانٍ مُسْرِعًا فِي الْإِسْتِمَاعِ
[مستعدًا للاستماع]. مُبْطِئًا فِي التَّكَلُّمِ، مُبْطِئًا فِي الْغَضَبِ.
لَأَنَّ غَضَبَ الْإِنْسَانِ لَا يَصْنَعُ بَرًّا [أمنيات وطلبات] اللَّهُ»
(يعقوب ١ : ١٩-٢٠).

الفصل الثامن

ساعدي:

أنا على علاقةٍ بشخصٍ غضوب

يمكننا أن نتعلّم التحكّم في غضبنا، لكن لا يمكننا التحكّم في غضب الآخرين. علينا أن نتعلّم كيفية التعامل مع الأشخاص الغضوبين في حياتنا بطريقةٍ حمينا ونأمل أن تساعدكم.

أولاً، فلننتكلم عن الغضب الذي يتحوّل لعنف. أنا لا أؤمن بأنّ الله دعانا لقبول انتهاك الآخرين لنا. لقد سمحت أُمّي لأبي أن يتحرش بي، ولما فعلت ذلك، انتهى الأمر بها ألا توفر لي الحماية أنا أو أخي. كان أبي يسيء لها باللفظ، كانت كلماته بها تهديد، وكانت شتائم القذرة أمراً معتاداً في بيتنا. كان كثيراً ما يهدد بأن يضربها. وقد صفعها على وجهها عدة مرات بل وضربها أيضاً. لم يكن مخلصاً لها. ومع ذلك لم تكن تفعل شيئاً إلا السكوت والتحمل. كانت تشعر بأنها ملتزمة بالزواج، لكنني كنتُ أشعر مرات كثيرة أنها لا تحترم نفسها عندما تسمح له بأن يعاملها بالطريقة التي كان يعاملها بها. أنا أدرك أنها كانت خائفةً، لكنني كنتُ أمتنى من قلبي من أجلها. كما هو من أجلي أنا وأخي. إما أن تواجهه أو تهجره.

كان من النادر في عصرها أن توجد نساء مطلّقات، كنّ فقط يتحمّلن أي معاملة يتلقّينها. في عصرنا، يتطلق الكثيرون وغالباً ما لا يبذلون أي مجهود لتسوية خلافاتهم. كلا الطريقتين خطأ.

إن ما يصلنا من معلومات عن النساء اللواتي يتعرضن للضرب هو أمر مذهل. بحسب مصلحة الإحصاءات، يوجد في الولايات المتحدة الأمريكية ما يقرب من ٥,٣ مليون امرأة في سن الثامنة عشرة أو أكبر يتعرضن للأذى الجسدي، أو اللفظي، أو الجنسي كل عام. كل يوم، تموت أربع نساء في الولايات المتحدة من جراء العنف الأسري. كما قلتُ، أنا لا أؤمن أنَّ على أي شخص أن يسمح لآخر بأن ينتهكه. ليست إرادة الله من جهتنا أن نعيش في الخوف. يقوم الأشخاص الذين يمارسون العنف عادةً بالتهديد. فهم يسيطرون بأسلوب التخويف. إنهم جناء يعيشون بالبطاحة. يجب مواجهتهم. وهذا لمصلحتهم.

أنا أتذكر ذلك الخوف الذي كان يسود على أجواء بيتي وأنا صغيرة. أتذكر حين كنتُ أقف في الخارج في البرد وأنا وأمي. منتظرين أن يغفو أبي نتيجة شرب الخمر حتى نتجنب التعرض للضرب. أتذكر الصراخ، والزجر، والشتيم، والتهديد، والدفع، والحشر، والاصطدام، والخنق، والضرب. أتذكر نوبات الغضب، حين كان يلوح بقبضته في الهواء في وجهي مهدداً إياي بالضرب. تأصل هذا الخوف الذي تربيتُ عليه في نفسي، وتطلب الأمرُ مني سنوات من العمل مع الله قبل أن أحرر منه. إن كنتِ تقرأين هذا الكتاب ووجدتِ نفسك تتعرضين للانتهاك، أتوسل إليك من أجل مصلحتكِ أنتِ وأطفالكِ، إن كان لديكِ أطفال، أن تبحتي عمّن يساعدكِ. إن لم تكوني تعرفين ما عليكِ فعله، احصلي على بعض المشورة. اطلبي أحد الخطوط الساخنة المخصصة للنساء اللواتي يتعرضن للضرب، أو اذهبي لأحد الملاجئ؛ لكن لا تقبلي بمجرد وجود الأمر. وتنتظري المرة القادمة التي يقرر فيها الشخص الغضوب أن يفرغ غضبه فيكِ. إن من ينتهكون الآخرين يحتاجون العون. إنهم مرضى لا يعرفون كيف يتعاملون بطريقةٍ سليمةٍ مع ما يعترضهم من غضب وإحباط. من المعتاد أن يكونوا هم أنفسهم قد تعرّضوا للأذى وهذا هو رد فعلهم على ما تعرضوا له من جروح. إنهم يحتاجون بالتأكيد للصلاة. لكن عندما نصلي يجب أن ندرك أن علينا أن نكون مستعدين لفعل ما يطلبه ممّا الله.

جاء وقتٌ في حياتي كان عليّ فيه أن أواجه أبي بشأن السنين التي كان يسيء لي فيها. كنتُ تقريباً في الخامسة والأربعين وكنتُ ما أزال أعاني ممّا فعله معي. لقد أراني الله أنَّ مواجهته هي الوسيلة الوحيدة لكسر دورة الخوف في حياتي. كان هذا صعباً جداً عليّ لأنني كنتُ أعلمُ أنني سأواجه غضبه مرةً ثانية. وقد حدث هذا بالفعل، لكنني تمكّنتُ أيضاً أن أتمم ما كان يقودني الله لفعله وقد ساعدني هذا أن أحرر. يجب علينا دائماً أن نقوم بالدور الذي يعيّنه لنا الله، مهما كان رد فعل الطرف الآخر.

معظم من يقرأ هذا الكتاب منكم لا يتعاملون مع مثل هذه النوعية من الغاضبين التي أتكلّم عنها، لكنكم تقابلون أشخاصًا غضوبين في حياتكم، ومنكم من هو على علاقةٍ بشخصٍ غضوب.

حيث إنَّ شخصًا غضوبًا أملى عليّ حياتي لسنواتٍ عديدة، كنتُ غاضبًا وأسكنتُ غضبي في كلِّ من كلماتي وأفعالي. كان غضبي يظهر غالبًا عندما كانت الأمور لا تسير كما كنتُ أريد. لقد كنتُ مخطئًا، وكنتُ أحتاج مواجهةً إلهيةً كما ذكرتُ من قبل في هذا الكتاب. من أفضل الأمور التي فعلها معي ديف هو أنه لم يدع غضبي يُحزنه. أنا أعتقد أنه من أفضل الأمور التي يمكنك عملها مع شخصٍ غضوب هو أن تُريه عمليًا أنَّ هناك طريقةً أفضل للمعيشة والسلوك.

كُنْ قَدْوَةً

لأنني لم أعش يومًا في مناخ به استقرار، فلم أعرف كيف يكون. كان ديف مثالًا للاستقرار بالنسبة لي، وكان هذا مهمًا جدًّا. لو كان اكتفى بقوله لي أن أتوقف عن الغضب وتعامل مع غضبي بغضبٍ من ناحيته، لا أعتقد أنني كنتُ تغيرت. كما يقولون: «لا يصنع خطآن صوابًا» وكما تقول كلمة الله إننا لا يجب أن نجيب عن شرٍّ بشرٍّ أو شتيمةٍ بشتيمة.

«غَيْرَ مُجَازِينَ عَنِ شَرِّ بَشَرٍّ أَوْ عَنِ شَتِيمَةٍ بِشَتِيمَةٍ» (تأنيب، توبيخ، لوم)، بَلْ بِالْعَكْسِ مُبَارِكِينَ [مصلين من أجل نجاحهم، وسعادتهم، وحمائتهم، وشاعرين بشفقةٍ حقيقيةٍ عليهم ومحبتهم]. عَلَيْنَ أَنْكُمُ لِهَذَا دُعَيْتُمْ لِكَيْ تَرْتُوبُوا بَرَكَةً [من الله، حتى تحصلوا على بركةٍ كوارثين، وهي جلب النجاح والسعادة والحماية]»

(١ بطرس ٣: ٩).

أنا أدرك جيدًا أنَّ القيام بهذا أصعب من القراءة عنه، لكن مهما كان ما يطلبه الله منا، فهو يعطينا القدرة على إتمامه إنَّ كنا على استعدادٍ لطاعته. إنَّ الله لديه حل لأي مشكلةٍ لديك، وطرقة ناجحة دائمًا إن تعاوننا معها.

أؤمن من كل قلبي بأنَّ القدوة التي رأيتها في ديف لي كانت هي التي جعلتني أرغب في التغيير. لقد كان حازماً معي لكنه لم يسمح لي أن أسرق فرحه. جعلني أعرف أنني إن أردت أن أكون غير سعيدة، فهذا شأنِي الخاص، لكنه سيكون سعيداً سواء كنتُ أنا سعيدة أم لا. لقد كان ثابتاً على مبدئه حتى أدركتُ أخيراً أنني كنتُ أفقد الكثير من حياتي وأحتاج للتغيير. لا يمكن لأحد أن يتغيّر حتى يريد ذلك بنفسه، لذا فإن كنتُ خالول أن تغيّر أشخاصاً في حياتك بنفسك فسيؤدي هذا لشعورك بالإحباط. لا يقدر أحدٌ إلا الله أن يغيّر الناس من الداخل. وهو يقوم بذلك عندما نطلب منه ذلك. لذا صلّ من أجل الغاضبين أن يدعوا الله يعمل في حياتهم، وكنْ قدوةً لهم!

هل تسمح لشخص بائس أن يجعلك بائساً؟

عندما أقول في مؤتمراتي إنَّ علينا ألا نسمح لسلوك شخص آخر أن يحدّد مستوى فرحنا، أتلقّى دائماً ردّ فعل مذهلاً. أستطيع أن أرى في وجوه الحاضرين أنهم قد قاموا بذلك دون حتى إدراك أنّ أمامهم اختياراً آخر. في الواقع، يسهل التحكم بنا بواسطة مشاعر الآخرين السلبية حتى نتعلم أنّ لنا قراراً بهذا الشأن.

* * *

سنحت لماري فرصة أن تقوم برحلةٍ خلّابة في قطار الشرق السريع الشهير من فينسيا حتى باريس. قرّرت أن تدعو أختها، جين، للرحلة كهدية عيد ميلادها الخمسين. وكانت هي المتكفّلة بكل المصاريف. وافقت جين وانطلقنا في رحلة عمرهما. بعد أيام قليلة في فينسيا، شعرت جين بأنها تفتقد زوجها وأولادها وأصبحت بائسةً، وحين ركبت هي وماري القطار، كانت تشعر بالغضب. كانت تريد أن تعود للبيت!

كما أنها كانت تشعر أيضاً بعدم الراحة في بلدٍ لا تتكلم لغتها ولا تقدر فيها أن تحصل على كوب شاي دون أن تعاني حتى يفهمها الآخرون.

لم يمْضِ وقتٌ طويل حتى بدأت جين تغضب من أختها. كانت تشعر بأنّ ماري تتباهى بقدرتها على حُمل مصاريف خروج أختها الفقيرة في رحلة ترفيه مُترفة. بدأ رفضها لماري يزيد يومًا بعد يوم. وابتدأ سلوكها تجاه أختها يصبح بغيضًا. سرعان ما أدركت ماري أنّ أختها كانت غاضبةً منها. ربما تكون قد شعرت بالغيرة من ماري. التي سافرت كثيرًا وكانت معتادةً على التأقلم مع المواقف الجديدة. مهما كان السبب. فقد قرّرت ماري أنّ هناك نتيجتين يمكن حدوثهما: أن تكون جين غاضبةً. أو أن تكون جين وماري غاضبتين. قررت ماري أن تكون طيبةً مع أختها مهما طرأ منها. قامت بالعض على لسانها مرات كثيرة أثناء الرحلة وقررت أن تتمتع بالرحلة التي لا يمكن الخروج فيها إلا مرة واحدة في العمر حتى إنّ قررت جين ألا تستمتع بها.

كم كانت جين تشعر بالإحباط حين قررت ماري ألا تتجاوب مع غضبها! عندما تتذكر ماري هذه الرحلة الآن تشكر الله لأنها تمكنت من التمتع بكل لحظة فيها. ورغم أنها كانت تتمنى لو أن جين قضت وقتًا أفضل في الإجازة. إلا أنها تعلّم أنه على الأقل هناك شخص تمّتع بها!

* * *

لن نحصل إلا على حياةٍ حزينَةٍ إنّ سمحنا للآخرين أن يحدّدوا مستوى فرحنا. هناك مَنْ قرروا بالفعل ألا يكونوا سعداء. ولا يوجد شيء سيغير قرارهم. سمعنا مؤخرًا أحدهم يقول: «لن تكون الأم أكثر سعادة من أكثر أولادها حزنًا». إن هذا حقيقة واقعة. لكنها ليست بالضرورة أمرًا حتميًا. يجب أن ندرك أننا لا نساعد الآخرين حين نشترك معهم في مزاجهم السيئ. ويمكننا أن نعمل في أنفسنا معروفًا ونحتفظ بفرحنا مهما فعل الآخرون. فرح الرب هو قوتنا. لذا فالاحتفاظ به يساعدنا أن نمر بالظروف التي علينا حُملها في الحياة. إنّ الحزن يُضعِفنا. لكن الفرح يقوِّينا.

هل يمكننا حقًا أن نفرح حين يكون مَنْ هم حولنا غاضبين أو حزانين؟ نعم. يمكننا ذلك إنّ عزمنا على فعله. وأريد مرةً أخرى أن أوكد على أنني أوْمِنُ بأنّ هذا هو أفضل ما يمكننا فعله لفائدة الغاضب. فقط عليك أن تحتفظ بفرحك الهادئ في وجوده. اجعله يشعر بالطمأنينة بأنك تحبه وتريد سعادته. لكنك لن تسمح لقراره أن يُعلي عليك نوعية حياتك. لا تعتمد على تصرفات غيرك.

أنا أعرف كيف تكون هذه الأمور لأنني لم أواجه فقط تحكّم غضب أبي في كل من المنزل. لكنني واجهت مواقف أخرى مشابهة في حياتي. كان لي في السابق مدير دائم الغضب ويصعب إرضاءه. كنت أصبح سعيدة حين يكون سعيداً. وأستاء حين يكون مستاءً. لقد تأصل فيّ هذا النمط من الحياة في طفولتي. وكنت أجاب تلقائياً مع الغضوبين بإحساسي بالخوف والترهيب. شكراً لله لأنه حرّرتني. وهو سيقوم بنفس الشيء معك إن كان لك احتياج في هذا الأمر. ذات مرة. كانت لي جارة وصديقة يسهل إغضاها. خصوصاً إن لم أقم بأداء الأمور بالطريقة التي ترغب فيها. وكنت أجاب معها بنفس الطريقة التي كنت أتبعها مع أبي ومديري. سيحرص إبليس دائماً أن تكون عندنا وفرة في الأشخاص الغضوبين في حياتنا إن سمحنا لهم بالتحكّم فينا. لذا علينا أن نقرر مسبقاً كيف سنتعامل مع الأشخاص الغضوبين.

عندما نتقابل مع شخص مستاء. فمن الطبيعي أن نحاول مساعدته. لكن إن رفض المساعدة. فلا يوجد أي سبب منطقي يجعلنا نضيع وقتنا وطاقتنا. ليس من الحكمة أن نشترك في سلوك الآخرين المختل. ابذل قصارى جهدك. لكن لا تضيع حياتك في محاولة معالجة شخص يرفض التغيير. قد توجد أوقات سيكون من الأفضل فيها أن تنفصل عن الأشخاص الغضوبين. بالطبع. لن يكون هذا دائماً ممكناً إن كان هذا الشخص من أفراد عائلتك. لكن بالتأكيد ليس لزاماً علينا أن نبقى على أصدقاء غضوبين. في الواقع. يعلمنا الكتاب المقدس ألا نختلط بالغضوبين:

«لَا تَسْتَصْحِبْ غَضُوبًا وَمَعَ رَجُلٍ سَاخِطٍ لَا جَيِّءُ»

(أمثال ٢٢: ٢٤).

لا تَلَمَّ نفسك

مهما فعلت. لا تقبل الذنب واللوم الذي يحاول أن يلقيه عليك شخص غضوب. إن الأشخاص الذين يسلكون سلوكاً مختلاً لديهم غالباً مشكلة كبيرة أنهم يلقون بمسؤولية سلوكهم السيئ على شخص ما أو شيء ما. إن إلقاء اللوم على الآخرين يريحهم من مسؤوليتهم أن يتغيروا. لا تقبل اللوم! علينا

جميعاً أن نتحمّل مسؤولية سلوكنا. وحتى إن ارتكبت خطأً، فهذا لا يعطي الشخص الآخر الحق في أن يتصرف بلوّم. إن قمت بعمل خاطئ، اعتذر. لكن لا تهدر أيامك في التمرغ في الإحساس بالذنب.

سوف يعمل إبليس من خلال أي مصدر يمكنه التحكم فيه حتى يجعلنا نشعر بالذنب والإدانة. إنه يعلم أن هذا يجعلنا ضعفاء ويضغط علينا. لقد جاء يسوع ليغفر خطايانا ويحرّرنا من الذنب. لقد جاء ليقوّينا ويرفعنا. هل تسمح لإبليس أن يسرق فرحك عن طريق الذنب؟ إن كنت تفعل هذا، اجعل اليوم هو اليوم الذي تقرر فيه ألا تلوم نفسك بعد الآن على مشاكل الآخرين. حتى إن كنت قد ارتكبت خطأً في تعاملك مع الآخرين، يمكن لله أن يعمل عملاً شافئاً لكل من يسمح له بذلك. أول خطوة في هذا الاتجاه هي الغفران وترك الماضي.

صَلِّ - صَلِّ - صَلِّ

لا تباأس من الشخص الغضوب. صلّ واستمر في الصلاة لكي يرى الحق ويبداً الحياة في النور. من الواضح أن لديه عبودية، أو جرحاً، أو شيئاً ما خطأ في ماضيه يتسبب في غضبه. اجعله يعرف أنك على استعداد أن تساعدك لكنك لا تقبل أن تكون العمود الذي يضربه بالسياط.

أنا في اندهاش دائم من قوة الصلاة. وكلما طال بي العمر، تمسكت أكثر بالصلاة كخط الدفاع الأول في كل موقف. أستطيع أن أتذكر أقوال حمقاء مثل: «لقد فعلت كل ما أعرف أن أفعله، لا يوجد أمامي شيء آخر إلا الصلاة»، كان يجب أن تكون الصلاة هي أول ما أفعله.

هل تتذكرون سوسنة؟ لقد مرّت بوقت رهيب من الألم والهجر من جانب عائلتها وأصدقائها. في السنوات القليلة الماضية، تعلّمت أن تعتمد على الشخص الوحيد الذي لن يتركنا أو يهجرنا أبداً. يمكنها أن تقول لكم الآن إنها شخص مختلف عما كانت عليه قبل أن تبدأ مشاكلها. لقد تعلّمت أن تصلي من أجل من جرحوها. كانت صلواتها في البداية ليست من كل القلب. لقد كانت غاضبة من زوجها السابق، وأختها، وابنتيها. بينما كانت تصلي من أجل شفائهم هي. بدأت في الصلاة طالبة الشفاء لهم. وكما يحدث في العادة، عندما وضعت نفسها في موقفهم، بدأت تدرك أنها كانت مشتركة في التسبب في بعض من الآلام التي مرت بها. لقد استغلت ثروتها ونفوذها في التحكم في من حولها.

وهي الآن تحاول مصلياً أن تترك الآخرين «يكونون هم أنفسهم» وألا تحاول دائماً أن تجري الأمور بطريقتها هي. إنها تعيش الآن حياةً أبسط. ومع أن أمامها الكثير من التحديات، إلا أنها تقول إنها تعتمد على الله بطريقةٍ جديدةٍ أكثر عمقاً. لك أن تخيل أن سوسنة لا تقدر أن ترجع لحياتها القديمة حتى لو أرادت. لقد سمح لها الله أن تمر في النار، وبينما كانت تمر بالألم كبير، أصبحت أيضاً شخصاً أكثر عطفاً. هل مازالت تتألم؟ نعم. لكنها ستكون أول من يقول لك إنها تعتمد الآن على الله بدلاً من المال والناس. وقد ذاب غضبها.

لقد شهدت تغييراتٍ مذهلةً حدثت في حياة الناس بقوة الصلاة. لا يمكننا أن نتلاعب بالآخرين بصلاتنا. لكننا نقدم لله من خلال الصلاة باباً مفتوحاً ليعمل بقوة في حياتهم، وهو يضغط عليهم بحبته بطريقته الخاصة. لا أقدر أن أفسر لماذا في بعض الأحيان نصلي وتصلنا الاستجابات في الحال. وفي أحيان أخرى نصلي لسنوات ومازلنا نصلي. لكنني متمسكة بالمداومة على الصلاة وشكر الله على عمله في حياة الأشخاص الذين أصلي من أجلهم، حتى إن كنت لا أرى نتائج. أنا أؤمن أن الله يعمل عندما نصلي!

«سَأَلُوا تُعْطُوا. اطْلُبُوا حُدُودًا. اَقْرَعُوا [باحترام ووقار] يَفْتَحْ

لَكُمْ [الباب]»

(متى ٧: ٧).

«... طَلَبَةُ الْبَارِّ [الطلبة الصادقة، المستمرة] تَقْتَدِرُ كَثِيرًا

فِي فِعْلِهَا [لها عمل فعال]»

(يعقوب ٥: ١٦).

لا يوجد شخص لا يقدر الله أن يصل إليه. ولم يفت الوقت بالنسبة لأي شخص حتى يتغير. إن كان هناك شخص متألم لا يعلم كيف يذهب لله أو لم تكن لديه الرغبة في الذهاب له طلباً للمعونة، فهو يحتاج إذاً لمتشجع. إنه يحتاج لشخص يقف في الثغرة بينه وبين الله ويصلي. يسوع يقوم بهذا عتاً، ويمكننا. بل يجب علينا. أن نعمل نفس الأمر مع الآخرين. لا نتوقف عن الصلاة!

الفصل التاسع

لماذا أغفر؟

لم تكن هناك أية أمور غير اعتيادية في عائلة بروكس دوجلاس، ذلك الشاب الذي يبلغ من العمر ستة عشر عامًا، في وقت العشاء يوم الخامس عشر من أكتوبر ١٩٧٩. بينما كانت أمه تعد العشاء للأسرة، كان أبوه، الخادم المعمداني، يدرس عظةً سيقوم بتقديمها الأحد التالي في كنيسة مدينة باتنام المعمدانية في أوكارتشي، بولاية أوكلاهوما. كانت أخت بروكس الصغيرة، لسلي، جالسةً على المائدة. كانت هذه الفتاة ذات الاثني عشر عامًا هي الجالسة على عرش مسابقة ملكة جمال مراهقات أوكلاهوما. كانت الحياة جميلةً بالنسبة لهذه العائلة الشابة.

عندما بدأ الكلب في النباح، خرجت لسلي لتجد شخصًا زعم أنه يبحث عن جار لهم لم تسمع به الأسرة من قبل. عندما طلب الرجل أن يستخدم تليفونهم، دعاه بروكس للدخول.

وفي خلال دقائق، اندفع فجأة رجل آخر من الباب شاهراً بندقية مزدوجة الماسورة. أجبر الرجلان الأسرة أن ينبطحوا على أرضية غرفة المعيشة وقاموا بتقييدهم جميعاً ما عدا ليسلي: أخذوها للغرفة المجاورة واستمروا يغتصبونها لأكثر من ثلاث ساعات. لم يقدر باقي أعضاء الأسرة أن يفعلوا شيئاً سوى أن يسمعوها وهي تصرخ من التعذيب.

عندما انتهى الرجلان مّا كانا يفعلانه، دخلا المطبخ وأكلا العشاء الذي كان لا يزال على الموقد. ولدة ساعتين، كانا يرهبان ضحايتهما ويتجادلان عمّا يفعلانه بشأنهم. ثم أطلقا الرصاص عليهم جميعاً. مات القس دوجلاس في عمر الثالثة

والأربعين. وماتت زوجته في عمر التاسعة والثلاثين. وخرج القاتلان ومعهما ثلاثة وأربعين دولارًا وخاتمي زواج الزوجين.

أصيب الولد والفتاة بإصاباتٍ جسيمةٍ ومكثا في المستشفى. تحت حراسة الشرطة. ثلاثة أسابيع. لكن شفاء المشاعر كان يحتاج وقتًا أطول بكثير. بالنسبة لبروكس. كانت السنوات التي تلت حادثة إطلاق النار هي دوامة من السقوط. انضم جامعة أوكلاهوما المعمدانية لكنه ترك الدراسة في وقتٍ قصير جدًا. ظل ينتقل من ولاية لولاية. ويقوم بوظائف غريبة ويهوي أكثر وأكثر في الخمر والاكنتاب.

بعد فترة، شق طريقه لينضم جامعة بايلور ليدرس ليكون خادماً. لكنه كان قد أصبح سكيرًا صاخبًا وسرعان ما أوقفوه عن الدراسة بسبب درجاته المتدنية وأفعاله سيئة السمعة. لكنه في النهاية أكمل الدراسة الجامعية وانطلق في العمل بتجارة الأراضي. تزوج. لكن زواجه فشل.

في السنوات التي تلت ذلك، تمكن دوجلاس من إعادة بناء حياته: حيث إنه كان مدفوعًا برغبته في جلب قاتلي والديه للعدالة. وتمكن في النهاية من الحصول على درجة علمية في القانون وترشح لمقعد في مجلس الشيوخ بولاية أوكلاهوما. وفاز به.

في فبراير ١٩٩٥، بينما كان في جولةٍ في سجون ولاية أوكلاهوما، التقى دوجلاس وجهًا لوجه مع جلين أكي. أحد الرجلين اللذين قتلا والديه. طلب من أمر السجن أن يتكلم مع السجين. الذي كان ينتظر الإعدام. كان دوجلاس لديه سؤال واحد: «لماذا فعلت ذلك؟» حدث الرجلان لأكثر من ساعة. كان أكي شديد الندم وكان باكيًا طيلة المحادثة. وبينما همّ دوجلاس بالرحيل، قال لأكي: «أنا أسامحك» يقول دوجلاس إنه حين قال هذه الكلمات: «فجأة، شعرتُ وكأنَّ سُمًّا انسكب من باطن قدميَّ. كان هذا من أكثر الأحاسيس الجسدية التي أدركتها. وكأن شخصًا نزع مشبكًا ضيقًا من على صدري. شعرتُ أنني أستطيع التنفُّس من جديد لأول مرة منذ خمسة عشر عامًا».

ثم توجّه دوجلاس لكتابة وإنتاج فيلم بعنوان السماء. روى فيه قصةً مأساته وشرح رحلته الذاتية من الغضب والدمار حتى الوصول إلى الغفران. قال إنَّ الإيمان الذي غذاه فيه والداه بعنايةٍ ساعد في قيادته للإحساس بالسلام. كان يمكن لبروكس دوجلاس أن يستمر في مشاهدة حياته وهي تضع في الغضب. والألم. والبغضة لو لم يكن قد غفر.

أنا أُمَلُّ أننا حين نفهم خطورة المرارة، والبغضة، وعدم الغفران، يكون هذا دافعاً لنا أن نبذل قصارى جهدنا للابتعاد عنه وهذا سيساعدنا أن نسارع بالغفران. نحتاج أن نواجه هذه المشاعر المدمِّرة ونتخطاها. إنَّ مشاعر الغضب قوية جدًّا وتميل للتحكم في تصرفاتنا، لذلك، كلما فهمنا لماذا علينا أن نغفر، أصبح من المحتمل أكثر أن نقوم بذلك. تعلمتُ على مدار السنين أسباباً جيدةً كثيرةً لهذا السؤال: «لماذا علينا ألا نبقى في الغضب وأن نسارع بالغفران؟» وسأشارككم بها.

الطاعة لله

من أحد الأمور التي تدفعني للغفران هو أن الله طلب مِنَّا ذلك. لا أعتقد أنَّ علينا أن نفهم دائماً لماذا يريد مِنَّا الله أن نقوم بعملٍ ما، لكن علينا أن نثق فيه ببساطة ونقوم بالأمر. عندما نعيش في مشيئة الله، تكون حياتنا دائماً أفضل ممَّا كانت ستصبح عليه إن اتبعنا مشيئتنا نحن. أنا متأكدة أنك رأيت أحد القمصان المطبوع عليها عبارة: «فقط قم بالأمر» ويجب أن يكون هذا هو جوابنا إزاء مشيئة الله.

إنَّ طاعة الرب هي أفضل ما يمكننا أن نتبعه لأنها دائماً تضيف لحياتنا سلاماً وفرحاً وقوةً. إنَّ لم نُطع الرب نشعر بالذنب في ضمائرنا. ممَّا يجعلنا نشعر بالضعف. ونُحرِّم من الفرح والسلام. قد نحاول أن نتجنب حقيقة كوننا نعصى الرب ونختلق لأنفسنا الأعذار. لكن أثر العصيان يبقى مزعجاً. لا يوجد شيء أفضل من الشعور بضميرٍ نقي.

هل تشعر بالغضب من شخصٍ ما الآن؟ إنَّ كنت هكذا، فلم لا تطيع الربِّ بسهولةٍ وتغفر لهذا الشخص حتى تتمكن من متابعة حياتك في سلامٍ وفرح وقوةٍ؟ يقال إنَّ إبليس يستخدم عدم الغفران ضد الناس أكثر من أي شيءٍ آخر. إنه يستخدمه للتفرقة والتقسيم، ولِيُضعف علاقتنا بالله ويدمرها ويعوقها. هذه مجرد بعض من الآثار المدمرة لعدم الغفران.

أنا أؤمن أنك فور أن تعرف الدمار الذي يلحقه عدم الغفران بحياتك، سيكون هذا دافعاً لك لتبذل كلَّ ما في جهدك لتتحرَّر منه. لقد أضعتُ سنوات عديدة في الغضب والمرارة، لكنني الآن أقول: «لقد مررتُ بهذا، وفعلتُ هذا، ولا أريدُ أن أفعله مرةً أخرى». لقد قلتُ لأحدهم بالأمس «ليس عندي وقت لأهدره في الغضب من أي أحد».

* * *

إيفا كور هي سمسارة عقارات في مدينة تير هوت بولاية إنديانا. وهي امرأة مُفعّمة بالحياة جذابة في سنّ السادسة والسبعين. لا يمكنك أن تعرف أنها ذاقَت عذاباً يفوق الخيال على يد د. جوزيف مينجيل عندما كانت طفلةً في معسكر الاعتقال في أوشفيتز. في عام ١٩٩٥، عادت مرةً أخرى للمعسكر في إرساليةٍ. وقد أصبحت هذه الإرسالية حديث كل وكالات الأنباء في أوروبا كلها. قامت بقراءة هذا البيان في المكان الذي فقدت فيه براءتها وعائلتها. قالت: «أنا، إيفا موزيس كور، إحدى توأمتين. بقيت على قيد الحياة رغم تجارب جوزيف مينجيل عليّ كطفلةٍ في أوشفيتز منذ خمسين عامًا. ها أنا أُمَنح العفو العام لكل النازيين الذين اشتركوا بطريقةٍ مباشرةٍ أو غير مباشرةٍ في مقتل عائلتي وملايين آخرين».

ومنذ هذا الوقت، طافت إيفا كور العالم تتكلم عن خبراتها في أوشفيتز. تركز رسالتها دائماً على القوة الشافية التي في الغفران. كانت تقول: «ليس الغفران أكثر ولا أقل من عمل شفاء ذاتي. عمل تمكين ذاتي. لقد شعرت في الحال أنّ عبئاً من الألم قد أُزيل عن كتفي. أنني لم أعد ضحيةً من ضحايا أوشفيتز. أنني لم أعد سجيناً ماضياً المأساوي. أنني أصبحت أخيراً حرةً». وهي تقول أيضاً: «أنا أطلق على الغفران اسم الدواء الحديث المعجزي. ليس عليك أن تنضم لمنظمةٍ للرعاية الطبية. لا يوجد تشارك في مصاريف العلاج. لذا يقدر كلُّ الناس على ثمنه. لا توجد له آثار جانبية. وإن لم يعجبك إحساسك بعدم وجود آلام الماضي، يمكنك دائماً أن ترجع وتأخذ ألك ثانيةً». إنّ إيفا كور لا تضيّع وقتها على صحتها. من الواضح أنّ الله نفسه هو من وصف لها دوائها المعجزي.

اجعل الأمر الرئيسي هو الأمر الرئيسي

إن الطاعة هي الفكرة الرئيسية في كلمة الله. وعلينا أن نجعلها الأمر الرئيسي في حياتنا. دعونا نُصَلِّي بإخلاص: «لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض». يجب أن تبدأ طاعتنا بأفكارنا؛ لأن هذه الأفكار تصبح أفعالنا.

«[بقدر ما نحن] هَادِمِينَ ظُنُونًا وَكُلَّ عُلُوٍّ تَرْتَفِعُ ضِدَّ مَعْرِفَةِ
اللهِ [الحقيقية]. وَمُسْتَأْسِرِينَ كُلِّ فِكْرٍ إِلَى طَاعَةِ الْمَسِيحِ
[المسيا. مسيح الله]»

(٢ كورنثوس ١٠: ٥).

يشجعنا الرسول بولس على أن نأسر أفكارنا. ينشأ عدم الغفران من رأينا في الناس والمواقف. لقد اكتشفْتُ أنني إذا قررتُ ببساطة أن أصدق أفضل ما في شخصٍ ما في موقفٍ ما، سأتمكنُ غالباً من أن أبتعد عن الألم والغضب والمرارة. ويمكننا أحياناً أن نقرر ألا نفكر في الإساءة مطلقاً. ولكن هناك أمراً أكيداً، وهو أنه كلما فكرنا في الإساءة التي تسبب لنا فيها شخصٌ ما، أصبحنا أكثر غضباً ومرارة. لذلك فلننخذ قراراً بأن نجعل طاعتنا لله تبدأ من أفكارنا.

تقول إحدى ترجمات الكتاب المقدس إنَّ الغفران يعني «التخلي عن الأمر وطرحه». والوسيلة لتحقيق ذلك هو رفض التفكير في الأمر أو التحدث بشأنه. أخرج الإهانة من تفكيرك وبعيداً عن فمك، وسوف تهدأ مشاعرك الجريحة المثارة.

وهم تخلوا عن الأمر

كان رجال ونساء الكتاب المقدس الذين أظهروا قوة الله في حياتهم يسارعون دائماً للغفران. يوسف هو واحدٌ من أفضل الأمثلة التي نجدها في كلمة الله والرسول بولس هو مثلٌ آخر أيضاً. لقد ذكرتُ يوسف سابقاً، لكن قصته قوية جداً ومدهشة، حتى إنها تستحق أن ننظر لها مرةً أخرى ونستنتج منها قدوةً أكثر قوةً.

رغم أن إخوة يوسف كانوا يكرهونه ويعاملونه بقسوة، لكنه كان مطيعاً لله في أمر الغفران. كان يعرف أن الانتقام ليس من حقه، لكنه لله. كان يثق أن الله سيخرج خيراً من الموقف الشرير، وهذا بالضبط ما حدث. رغم أن يوسف وجد نفسه في مواقف عديدة مؤسفة وغير عادلة، إلا أنه اختبر بركات الله. لقد اختبر تأييد الله، مثلما يحدث مع كل واحدٍ منا يجعل طاعة الله أمراً مهماً في حياته. بعد سنواتٍ عديدةٍ من كونه خادماً للآخرين وقضائه ثلاث عشرة سنة في السجن من أجل أمر لم يرتكبه، كان لا يزال يرفض السلوك بمرارة. وفي النهاية، وضعه الله في موضع سلطةٍ وقوةٍ في الأرض، وفي وقت الجماعة، قال هذا لإخوته المتضورين جوعاً عندما أتوا إليه طلباً للمساعدة:

«فَالآنَ لَا تَحَافُوا. أَنَا أَعُولُكُمْ وَأَوْلَاذُكُمْ". فَعَزَّاهُمْ [أَعْطَاهُمْ

فَرِحاً وَأَملاً وَقُوَّةً] وَطَيَّبَ قُلُوبَهُمْ»

(تكوين ٥٠: ٢١).

إن تأملنا في الأمر للحظة سنندهش من طريقة تفكير يوسف. ويمكننا جميعاً أن نتطالع للتصرف بنفس الطريقة عندما نجد الناس يسيئون إلينا ونجد أن الحياة ظالمة. لماذا نغفر للناس ونكون طيبين معهم حين يعاملونا بسوء؟ لأن الله قال لنا ذلك! هذا هو السبب الذي يجب أن يكون عند كل منا.

لقد عاش إخوة يوسف في خوفٍ وألمٍ في حياتهم، بينما كان يوسف يتمتع بالسلام والفرح والقوة. لذا دعني أسألك مَنْ منهم كان الضحية وَمَنْ كان المنتصر؟ في البداية، قد يبدو أن يوسف هو الضحية؛ فعلى أي حال، قد باعه إخوته لتجار العبيد. لكن الحقيقة هي أنه كسب نصراً هائلاً عندما تمكن أن يصمد في هذا الموقف الرهيب ويخرج منه رجلاً أفضل مما سبق. وانتهى الحال بإخوته أن يكونوا هم أنفسهم ضحية كراهيتهم وغيبتهم. عندما اتخذ يوسف قراراً بالغفران، عمل في نفسه معروفاً استفاد منه بقية عمره.

مَرَّ الرسول بولس بتجارب كثيرة عندما كان يحاول أن يساعد الناس بتبشيرهم إِيَّاهم بالإجيل. وجد نفسه في السجن ثم في محاكمةٍ على جرائم لم يرتكبها. يخبرنا الكتاب المقدس أن الجميع تخلَّوا عنه في محاكمته الأولى. لم يقف أحد بجواره. ومن المؤكد أن هذا كان إحساساً فظيماً بالوحدة وكان يمكن أن يثير لديه إحساس المرارة بسهولة؛ فعلى أي حال، لقد كان يُحاكم لمحاولته مساعدة هؤلاء الأشخاص الذين تخلَّوا عنه!

«فِي احْتِجَاجِي الْأَوَّلِ لَمْ يَحْضُرْ أَحَدٌ مَعِيَ [كمحامٍ]. بَلْ

الْجَمِيعُ تَرَكُونِي. لَا يُحْسَبُ عَلَيْهِمْ.

وَلَكِنَّ الرَّبَّ وَقَفَ مَعِيَ وَقَوَّانِي، لِكَيْ تُنَمَّ بِي الْكِرَارَةُ، وَيَسْمَعَ

جَمِيعُ الْأُمَمِ. فَأَنْقِذْتُ مِنْ قَوْمِ الْأَسَدِ»

(٢ تيموثاوس ٤: ١٦-١٧).

دعوني أستكشف معكم هاتين الآيتين وأشاركم ببعض الأمور التي أراها فيهما. لقد وقف الله مع بولس وقوّاه. لكن ما كان هذا ليحدث لو كان بولس تمسك بعدم الغفران والمرارة. إن الروح التي لا تغفر تفصلنا عن الله. إن الله بالطبع لا يتركنا. لكن النور لا يقدر أن يشترك مع الظلمة. لذا فنحن نصد أو نمنع فرحنا بحضوره في حياتنا. ولكن بولس اختبر فعلاً حضور الله معه لأنه كان مطيعاً.

ذكر بولس أيضًا أنه أُنقِذَ من فم الأسد. كان هذا إبليس عاملًا في الأشرار الذين اتهموا بولس وطلبوا أن يؤذوه.

إنَّ الإسراع بالطاعة بشأن الغفران لأي شخصٍ لنا عليه أي شيءٍ سيعطينا قوةً وسلطاناً على إبليس. دعني أذكِّرك بأنَّ بولس قال للناس في إحدى تعاليمه أن يسامحوا حتى لا يطمع الشيطان فيهم وتكون له قوة عليهم (٢ كورنثوس ١٠: ١-١١). هل من الممكن أن يكون إبليس قد طمع فيك أو في أي شخصٍ تعرفه بسبب عدم الغفران؟ إنَّ كان الأمر هكذا. يمكنك ببساطة أن تصحَّح الوضع في الحال بأن تكون مطيعاً لله وتغفر بالكامل لأي شخصٍ لك عليه شيء. لقد حان الوقت أن تسأل نفسك: «هل أنا متمسك بضغينة أم أن الضغينة هي المتمسكة بي؟»

كان على الاثني عشر تلميذاً الذين كانوا يدخلون سويّاً أن يسامحوا بعضهم البعض مرات كثيرة على الإساءات الحقيقية أو الخيالية. عندما نقضي وقتاً طويلاً مع نفس الأشخاص. يمكن أن يضغطوا على أعصابنا ونتخيَّل أنهم يفعلون ذلك عمداً لمضايقتنا. في الواقع إنهم فقط على طبيعتهم ونحن قد اكتفينا من هذا. أستطيع أن أتخيَّل كم كان الأمر صعباً على التلاميذ الاثني عشر الذين لم يفترقوا عن بعضهم لثلاث سنوات إلا نادراً. لقد كانت شخصياتهم عكس بعضها وكان عليهم أن يتعلموا أن يتوافقوا سويّاً كما نفعل نحن مع الآخرين.

لقد سأل بطرس يسوع كم مرة عليه أن يغفر لنفس الشخص لقيامه بنفس الأمر (متى ١٨: ٢١). من المُسلِّي أن نستخدم مخيَّلاتنا ونتخيَّل بطرس وهو يتصرف كطفل يُعلِّمه أبوه كيفية التعامل مع إخوته. أستطيع أن أتخيَّل بطرس وقد احمرَّ وجهه من الغضب. وكأنه يقول لوالده: «كم مرة تتوقع مني أن أغفر له؟ لأنني قد مللتُ من الأمر!»

هل يمكن لأحد تلاميذ يسوع أن يفكر ويتصرف بهذه الطريقة؟ لم يكن هؤلاء الاثني عشر مختلفين عنا. لقد كانوا عاديين يتعلمون كيف يطيعون الله. وكان لهم نفس ردود الأفعال العاطفية والذهنية التي لدينا بشأن مشيئة الله. كانوا يشعرون بالتمرُّد. والعناد. وبكل المقاومة الجسدية التي يشعر بها أيُّ شخص آخر. وكان عليهم أن يتعاونوا مع يسوع ليُعَلِّمهم كيف يتغلبون على الأمر. لا تيأس إن كنت تعاني من موضوع الغفران للآخرين. لا أعرف شخصاً يجد هذا الموضوع سهلاً. لكن يمكننا أن نقوم به بمعونة الله.

القدرة على محبة الناس

تُعاق القدرة على محبة الناس عندما تبقى غاضبين ونرفض أن نغفر. قمْتُ بتأليف كتابين كاملين عن أهمية محبة الناس. لذا فمن الواضح اعتقادي بأنها شيء نحتاج أن نقدم له اهتمامًا كبيرًا. إنَّ المحبة هي أعظم شيء في العالم، وبدونها لن يصبح حياتنا مذاق. ستكون حياتنا مُملَّةً، وباردةً، وبلا مذاق وسنصبح محبوسين في سجون أنانيتنا. إنَّ الله يعرف ذلك قبل أن نعرفه بالطبع، وقد دبر لنا مخرجًا من هذه الحياة المربعة. وهذا السبيل هو يسوع.

«وَهُوَ مَاتَ لِأَجْلِ الْجَمِيعِ كَيْ يَعْيشَ الْأَحْيَاءُ فِيمَا بَعْدُ لَا لِأَنْفُسِهِمْ، بَلْ لِلَّذِي مَاتَ لِأَجْلِهِمْ وَقَامَ»
(٢ كورنثوس ٥: ١٥).

هذه آية جميلة بالنسبة لي. مات يسوع حتى نقدر أن نتحرَّر من سجن الذات. عندما نمتلئ بعدم الغفران نمتلئ بالذات. نحن في هذه الحالة نفكر فيما أضربنا، وما لم يفعله أحدهم من أجلنا وما كان يجب أن يفعله لأجلنا. لكن ماذا يحدث إنْ فَكَّرْنَا أكثر في ما فعله هذا الشخصُ بنفسه عندما عصى الله وأساء معاملتنا؟ إنَّ التفكير في الآخرين له فوائد كثيرة ويحرِّرنا من الأنانية. مات يسوع حتى لا نعيش في الغضب والمرارة. وهذه أخبار سارة!

قد يبدو قبول هذا الأمر صعبًا. لكن عدم الغفران في أصله هو أنانية؛ لأنه يدور حول ما أشعر أنا به وما قد فُعل بي. قد يكون لدينا شعور بالألم وقد تعرضنا لمعاملةٍ ظالمةٍ حقًا. لكن آجَاهُنَا لذواتنا والتفكير في أنفسنا فقط لن يساعدنا أن نتخلَّص من آلامنا. عندما يأمرنا الله بأن نغفر لأعدائنا بسرعة ونُظهر لهم الرحمة، يبدو هذا وكأنه أكثر شيء ظالم في العالم. لكن الحقيقة هي أنَّ الله يعرف أن هذه هي الطريقة الوحيدة حتى نتخطَّى الألمَ وندخل في حياةٍ سعيدةٍ بانتظارنا.

لقد وجدتُ أنني لا أقدر أن أكون أنانيَّةً وسعيدةً في نفس الوقت. وأنا قد اخترتُ أن أكون سعيدةً. لذلك عليَّ أن أنسى نفسي وأداوم على مد يدي للآخرين.

يُعَلِّمُنَا الْكِتَابُ الْقُدْسُ أَنْ نَلْبِسَ الْحُبَّةَ (كولوسي ٣: ١٤). يقول الكتاب: «وَعَلَى جَمِيعِ هَذِهِ الْبُسُوءِ الْحُبَّةُ». إِنَّ هَذِهِ الْعِبَارَةَ تَعْنِي بِبَسَاطَةِ أَنَّ الْحُبَّةَ شَيْءٌ نَجْهَزُ أَنْفُسَنَا لَهُ وَنَعْمَلُهُ عَنْ قَصْدٍ. أَشْجَعُكَ عَلَى أَنْ تَقَرَّرَ كُلَّ يَوْمٍ أَنْ تَغْفِرَ لِأَيِّ شَخْصٍ يَجْرَحُكَ فِي هَذَا الْيَوْمِ. لَا تَنْتَظِرْ حَتَّى يَحْدُثَ الْأَمْرُ ثُمَّ تَصَارِعَ مَعَ الْمَشَاعِرِ النَّاجِئَةِ عَنْهُ. لَكِنْ صَمِّمَ فِي ذَهْنِكَ أَنْ خَيَا حَيَاةَ الْحُبَّةِ.

* * *

تزوجت ماجي من جيمس عندما كانت في التاسعة عشرة من عمرها. كان هدفها في الحياة أن تتزوج وتحصل على أسرة؛ لقد تربت لتُكوِّن ربة أسرة وكانت تشفق للبدء في هذا الأمر. كانت ماجي قد تلقت محبةً كبيرةً من عائلتها وهي صغيرة. لكن ما يُحْزِنُ أَنَّ جيمس لم يكن قد تَلَقَّى أَيًّا مِنْ هَذِهِ الْحُبَّةِ. وَلَا يَعْرِفُ كَيْفَ يَقْدِمُهَا. كَانَتْ مَاجِي تَفْتَقِدُ وَحْتَاجَ حَقًّا لِلتَّعْبِيرِ الظَّاهِرِيِّ عَنِ الْحُبَّةِ. رَغِمَ أَنَّ جِيمْسَ كَانَ يُحِبُّ مَاجِي حَقًّا. إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَعْطِهَا أَحْضَانًا أَوْ قِبَلَاتٍ إِلَّا عِنْدَمَا كَانَ يَرِيدُ الْجِنْسَ. لَمْ يَكُنْ يَسَاعِدُهَا فِي أَيِّ مِنْ شُؤُونِ الْبَيْتِ أَوْ مَعَ الْأَوْلَادِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ قَدْ رَأَى أَبَاهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ. كَانَتْ أُمُّ جِيمْسَ تَعْتَنِي بِيَدِي وَقَدِمِي أَبِيهِ عِنْدَمَا كَانَ يَجْلِسُ عَلَى الْكَرْسِيِّ. لِذَلِكَ، كَانَ جِيمْسُ يَتَوَقَّعُ نَفْسَ الشَّيْءِ مِنْ مَاجِي. وَلَئِنْ مَاجِي كَانَتْ تَسْعَى أَنْ تَكُونَ زَوْجَةً صَالِحَةً، كَانَتْ تَقُومُ بِكُلِّ شَيْءٍ مِنْ أَجْلِ جِيمْسَ. وَحِينَمَا قَامَتْ بِذَلِكَ أَكْدَتْ تَوَقَّعَاتِهِ بِشَأْنِ هَذَا النُّوعِ مِنَ التَّعَامُلِ. بَعْدَ خَمْسَةِ وَعِشْرِينَ عَامًا مِنَ الزَّوْجِ وَبَعْدَ إِجَابِ أَرْبَعَةِ أَطْفَالٍ. شَعُرَتْ مَاجِي بِالْإِنْهَاكِ مِنْ عَطَائِهَا لِعَائِلَتِهَا فِي الْوَقْتِ الَّذِي لَمْ تَتَلَقَّ مِنْهُمْ إِلَّا الْقَلِيلَ. كَانَ مِنَ النَّادِرِ أَنْ تَسْمَعَ كَلِمَاتٍ تُشْجِعُ أَوْ تُقَدِّرُ مِنْ جِيمْسَ. وَرَغِمَ أَنَّهَا تَنَاقَشَتْ مَعَهُ فِي هَذَا الشَّأْنِ مَرَاتٍ عَدِيدَةٍ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يَبْدُو غَيْرَ قَادِرٍ عَلَى التَّغْيِيرِ أَوْ لَا يَرِيدُ التَّغْيِيرَ؛ كَانَ يَرَى أَنَّهَا عَاطْفِيَّةٌ أَكْثَرَ مِنَ اللَّازِمِ وَقَالَ لَهَا ذَلِكَ!

كَانَ غَضَبُ مَاجِي يَزْدَادُ شَيْئًا فَشَيْئًا بِمَرُورِ السَّنِينَ. كَانَتْ مُتَعَصِّبَةً. وَكَانَ هُنَاكَ حَائِطٌ فَاصِلٌ بَيْنَهَا وَبَيْنَ جِيمْسَ. كَانَتْ مَلِيئَةً بِالْمَرَارَةِ وَالْإِمْتِنَاعِ وَعَدَمِ الْغُفْرَانِ. وَكَانَتْ تَزْدَادُ تَعَاسَةً بِمَرُورِ الْوَقْتِ. ثُمَّ وَصَلَتْ أَخِيرًا لِإِقْتِنَاعِ فِي قَلْبِهَا إِنَّهَا إِمَّا أَنْ تُسَلِّمَ جِيمْسَ لِلَّهِ وَتُصَلِّيَ مِنْ أَجْلِهِ. أَوْ تَبْقَى فِي حَالَةِ الْبُؤْسِ. كَمَا أَنَّهَا أَدْرَكَتْ أَيْضًا أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ فَقَطْ تَسْمَحُ لْجِيمْسَ بِاسْتِغْلَالِهَا. لَكِنُّهَا كَانَتْ تَفْعَلُ نَفْسَ الْأَمْرِ مَعَ أَوْلَادِهَا. كَانَتْ تَقُومُ بِأَعْمَالٍ أَكْثَرَ مِنَ اللَّازِمِ مِنْ أَجْلِهِمْ. مُعْتَقِدَةً أَنَّهَا بِذَلِكَ

أتمّ صالحة. ما فعلته في الحقيقة هو أنها جعلتهم يعتقدون أن هذا من حقهم ما جعلهم كسالى ولا يُقدِّرون مجهودها.

كانت تعلم أن الأمور لابد وأن تتغيّر. لذلك قررت أن تبدأ في العناية بنفسها بطريقة سليمة بدلاً من مجرد الشعور بالأسى على نفسها. استمرت في العناية بأسرتها. لكنها لم تعمل لهم ما كان يجب عليهم أن يقوموا به بأنفسهم وهم قادرون عليه. فجلست مع أولادها وشرحت لهم أنها لم تكن متوازنة معهم ويجب أن تتغيّر الأمور. قالت لهم ما كانت تتوقعه منهم وما هي العواقب إن لم يقوموا بدورهم.

ابتدأت ماجي في القيام ببعض الأمور التي تُفرحها. وعندما كان جيمس أو أي من أسرتها يشتكي. كانت تقول بهدوء ومحبة: «من حقي أن تكون لي حياة أستمتع بها» وكانت تقوم بسهولة بما شعرت أن الله قد أعطها تصريحاً بأن تفعله. عندما قامت بهذه الخطوات العملية ساعدت نفسها على التغلب على إحساس المرارة. كانت لا تزال تريد أن يكون جيمس عطوفاً بالأكثر. لكنها أدركت أنّ الله وحده هو القادر على عمل التغيير الواجب حدوثه فيه. كان جيمس عائلاً جيداً لأسرته. وكان في كثير من الأمور زوجاً صالحاً لذلك ابتدأت ماجي في التركيز على النقاط الإيجابية فيه بدلاً من النقاط التي كان يفتقر إليها.

عندما كانت تُريد من جيمس أن يعمل أمراً ما في البيت أو مع الأطفال. كانت تطلب منه أن يقوم بهذا الأمر بدلاً من الغضب لأنه لم يقم به عندما لم تطلبه منه. تُريد النساء من الرجال أن يلاحظوا ما يجب عمله ويبادروا بعمله. لكن أغلب الرجال يعانون أنهم لا يعرفون كيف يقرأون الأفكار ويقولون: «إن أردت مني أن أعمل شيئاً، فلم لا تقولين لي؟»

كانت هذه التغييرات ذات فائدة كبيرة لماجى: فبدلاً من تفكيرها في نفسها طوال الوقت وتفكيرها في ما لم يقم به جيمس من أجلها. كانت تصلّي من أجله وتحاول أن تتذكر دائماً أنه لم يحصل على قذوة جيدة عندما كان صغيراً. لم تنته قصتها بعد. لكنها الآن أكثر سعادة من ذي قبل وقد قدّم لها جيمس بعض العبارات المُأمِلة في الأشهر القليلة الماضية. من الواضح أنهما يُحرزان تقدماً وهذا دليل على أن طرق الله تُفلح دائماً.

إيمان مُعاق

كان على ماجي أن تتخلّى عن عدم الغفران في قلبها قبل أن تُصَلّي من أجل جيمس. لن يعمل إيماننا في وجود قلب مليء بعدم الغفران. كم يُدهشني أن ملايين كثيرة من الناس يُصَلُّون أن يتغيّر الآخرون ولا تُستجاب طلباتهم لأنهم يحاولون أن يُصَلُّوا مع وجود غضب في قلوبهم.

«وَمَتَى وَقَفْتُمْ تُصَلُّونَ فَاعْفِرُوا [تخلوا عن الأمر. أسقطوه]
إِنْ كَانَ لَكُمْ عَلَى أَحَدٍ شَيْءٌ لِكَيْ يَغْفَرَ [يتخلّى. يُسقط]
لَكُمْ أَيْضًا أَبُوكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ زَلَّاتِكُمْ [تقصيركم].
وَإِنْ لَمْ تَغْفِرُوا أَنْتُمْ لَا يَغْفِرُ أَبُوكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ أَيْضًا
زَلَّاتِكُمْ»

(مرقس ١١: ٢٥-٢٦).

يعمل الإيمان ويأخذ طاقته من الحب (غلاطية ٥: ٦). لا يجد الإيمان طاقةً تتدفق فيه. ولا يجد قوةً حين لا توجد المحبة. يا ليت الناس يؤمنون بذلك ويستبدلون إحساسهم بالمرارة بالرحمة والغفران! دعونا نتعلم أنه حين يخطئ الناس. فإنهم في الواقع يؤذون أنفسهم أكثر ممّا يؤذوننا. أصلي أن تملأ هذه الحقيقة قلوبنا بالعطف وطول الأناة تجاه الناس.

إليكُم ملخص سريع عن بعض الآثار المدمّرة لعدم الغفران:
عندما نرفض أن نغفر. نكون في حالة عصبان لكلمة الله.
نفتح باباً للإبليس ليبدأ في إثارة كل أنواع المتاعب في حياتنا.
نُعيق تدفق المحبة للآخرين.
يُعاق إيماننا وتُعاق صلواتنا.
نكون تعساء ونفقد فرحنا.

تتسمّم أفكارنا وننقل هذا السُّمّ لكل من نقابله.

إنّ الثمن الذي ندفعه في التمسّك بإحساسنا بالمرارة أمر لا يستحقّ العناء بالتأكيد. إنّ لعدم الغفران آثاراً مُدمّرة. لذلك فاعمل في نفسك معروفاً... واغفر!

الفصل العاشر

أريد أن أعفر، لكنني لا أعرف كيف!

من السهل أن تقول لشخص ما إنه يحتاج أن يغفر لمن جرحه. لكن ماذا لو أنه لا يعرف كيف يفعل ذلك؟ لقد قابلت أشخاصاً يأتون لي بصفة متكررة ويطلبون مني أن أصلي حتى يتمكنوا من أن يغفروا لعائلاتهم. كانوا مُخلصين. لكنهم لم ينجحوا فيما أرادوه. وقد وضعتُ عمليةً أثق أننا نحتاج أن تمرّ بها حتى نختبر النصرَ في الغفران لمن أساء إلينا.

إنَّ الصلاة أمرٌ أساسي. لكن علينا أن نقوم بما هو أكثر من الصلاة حتى نغفر. عندما نصلي، يقوم الله دائماً بدوره. لكن الأغلب أننا نحن من نفشل في أداء دورنا. ثم نتشوّش ولا نعرف لماذا يبدو الله وكأنه لا يستجيب طلباتنا. على سبيل المثال، قد يصلي شخصٌ ما يحتاج إلى وظيفة. حتى يوفر الله له الوظيفة. ولكن لا زال عليه أن يذهب ويتقدّم لشركاتٍ مختلفةٍ حتى ينجح فيما يريد. ينطبق نفس هذا المبدأ على الغفران.

لتكن عندك الرغبة

إن أوّل خطوة في الاتجاه نحو الغفران لأعدائنا يجب أن تكون هي رغبة قوية لفعل ذلك. إنَّ الرغبة تدفعنا للقيام بما يجب القيام به حتى نصل لهدفنا؛ فمن يريد أن يفقد ٥٠ رطلاً من وزنه لن ينجح في ذلك إلا إذا كانت له رغبة قوية في الأمر. لماذا؟ لأنه سيحتاج لهذه الرغبة حتى يجعله يستمر عندما يشعر بالجوع أو

أن يكون عليه أن يقول باستمرار لا للأطعمة الغنية بالسعرات الحرارية وهو يرى الآخرين يأكلونها. لي صديقة فقدت مؤخراً ١٠ رطلاً من وزنها. وقد استغرق منها الأمر ما يقرب من عام من النظام المستمر حتى تتمكن مما فعلته. وحتى الآن يجب عليها أن تضبط نفسها كل يوم حتى لا ترجع لعاداتها السيئة في الغذاء. ما الدافع الذي يمتلكه؟ قد تريد أحياناً أن تأكل أكثر مما تأكل كل يوم، لكن رغبتها في أن تكون بصحة جيدة وتحتفظ بوزن ملائم أقوى من رغبتها في الطعام.

أعرف أننا لا نريد أن نواجه هذا الأمر. لكن في الواقع كلنا نعمل ما نريد أن نعمله إن كانت رغبتنا فيه قوية. «لا أستطيع» تعني عادةً «لا أريد» لا أحد منا يستمتع بتحمل مسؤوليته عن المناطق التي بها مشاكل في حياتنا؛ فنحن نفضل بالأحرى الأعذار وإلقاء اللوم على الآخرين. لكن آيّا من ذلك لن يحرّنا.

عندما يصل الناس لسنّ التقاعد وقد ادّخروا أموالاً كافية على مر السنوات لتجعلهم في أمان من الناحية المالية. فهذا لأنهم تمكّوا رغبة قوية بشكل كافٍ لتدفعهم حتى يهذبوا من أنفسهم. كان عليهم أن يقولوا «لا» لبعض الأمور التي ربما كانوا يرغبونها حتى يدّخروا في المستقبل.

إنّ الرغبة القوية لها آثار في كل منطقة في حياتنا. والحياة بدون مرارة، وامتناع. وعدم غفران. ليست استثناءً لهذه القاعدة. إنّ لم تكن لديك الرغبة، ابداً بالطلب من الله ليمنحك الرغبة؛ لأنها أساس كل نجاح.

لم تكن لديّ رغبة في أن أغفر لأبي خُرُشته بي حتى ابتدأت في دراسة كلمة الله. وما أن قمتُ بذلك حتى رأيت أهمية الغفران وكيف أنه مشيئة الله لي. أدركتُ كم أنّ الله قد غفر لي وأنه يطلب مني أن أفعل نفس ما فعله معي. وقد وُلدت قوة كلمة الله في الرغبة في طاعته في هذه المنطقة من حياتي. وأنا أوّمن أنها سوف تقوم بنفس الأمر معك. إنّ لم تكن لديك الرغبة في أن تغفر لأعدائك، إذاً ادرس كلّ ما تقوله كلمة الله في هذا الشأن. وأنا أوّمن أن قلبك سيتغيّر. ستجد عندك الرغبة في الغفران. وفور أن تجد هذه الرغبة، تبدأ عملية الغفران.

اتخذ قراراً

بعد أن تكون لديك الرغبة في الغفران، عليك أن تتخذ قراراً بأن تقوم بذلك. لا يمكن أن يكون القرار انفعالياً. لكن لا بد أن يكون ما هو معروفاً بـ «القرار الحقيقي» هذا النوع من القرار لا يتغيّر حين تتغيّر المشاعر. إنه قرارٌ حازم يتم اتخاذه حتى

أريد أن أغفر. لكني لا أعرف كيف!

يكون الغفران هو أسلوب حياتك. لا يغيّر هذا القرار بالضرورة ما تشعر به في الحال. وهو لا يعني أنك لن تعاني مطلقاً مع فكرة الغفران للناس. يحتاج بعض الناس أن يغفر لهم مراراً وتكراراً على نفس الأمر. وهذا بالطبع ليس أمراً سهلاً. إنه أمر يجب عليك أن تقوم به عمداً دون اعتبار لمشاعرك.

كان أبي رجلاً قاسياً في كل تعاملاته. وللأسف صرّ أشبهه كثيرًا. لم أكن أريد أن أشبهه إطلاقاً. لكني صرّ أشبهه في أمورٍ عديدة. كانت أفعالي ونبرة صوتي قاسية في أغلب الأحيان. وأعرف أن ديف كان عليه أن يغفر لي مراراً وتكراراً خلال السنوات التي كان يعمل فيها الله داخلي ويجعل قلبي القاسي أكثر رقةً. استغرق شفتائي وقتاً وكان على ديف أن يكون صبوراً. لكن شكراً للرب أنه لم يكن عليه أن يقوم بذلك بقوته؛ فلقد أعطاه الله نعمةً حتى يتحمل ضعفاتي. وسوف يعطيك الله أنت أيضاً نعمةً في التعامل مع الناس الذين في حياتك.

في بعض الأحيان، أضطر للتعامل مع أشخاص يتصرّفون بنفس الطريقة التي كنت أتصرف بها. وعليّ أن أدكّر نفسي بأن أقوم معهم بما كان يقوم به ديف معي. هذا أمر ليس بالسهل وغالباً أشعر بأنّي لا أريد أن أفعله. لكني اتّخذت قراراً حقيقياً بأن أطيع الله وألا أحيا في الغضب والمرارة. إن الغفران من أجمل العطايا التي وهبها لنا الله. وعندما تتوفّر لدينا الإرادة أن نهب الغفران للآخرين، يزيد هذا الأمر الجمال والسلام والفرح والقوة في حياتنا.

يعلّمنا الله في كلمته الطريقة السليمة في الحياة. لكنه لن يرغمنا أبداً على فعل ما يقوله. إنه يترك الخيار لكل واحدٍ فينا. هناك أوقات كثيرة في حياتنا أتمنى فيها أن أجعل من أحبهم يقومون بالصواب. ثم أتذكّر أن الله يهب كلّاً منا حرية الإرادة وينتظر منا أن نختار الصواب حتى نستمتع بالحياة التي مات يسوع حتى يجعلنا نحيّاها.

في كل مرة نطيع فيها الله، فإننا نقدّم لأنفسنا معروفاً لأن كلّ ما يطلب منا أن نفعله هو لفائدتنا. أداوم على تذكير نفسي بهذا عندما يكون ما يطلبه مني صعباً. يجب على كلّ منا أن يتّخذ قراره بنفسه؛ لن يقوم لنا شخص آخر بذلك. أنا أشجّعك بقوة على اتّخاذ قرار حقيقي بالغفران. بمجرد أن تقوم بذلك، ستكون مستعداً للانتقال إلى الخطوة التالية في الغفران.

اعتمد

الخطوة التالية في عملية الغفران للآخرين هي أن تعتمد على الروح القدس حتى يساعدك على القيام بما قد اتخذت قرارًا حقيقياً بشأنه. اتخاذ القرار وحده لا يكفي. إنَّ القرار شيءٌ أساسي لكنه مازال غير كافٍ، لأنَّ قوة الإرادة وحدها لا تجدي. نحتاج لقوة إلهية من روح الله الساكن فينا الذي هو متواجد دائماً لِيُساعدنا على تكميم مشيئة الله.

في ملكوت الله، لا يُعْتَبَر الاستقلالُ صفةً جذابةً وهو لا يُجدي. إننا نشجّع أطفالنا على أن يكبروا ويصبحوا مستقلين. لكن كلما كبرنا في الرب، أو كلما نضجنا روحيًا، كلما زاد اعتمادنا عليه. إنَّ لم نستوعب هذا الأمر في حياتنا مع الله، سنشعر دائماً بخيبة الأمل. الله لا يبارك ما يدعوه الكتاب المقدس «أعمال الجسد» وهي الأمور التي يحاول الإنسان أن يقوم بها بمعزل عن الله. حتى وإن كنا نبذل جهداً لنحاول أن نتّمّم مشيئة الله، علينا أن نظل معتمدين عليه ليجعل مجهوداتنا ناجحةً. يشجّعنا الكتاب المقدس على أن نعرف الله في كل طرفنا (أُم ٣: ٦). يعني هذا أنَّ علينا أن ندعو الله ليتدخل في كل أنشطتنا وأن نقول له إننا لن ننجح دون معونته.

حيث إننا كبشر نميل للاستقلال ونحب أداء الأمور بأنفسنا، لا يصبح فكر الاتّكال هذا سهلاً دائماً.

يقول الكتاب المقدس في (زكريا ٤: ٦) إننا لا نفوز بمعاركنا بالقوة، ولا بالقدرة، بل بروح الله. الله يعطينا نعمة، وهي قوته لنقوم بما يلزم أدائه.

«أَنَا الْكَرَمَةُ وَأَنْتُمْ الْأَعْصَانُ. الَّذِي يَنْبُتُ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ هَذَا بَاتِي
بِتَمَرٍ كَثِيرٍ (بغنى) لَأَتَّكُم بِدُونِي (مقطوعين عن الاتحاد معي)
لَا تَفْرَوْنَ أَنْ تَفْعَلُوا شَيْئًا»

(يوحنا ١٥: ٥).

أنا أعتقد أن (يوحنا ١٥: ٥) هي آية محورية في الكتاب للمقدس. تعتمد أمورٌ كثيرة على فهمنا لهذه الآية وحدها. التي تخبرنا بأنه حتى إن كان الله يدعوني لعمل أمرٍ ما أو يوصيني بعمل أمرٍ ما فلا زلت لا أقدر أن أعمله إلا إذا اعتمدتُ على

أريد أن أغفر. لكنني لا أعرف كيف!

اللَّهُ. إنَّ اللَّهَ يريدنا أن نحمل ثَمَرًا جيّدًا. وأن نقوم بأُمور جيّدة. لكننا لا نقدر على ذلك إلا إذا اعتمدنا عليه بالتمام والكمال. إنَّ الغفران السريع لمن يسيء إلينا هو ثمرة جيّدة وهي ترضي اللَّه. لكننا لن نقدر أن نقوم بذلك إلا إذا طلبنا معونته وقوته. هل تشعر بخيبة أمل لأنك حاول أن تعمل أُمورًا ولا تنجح فيها مع أنك تؤمن حقًا بأنها أُمور بحسب مشيئة اللَّه وعليك فعلها؟ قد تكون مشكلتك هي اعتمادك واتكالك على ذاتك. لماذا نحب أن نقوم بالأُمور بأنفسنا دون مساعدة؟ الإجابة ببساطة هي أننا نحب أن يُنسب الفضل لنا ونحب أن نشعر بالفخر بما أجزناه. لكن اللَّه يريدنا أن نشكره على كل انتصاراتنا ونحمده لأنه قد سمح لنا أن نكون مجرد أداة يستخدمها.

قد تكون لدينا الرغبة في عمل الصواب. ومع ذلك نفشل في عمله مرات ومرات. يقول الكتاب المقدس إن الروح نشيط لكن الجسد ضعيف (مت ٢٦: ٤١). من المهم أن نعرف ذلك. سيساعدنا هذا على أن نتوجّه لله في الصلاة عند بداية كلّ مشروع ونطلب معونته. سيساعدنا هذا على أن نتجنّب الجهود الضائع وخبرات الفشل المحيطة. لقد قمنا بتسجيل آلاف المقابلات التلفزيونية في مكتبتنا. ومع ذلك لا نبدأ أيًا منها دون أن نجتمع ونطلب معونة اللَّه. لقد تطلب الأمر مني سنوات حتى أتعلّم أن أعمال الجسد لا تجدي. وأن الأمر الوحيد الجدي هو الاتكال على اللَّه.

أنا أتذكّر جيّدًا كم كنت أذهب إلى الكنيسة وأستمع إلى عظة قوية عن أمر ما وأشعر بتبكيّ في روحي بأنّي أحتاج للتغيير. ثم أذهب إلى البيت وأحاول أن أتغيّر فأفشل في كل مرة. كان هذا أمرًا منهكًا بالنسبة لي حتى أدركت أخيرًا أنني كنت أخرج اللَّه من خطتي. كنت أفترض أنه حيث إنني أحاول أن أعمل مشيئته. فسأجّح. لكنني تعلمت أنّ لا شيء ينجح إن لم أعتمد فيه على اللَّه حتى ينجحني فأقدّم المجد له على ما فعله.

أنا أعتقد أن كثيرين من يحبون اللَّه حقًا يشعرون بخيبة الأمل في أغلب الوقت في محاولاتهم ليكونوا «مؤمنين جيّدين»: لأنهم لا يفهمون هذه الحقيقة. لقد أضعت سنوات وأنا «أحاول» أن أكون جيّدًا. لكنني فشلت في أن أتكل بالكامل على اللَّه حتى يجعلني هكذا. يملأ الكتاب المقدس بالآيات التي تتكلم عن أهمية الاتكال على اللَّه وبأمثلة عن أناس فشلوا لأنهم لم يفعلوا ذلك وأمثلة أخرى عن أناس نجحوا لأنهم فعلوا ذلك.

قال إشعياء للشعب أن يتوقفوا عن وضع ثقتهم في الإنسان الضعيف. الهزيل. الفاني. الذي في أنفه نسمة لوقت قليل (إش ٢: ٢٢). لقد أراد اللَّه من

شعبه أن يعتمدوا عليه حتى يمنحهم الانتصار. كان ما يريد الله أن يقوله عن طريق إشعياء النبي بسيطاً. لماذا تثقون في إنسان مليء بالضعفات حين يمكنكم أن تثقوا بالله بدلاً منه؟

كانت للنبي إرميا رسالة ماثلة يقدمها للشعب الذي كان يخدمه. لقد قال إننا ملعونون عندما نثق في الإنسان الهزيل ونترك الله. لكننا ننال أكبر البركات حين نؤمن بالله. ونعتمد عليه. ونثق فيه ونضع رجاءنا وثقتنا فيه (إر ١٧: ٥ و٧). كتب الرسول بولس إلى أهل غلاطية يسألهم إن كانوا يعتقدون أنه بعدما ابتدأوا حياتهم الروحية بالروح القدس. هل يمكنهم الآن أن يصلوا للكمال باعتمادهم على الجسد (غلاطية ٣: ٣)؟ والإجابة الواضحة هي «لا. لا يمكنهم ذلك». كان بولس يعرف أنهم سيفشلون حتى في نضوجهم الروحي إن لم يستمروا في الاعتماد على الروح القدس. ونحن أيضاً سنفشل في كل شيء نحاول القيام به. بما في ذلك الغفران للآخرين. إن لم نعتمد على الله ليهبنا القوة لفعل هذا الأمر. إذًا، رأينا الثلاث خطوات الأولى في عملية الغفران وهي: لتكن لديك الرغبة. اتخذ قرارًا. واعتمد. بمجرد أن تقوم بهذه الخطوات الثلاث. يمكنك الآن الانتقال للخطوة التالية.

الصلاة من أجل أعدائك

يطلب منا الله ألا نكتفي بمجرد الصلاة لأعدائنا. بل أن نباركهم ولا نلعنهم أيضاً. يا للعجب! يبدو هذا الأمر ظالمًا. ألا ترى ذلك؟ من هذا الذي يريد أن يصلي ليتبارك أعداؤه؟ لا أعتقد أنَّ أيًّا منا يرغب في ذلك إن كنا نتبع مشاعرنا بدلاً من كلمة الله.

«وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لَاعِينَكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِكُمْ وَصَلُّوا لِأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَبِطَرْدُونَكُمْ لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ فَإِنَّهُ يُسَرِّقُ سَمْسَهُ عَلَى الْأَسْرَارِ وَالصَّالِحِينَ وَيُطْرَعُ عَلَى الْإِبْرَارِ وَالظَّالِمِينَ (كلهم على السواء)»

(متى ٥: ٤٤-٤٥).

أريد أن أغفر. لكني لا أعرف كيف!

لا يعني أيّ من هذا الكلام أن نصبح بُساطًا ليمشي علينا الناس وألا نواجههم بسلوكهم السيئ. إن الغفران لأعدائنا له علاقة باتجاه القلب من جهتهم وكيف نتعامل معهم. لم يسئ يسوع معاملة أي شخص أساء إليه. كان يواجهه بروح الوداعة ثم يستمر في الصلاة من أجله ومحبه.

لا يجب أن نرد الشرّ بالشرّ أو الإهانة بالإهانة (١ بط ٣: ٩). (هذا يؤلم) بدلًا من ذلك. علينا أن نصلي من أجل فائدته، وسعاده، وحمايته. وأن نشعر بالشفقة الحقيقية عليه ونحبه. أعتقد أن هذا مرة أخرى يُظهر لنا أنّ علينا أن نهتم أكثر بما يتسبب فيه أعداؤنا من أذى لأنفسهم بأعمالهم الشريرة أكثر من اهتمامنا بما يتسببون لنا فيه. لا يقدر أحد أن يؤذينا حقًا إن كنا نطيع الله ونضع ثقتنا فيه. قد يؤذون مشاعرنا. لكن الله على استعداد دائم لشفائنا.

صلّ من أجل الناس حتى يحصلوا على إعلان من الله بشأن سلوكهم؛ لأنهم قد يكونوا مخدوعين ولا يدركون تمامًا ما يفعلونه. بارك أعداءك بأن تتكلم عنهم جيدًا. استر خطيتهم ولا تكررهما أو تسقط في فخ النميمة عنهم.

أعتقد أن عدم صلاتنا من أجل أعدائنا هو من أهم العوامل في فشلنا في عملية الغفران؛ فنحن نبدأ ولدينا النية أن نغفر. لكن إن أهملنا هذه الخطوة الأساسية التي أمرنا الله بأن نقوم بها، فلن ننجح. وأنا. مثل كثيرين منكم، اخترت بعض الجروح القاسية على أيدي أناس كنت أعتقد أنهم أصدقاؤني، وأعترف بأن الصلاة من أجلهم حتى يتباركوا كانت أمرًا أعمله وأنا متضررة. لكني أؤمن أن هذا هو الصواب. إنّ من يغفر لديه قوة الله. وهو مثله جيدًا.

هل ستيبدا في الصلاة من أجل أعدائك اليوم؟ هل ستمارس هذا المبدأ حتى تصبح هذه هي استجابتك الأولى والتلقائية للإساءة؟ إنّ كنت ستفعل ذلك، ستضع ابتسامًا على وجه الله وعلى وجهك أيضًا. في كل مرة نطيع فيها الله، نحن نقدم لأنفسنا معروفًا!

آخر خطوة في عملية الغفران هي أن تفهم كيفية استجابة مشارك لفكرة الغفران للآخرين بأكملها. ببساطة. إنها تخرج عن نطاق السيطرة. إنّ للمشارع بالتأكيد قرارها المستقل. هذا إذا لم نتحكم بها. سوف تقوم هي بالتحكم. لقد كتبت كتابًا بعنوان LIVING BEYOND YOUR FEELINGS. وأنصحك بأن تقرأه حتى تحصل على أفكار تساعدك على فهم مشارك.

لن نزول مشاعرنا نهائيًا. لكن علينا أن نتعلّم التحكم بها. علينا أن نتعلّم القيام بما هو صواب حتى إن لم نجد لدينا الرغبة في أدائه. لقد تعلمت بالخبرة أنني حتى إنّ كنت غاضبة من ديف. ما زلت أستطيع أن أتكلم معه بطريقة طيبة

وأتعامل معه بلطف بينما يعمل الله بداخلي عملية الغفران. كان هذا الاكتشاف بالنسبة لي غنيمة عظيمة؛ لأنني أضعتُ سنيناً كثيرةً كان غضبي فيها يستمر لمدة أيام وأعزل نفسي عن عائلتي حتى أتخلص من هذه المشاعر الجريحة. لم أكن أعرف أبداً كم ستدوم هذه الفترة. أحياناً كانت هذه فترات سريعة حين كان ديف يعتذر لي بسرعة. لكن حينما كان لا يعتذر لأنه لم يَر أنه قد أخطأ أو لم يدرك ذلك، فكان هذا الأمر يستغرق أياماً وأحياناً أسابيع. وأخيراً، حين أحصل على الاعتذار الذي أريده وأشعر بتحسّن، أعامله بطريقة أفضل. كان هذا الأمر يجعل مشاعري هي التي تتحكم بي وليس العكس. وليست هذه إرادة الله لنا.

هذا إن أخطأ شريك الحياة خطأً بسيطاً فغضبنا نحن الاثنان. لكن ماذا عن الإساءات الكبيرة؟ هل هناك إساءات شنيعة جداً حتى أنها لا تُعْتَفَر؟ أريد أن أشارككم بقصتين. ثم قرّروا بأنفسكم. اقرأوهما وفكّروا ماذا كنتم ستفعلون في مثل هذه المواقف.

منذ سنين عديدة، كانت جنجر ستاتش، المسؤولة الرئيسية عن قسم الميديا في خدمات جويس ماير، تمر بوقتٍ صعبٍ في زواجها. اتفقت هي وزوجها، تيم، أن يشاركا بقصتهما في هذا الكتاب لأنهما أرادا أن يساعدوا الذين تعرضوا للألم. إن قلب جنجر يشعر بعطف خاص ناحية السيدات اللواتي تلقين جروحاً عميقة في زواجهن. إليكم قصتها كما سردها هي:

* * *

لقد كنا حبيبين منذ الجامعة، ومنتزوجين لمدة خمس عشرة عاماً ولدنا بنتان جميلتان. كان هو بالنسبة لي أقرب صديق وكانت الحياة على ما يرام. لذا فعندما اكتشفْتُ أن زوجي كان مدمناً للأفلام الإباحية، تكسرتُ كل أوهامي عنه وعن حقيقة علاقتنا.

لم تكن هذين الزوجين المتحابين كما كنت أظن. كنا نشيطين في كنيستنا. كنت أعمل في خدمةٍ. لكن هل كان كل هذا مجرد واجهة؟ شعرتُ بأني مُدَمَّرَةٌ. وأني تعرّضتُ للخيانة.

كانت المشاعر التي شعرتُ بها قويةً، وتنارجح بقوة من الإحساس بالصدمة إلى الاشمئزاز إلى الحزن. كيف يمكن للرجل الذي أشاركه حياتي، الشخص الذي كنتُ أعتقد أنني أعرفه خير معرفة، أن يفعل ذلك؟! كيف كنتُ مخدوعةً بهذا الشكل؟! ما الأكاذيب الأخرى التي كانت في حياتنا؟ لكن من بين هذا الفيضان من المشاعر، كان الغضب هو الأمر الذي تعمّق فيّ بالأكثر.

أريد أن أغفر. لكنني لا أعرف كيف!

كنت غاضبةً منه؛ لأنه أدخل هذا الشيءَ المقرّرَ لبیتنا وزواجنا. قد لا يتّفق معي البعضُ أنه كان خائنًا، لكن بالنسبة لي لم يكن لديّ شك في الأمر. عندما كنتُ أعتقد أنني أمتلك قلبه ومحبته، كان هذا القلب وهذه المشاعر في مكان آخر. لقد كان يتطلع لصور نساء أخريات، لخيالاتٍ من كمالٍ مرسوم ليس له وجود حقيقي. كيف لي أن أنافس ذلك؟ كيف أقدر أن أغفر له؟ لماذا أحاول؟

لقد كان في فوضى عارمة. هذا الجزء المظلم الذي أبقاه مخفياً لمدةٍ طويلةٍ قد أصبح في النور الآن. كان يشعر بالخزي، والخوف، ولكن بالراحة بطريقه ما. وعد بأن يفعل ما يقدر أن يفعله ليحصل على مساعدةٍ متخصصةٍ. لكنني لم أهتم بما قاله. كيف لي أن أثق فيه مرةً أخرى؟! كنت قويةً ولم أكن بالتأكيد من ذلك النوع الذي يمكن خداعه مرتين. وجدتُ أن أكثر مكان آمن بالنسبة لي هو غضبي. أن أرفض الغفران له، كان هذا ليحميني من التعرض للألم مرةً أخرى.

وكان غضبي معقولاً. هناك مدرستان بالنسبة للتفكير في مسألة الأفلام الإباحية: حيث يراها البعض أمراً غير مؤذٍ، ولا يضر أحداً، ولا يجدر أن نتضايق بشأنه، ويراها البعض الآخر أمراً مقرّراً حتى أننا لا نقدر أن نواجهه، وهي مشكلة المنحرفين فقط، وهي أمر مخجل لا يريد المؤمنون أن يواجهوه.

عندما ضرب هذا الشيءُ القبيحُ حياتي، كنتُ أدرك أن كلا الطريقتين في التفكير خطأ. لقد كنتُ ضحيةً، وبدأت أكتشف أشخاصاً كثيرين من معارفي هم أيضاً ضحايا. كثيرون من هؤلاء المؤمنين الذين كانوا يعتقدون أنهم لن يتعرضوا لمثل هذه الأمور المؤذية، كانوا يتألمون في صمت. ما كنتُ لاتقاضى عن هذا الأمر، وبالتأكيد لم أكن لأبقى صامتةً.

كان عليّ اتّخاذ بعض القرارات. هل كان زواجنا سيصمد في هذا الموقف؟ هل كنت أريد له ذلك؟ كيف سيؤثر ذلك على أطفالنا؟ لقد كانوا هم أكثر ما يقلقني. سواء أدركت ذلك أم لا، لا يمكنك أن تعزل الغضبَ من شخصٍ ما دون أن يتسلّل ذلك الغضبُ ويسمّم باقي حياتك. لم أكن لأسمح لألبي أن يؤثر على قدراتي أن أكون أمّاً جيدةً لبناتي أو أن بمنعني من دعوة الله التي على حياتي.

كان المسيح دومًا هو ملجأّي، وكان عليّ أن أهدئ من ثورة غضبي حتى أسمح له أن يكون ذلك الملجأ بالنسبة لي في هذا الوقت. لقد بحثتُ عنه في الآمي، وكان إرشاده لي واضحًا. كان ما يطلبه مني أهم بكثير من غضبي أو كبريائي. كان هذا هو الحل الوحيد: كان يطلب مني أن أغفر.

كنتُ أعلم أنني لا أملك القدرة في ذاتي، لكن كان عليّ أن أزرع بذرة الغفران لزوجي تيم حتى ينمو الشفاء. كان هذا قرارًا، وليس مجرد مشاعر. وقد وعد الله

أن يسير معي في هذه العملية. لم يكن الله يطلب مني أن أثق في زوجي. بل كان يطلب مني أن أثق فيه هو. كيف لي أن أرفض ربي الذي غفر لي الكثير؟ كان هذا قراراً صعباً. وكان عليّ اتخاذه يومئذٍ. لكن الله أمين جداً حتى إن لم نكن نحن كذلك. قادنا الرب لمشيرٍ مسيحي مؤمن. ولجماعة خاسبنا. وبدأت بذرة الغفران التي زرعتها تنمو ببطء حتى أصبحت شفاءً مزهراً كاملاً.

والآن بعد أكثر من عشر سنوات بعد ذلك، أصبحنا متحابين مثلما كنا في أيام الجامعة. متزوجين منذ أكثر من خمسة وعشرين عاماً ولنا بنتان جميلتان تحيان الله. إنه أفضل صديق لي. والحياة على ما يرام. ليس حبنا حباً كاملاً لكنه أقوى من ذي قبل. نحن نعمل جاهدين على تواصلنا معاً. ونثق في الله. ونداوم على الغفران يومئذٍ.

* * *

لقد كبر جونس بيلر مثل أغلب أطفال طائفة الأميش^(١)، محباً لله وللأسرة. ولديه أخلاق عمل جيدة. متمتعاً بما يدعونه الكثيرون العلامة المميّزة لمجتمعات طائفة الأميش. وهو قدرة هائلة على الغفران.

غادر جونس جماعة الأميش سعياً وراء حلمه أن يمتلك ورشة ميكانيكا. من أقوال جونس المعروفة أنه كان يقول: «لقد أحببت وحدة قياس القوة: الحصان. أكثر من الأحصنة أنفسها» تزوج بزوجته الجميلة آن. يعرفها الكثيرون الآن بوصفها «العمة آن» وهي تلك السيدة المشهورة بصناعة الكعك المملّح.

كان جونس وأن يعيشان حياةً بسيطةً في مزرعة عائلة آن. وكانا سعيدين للغاية. كان جونس يعمل في الميكانيكا. وكانت آن مشغولةً بتربية بناتها الصغيرتين لاونا وأنجي. ولكونهما عضوين مؤسسين في كنيسة ناشئة. كان أغلب وقت فراغ الزوجين يقضيانه في العمل معاً مع الراعي. الذي كان أقرب صديق لجونس. كان الراعي يعتمد على أسرة بيلر في تأدية دورهما كراعيتين للشباب. لكن الرضا الذي كانا يشعران به في هذه الأيام كان على وشك أن يسقط في ظلمة عميقة جداً وفظيعة جداً وهذا بحسب كلام آن وجونس نفسيهما. فقد كادت هذه الظلمة أن تودي بحياتهما.

كان آن وجونس يبتعدان عن بعضهما. كان كلٌّ منهما يتألم في صمت وهما في حالة حداد بسبب هذا الحادث المأساوي: لقد فقدتا ابنتهما ذات التسعة عشر

١ «الأميش»: طائفة مسيحية نشأت في العصور الوسطى ضمن عدة حركات إصلاحية نشأت في هذا الوقت. وكانت تعرف حينئذٍ باسم «الأنابابتيسم» أي «المسيحيون الجدد». يبلغ عدد أتباعها حوالي ٢٤٩.٠٠٠ موزعين على ٢٢ مستوطنة في الولايات المتحدة. وفي ولاية أونتاريو بكندا. يتبعون عن التكنولوجيا ويشترون بالانزعاج عن العالم الحديث. لا ينضمون إلى الجيش ولا يقبلون أي عون من الحكومة (الناشر).

أريد أن أغفر. لكنني لا أعرف كيف!

شهرًا أنجي. وصلت آن إلى مرحلةٍ من اليأس الكامل. كان راعي جونس يصلّي مع آن في أحد أيام الأحاد بسبب الاكتئاب الذي كانت تشعر به بسبب موت أنجي. وبعد الصلاة دعاها أن تتصل به. أخبرت آن جونس بما حدث. فوافق جونس بسرعة حيث رأى أنها فكرة جيدة بالنسبة لها أن تتقابل مع الراعي. على أي حال. كان جونس يعرف أنه لن يقدر أن يساعد آن. فربما يقدر صديقه أن يساعدها.

منذ البداية شعرت آن أنّ هناك شيئًا ما خطأ بشأن مقابلتها مع الراعي. ولقد ذكرت إحدى هذه المقابلات في كتابها "TWIST OF FAITH" وقالت: «لم أكن أصدّق كيف أنني كنت أشعر بارتياح عندما كنت أتكلّم عن أنجي. عن الموت وعن يوم موتها. ولكن حين أتى الوقت حتى أرحل. احتضنني الراعي لمدة طويلة. وفي هذه المرة عندما نظرت له. قبّلني. ابتعد عني قليلًا. وقال: "من الواضح بالنسبة لي يا آن. أنّ لديك احتياجات في حياتك لا يقدر جونس أن يسدّها. لكنني أنا أقدر على ذلك". وما أن ركضتُ إلى سيارتي. لم يكن يجول بخاطري إلا شيء واحد: "لا يمكنني أن أخبر جونس. فهو لن يصدقني أبدًا".»

كان إخفاء هذا السر خطأً فادحًا. وحيث إن الراعي كان هو الشخص الوحيد الذي يتكلّم مع آن بشأن حياتها. فقد أصبحت فريسة سهلةً لبتلاعِب بها. لم يشك جونس أبدًا خلال هذه العلاقة الغرامية التي امتدت إلى ست سنوات في ولاء صديقه له. أو أنه قد اقتنص منه زوجته.

وعندما حرّرتُ آن أخيرًا من هذه العلاقة. كانت تتعلّم أنّ عليها أن تخبر جونس بما حدث. يقول جونس: «ظلمتُ أطلع في الحائط بعد أن رحلتُ. وجدتُ عقلي يذهب إلى أماكن مظلمة. وكنتُ أطلب من الله قائلًا: "يا رب. لا تدعني أرى فجر يوم جديد".»

وفي اليوم التالي. اتصل جونس بأحد المشيرين الذي كان قد وعظ في كنيسه قبيلاً وقال له ما حدث. قامت هذه المكالمة التليفونية بوضع جونس على طريق الغفران الذي لم يكن ليشفي جونس فقط بل كل عائلته أيضًا. قال المشير لجونس شيئًا غيّر حياته للأبد: قال له: «إنّ الفرصة الوحيدة بالنسبة لك حتى تنفذ زواجك هي أن تحب زوجتك كما أحبك المسيح».

قد تكون هذه الكلمات بالنسبة للبعض غير كافية لتهدئة الغضب الناتج عن الخيانة. لكنها كانت كافيةً لجونس. وهو يعزو قدرته على البدء في عملية الغفران لهذا: «بطريقةٍ ما. بسبب إيماني العميق والميراث الغني بالإيمان الذي تربيتُ فيه بحثتُ في أعماق نفسي أكثر من ذي قبل ووجدتُ الله يعطيني النعمة لأعمل أمورًا لم أكن أتخيّل أنني أقدر أن أعملها. كان هذا هو الأمل الوحيد الذي لديّ: أن

أكتشف كيف أن المسيح أحبني حتى أقدر أن أحب زوجتي بنفس الطريقة». جعل الله جونس يدرك محبته. وفي المقابل، تمكن جونس أن يُظهر محبةً لزوجته آن. ويغفر لها بذات الغفران الذي مات المسيح حتى نتمتع به كلنا. ولكن، كما يقول جونس نفسه، لم يحدث استرداد الزواج بين ليلةٍ وضحاها. قال: «بطريقةٍ ما. وسط كل هذا الألم والارتباك، وخيبة الأمل، اتخذت عهداً، بغضِّ النظر عن شعوري. أنا سأبذل قصارى جهدي حتى أستمّر. قد تبدو هذه قصةً عظيمةً اليوم؛ لأن لها نهايةً سعيدةً. لكن يظل عدم الأمان يتسلّل إلينا من وقتٍ لآخر. إن الشفاء من شيء كهذا لا يعني أننا نتمتع بزواج بلا ألم. لكن الاسترداد ممكن. عندما نتاح لي الفرصة لأقدّم زوجتي للآخرين، أحب أن أقول عنها إنها أفضل صديق لي، وزوجتي، وأم كل أولادي. وجدة كل أحفادي. لقد كان هذا حلمي. عندما كنا نمر بهذه الظروف المظلمة، أن أتمكن أن أقول ذلك. لقد حقّق حلمي بسبب محبة المسيح».

* * *

قابَلت الشخصيات في كلتا القصتين مواقف مُدمِّرةً أثارت وجعاً قلبياً وألمًا مفهوماً. كان من الممكن أن يأسوا ويتخلوا عن زواجهم، لكن شكرًا لله، بنعمة الله ورحمته، كانت لهم الرغبة والقدرة على الغفران. نعم، إنّ هذا شيء مذهل. لكن علينا أن نتذكر أننا نخدم إلهاً مذهباً! يمكننا أن نشكر الله لأنه وهبنا الأدوات التي جعلنا نتغلّب على ردود أفعالنا العاطفية المفهومة على هذا النوع من الألم الذي قرأنا عنه. وحقاً، كل شيء مُستطاع لدى الله.

إن كانت مشاعرنا هي التي نتحكم بنا، فإبليس يتحكم بنا. كل ما عليه أن يفعله هو أن يعطينا شعوراً سيئاً، فننصرف بحسب ذلك الشعور. بالتأكيد يمكنك أن ترى أنّ هذا لن يجدي أبداً. يجب علينا أن نتعلّم أن نحيا بما هو أبعد من مشاعرنا. يمكننا أن نغفر لمن أساءوا إلينا إن كانت لدينا الرغبة في ذلك. يمكننا أن نصلي من أجل أعدائنا سواء كنا نشعر بالرغبة في ذلك أم لا. يمكننا أن نتكلم مع الناس أو نمتنع عن الكلام معهم بفضاظة. يمكننا أن نتّمّ مشيئة الله بغضِّ النظر عن شعورنا.

مشاعرنا هي جزء من النفس، ويمكنها أن تكون خيراً وتنتج أحاسيس طيبة. ولكن يمكنها أيضاً أن تقوم بالعكس. يمكنها أن تخدم الله أو إبليس. ونحن من يجب علينا اتخاذ القرار: أي الأمرين سيحدث. عندما يؤدي شخص ما مشاعري

أريد أن أغفر. لكني لا أعرف كيف!

وأترك هذه المشاعر الجريحة تتحكم في تصرفاتي. أكون بهذه الطريقة قد وضعت نفسي بين يدي إبليس. لكن إن فعلت ما يوصيني به الله بغض النظر عما أشعر به، فإنني بذلك أمارس سلطاني ليس فقط على مشاعري بل على إبليس أيضًا. لقد وجدتُ إحساسًا قويًا بالقوة والرضا في الإسراع بالغفران لمن يجرحني والصلاة من أجله. أنا أعلم أن هذا هو الأمر الصواب مهما كانت مشاعري، والقيام بالصواب يعطينا رضا وقناعةً روحيةً عميقةً في داخلنا.

ليست مشاعرك هي أنت بالحقيقة. إنَّ إرادتك التي تستمد قوتها من إرادة الله هي «المدير العام» لقراراتك. حتى حين تتحرك المشاعر وتصبح متقلبةً. وحين نغرق في المشاعر، يمكننا أن نظل ثابتين. إنَّ قررنا أن نقوم بالصواب مهما كانت مشاعرنا، ستلحق مشاعرنا في النهاية بقراراتنا. بمعنى أننا لا يمكننا أن ننتظر حتى نشعر بالرغبة في القيام بأمرٍ ما. يمكننا أن نقوم بالصواب ثم تأتي المشاعر فيما بعد. قد تبقى متقلبةً. لكن المشاعر تتحسن كلما ثابرتنا في طاعة مشيئة الله. حينها تقوم بما يطلبه الله منك. يمكنك أن تثق فيه أن يشفي مشاعرك الجريحة.

ليس من الحكمة أن تستشير مشاعرك عندما تريد اتّخاذ أي قرار. كن منقادًا بروح الله وحكمته ولا تنقاد أبدًا بمجرد ما تشعر به. لن يمكنك أن تتحكم في ما يفعله الآخرون أو بالكيفية التي يعاملونك بها. لكن يمكنك أن تتحكم في رد فعلك عليها. لا تدع تصرفات الآخرين تتحكم بك. لا تدعها تسرق فرحك. وتذكّر أنَّ غضبك لن يغيرها. لكن الصلاة هي التي تقدر على ذلك.

كيف تصلي لأعدائك؟

لا شك أنه من الصعب أن نفكر حتى في الصلاة من أجل من تسبب لنا في أذى. سواء كان صديقًا، أو غريبًا، أو حبيبًا. ولكن يمكن لهذا أن يحدث. وليس هذا فقط. لكني أقدر أن أؤكد لك أنه مثل أغلب الأشياء، يصبح هذا الأمر أسهل بالممارسة.

* * *

كانت هناك سيدة تعمل بجد وقد صرفت عقوداً من حياتها في مجال الماليات. حين كانت في أوائل الأربعينات من عمرها، توظفت في شركة من كبرى الشركات الصناعية التي منحتها وظيفة عالية المستوى تقدم راتباً رائعاً ومميزات عظيمة. كانت تعمل لدى هذه الشركة لمدة عشرين سنة وكان كل موظفيها وزملائها يحترمونها. حتى وسط الاقتصاد المتذبذب، كانت متأكدة جداً أنّ وظيفتها الحالية مضمونة تماماً. لكن هل تجرؤ حقاً على المخاطرة بكل هذا لتتخذ وظيفة جديدة حيث تكون فيها «الفتاة الجديدة في العمل»؟

كان المدير التنفيذي للشركة الذي عرض عليها هذه الوظيفة الجديدة، ستيف، شخصاً قد عملت معه من قبل. كانت تعرف أنه مدير جيد ورجل عادل. أكد لها أنه سيحرص على أن تتلقى معاملةً عادلةً دائماً. وبعد كثير من الصلاة والتفكير، قررت تريز وزوجها أن تقبل هذا العرض.

كانت الوظيفة الجديدة رائعة. كانت مسؤولياتها تناسب مواهبها جداً، وكانت تنمو في هذه الشركة الجديدة. ولكن كانت هناك زميلة لم تكن لطيفة معها. ولكن هذه المرأة، جاكى، لم تكن لطيفة مع كل الناس أيضاً. كان ملفها الشخصي متحماً بالشكاوى من سوء معاملتها لزملاء لها في العمل ومع رؤوسبها أيضاً. كانت تمثل لكل من تعرفهم المشاكل، بما في ذلك مدبرها. حاولت تريز بأقصى جهد أن تتأقلم مع جاكى ولكن هذا لم يُجد.

وبمرور الوقت أصبح سلوك جاكى تجاه تريز أكثر شراسةً ووقاحةً. وابتدأت تريز تشك أن جاكى لا تريدها في الشركة. وذات يوم في اجتماع لكل الموظفين بالشركة، قامت جاكى بإهانة تريز أمام غرفة مليئة بنواب الرئيس وكذبت بشأن حساب مهم كانت قد فقدته. وألقت باللوم كله على تريز.

وبعد يومين، استدعى مدير تريز إياها لمكتبه وفصلها. كانت جاكى قد قالت له نفس الكذب. وقد قيل ما قالته دون حتى أن يسمح لتريز أن تدافع عن نفسها. لم تكن تريز تعرف بمن كانت غاضبة، جاكى أم ستيف. في سن الحادية والأربعين، أصبحت تريز بلا وظيفة. ولم تكن هناك وظائف كثيرة في هذه الصناعة وقتئذٍ.

ذهبت تريز في هذه الليلة إلى بيتها وهي مُدمّرة. وحين جاء وقت النوم، صلى زوجها بصوت عالٍ ثم انتظر أن تقوم هي بنفس الأمر كذلك. الأمر الذي كانا يكرّانه كل ليلة. عندما صلت تريز، علمت في الحال أن عليها أن تصلي من أجل جاكى وستيف. كانت تعلم أيضاً أنها في هذه اللحظة تكرههما. وبالنسبة لها، لقد قام الاثنان بخيانتهما. لقد أصبحت الآن بلا عمل. أما هما فكانت حياتهما تمضي كالاعتاد. فهل عليها أن تصلي من أجلهما أيضاً؟

أريد أن أغفر. لكنني لا أعرف كيف!

صَلَّتْ وقالت: «يا رب. أعرف أنه يجب أن أصلي من أجل أعدائي. وهما الآن جاكى وستيف. اللذان وضعنا مستقبلنا في خطر بلا سببٍ منطقي. إنني غاضبة جدًا منهما. وأعترف لك بأنني لا أريد أن أصلي من أجلهما. لكن عليَّ فعل ذلك. أرجوك يا رب بكنّتهما بشأن ما فعلاه بي. في اسم يسوع. آمين».

قالت لي تريز إنَّ الأمر استغرق منها بضعة أشهر. لكنها كانت تصلي كل ليلةٍ من أجل جاكى وستيف. ثم ابتدأت صلواتها تتغيَّر. لم يمض وقتٌ طويل حتى بدأت تصلي حتى تُشَفَّى جاكى من الربو. وقد كان شديدًا عليها. ثم وجدت نفسها تصلي من أجل طريقة تعامل جاكى مع زملائها وموظفيها حتى تصبح أكثر نعومةً. وتصبح أكثر عطفًا. صَلَّتْ تريز حتى يجد ستيف بديلًا جيدًا عنها وأن يروق هذا المدير الجديد للأشخاص الذين كانت تعمل معهم. كانت تصلي أيضًا من أجل بعض مشاكله الشخصية التي كانت معروفةً للجميع.

وبالتدريج. ابتدأت مشاعر تريز في التغيُّر من ناحية جاكى وستيف. قالت لي إنه بالرغم من بقاء ذلك الألم الذي عانت منه بسببهما. إلا أن غصته لم تصبح بتلك القوة مرور الوقت. وإنها وجدت نفسها فعليًّا تصلي أن يباركهما الله. بل وكانت تعني ذلك أيضًا! عندما تم فصل جاكى بعد بضع سنوات. كانت تريز تشعر بالأسى حقًا من أجلها. ومدت يدها لها بالمساعدة. لم يكن أحد يشعر بالمفاجأة من معاملات تريز الطيبة أكثر من تريز نفسها. لقد عمل الله داخلها ببطء لكن بثبات.

إدًا. كيف لك أن تصلي من أجل أعدائك؟ فقط قم بالأمر. لن تشعر برغبة في الأمر في البداية. لكنك. مثل تريز. ستختبر شفاءً في نفسك إنَّ كانت لك الإرادة أن تطيع الله بدلًا من طاعتك لمشاعرك.

الفصل الحادي عشر

البحث عن عدم الغفران المختبئ

في مساء أحد الأيام، كنتُ ذاهبةً للكنيسة. منذ حوالي خمسة وعشرين عامًا، واستمعتُ لقسّ يقولُ إنه سيقدم دراسات عن احتياجنا للغفران لمن أساء إلينا. فقلت في نفسي بكبرياء: «ليس عندي أي عدم غفران على الإطلاق». ثم قررتُ أن أستمع إلى عظةٍ واحدةٍ كنتُ متأكدةً أنني لا أحتاجها حقًا. لكن حين جاء ذلك المساء، أدركتُ أن عندي عدم غفران في قلبي. لكنه كان مختبئًا. وقد يكون التعبير الأدق هو أن أقولُ إنني كنتُ أختبئ منه. إننا نادرًا ما نجد راحةً في مواجهة خطيتنا وفي أن ندعوها باسمها. نحن نقدر أن نخبئ الكثير في داخلنا بالرغم من أن هذا يؤثر علينا بطرقٍ مختلفةٍ. فنحن لا ندرك حتى أن هذه الأشياء موجودة. إننا غالبًا نعطى لأنفسنا تقييماً أكبر من حقيقتنا. ونقدر أن نحكم على الآخرين بسبب أخطائهم وفي ذات الوقت نرفض أن نرى خطيتنا. لقد كشف لي الله موقفين خديعًا في حياتي في هذه الليلة وأظهر لي بوضوح أنني لا أخلّي بفكر الغفران.

يحكي لنا الكتاب المقدس قصة أخوين كان كلاهما ضالين: كان الأول نائهاً في خطيته، والآخر نائهاً في ديانتها. كان كلاهما مبتعدين عن الله كلٌّ في طريقه. من الشائع أن نسوّي هذه القصة بقصة الابن الضال ويكون تركيزنا في العادة على الابن الأصغر الذي طالب بميراثه وذهب ليصرف نقود أبيه على حياة الخطية. وكما هو حال كثير من الخطاة، انتهى به الحال وهو يعيش في فوضى عارمة. لقد ذهب ماله، وابتدأ يعمل لدى راعي خنازير وكان يأكل نفس الطعام الذي تأكله

الخنازير. ولما راجع حالته البائسة. قرر أن يرجع لأبيه ويتوسل له طالباً الغفران ويطلب منه أن يكون مُجرد خادم في بيته (الوقا ١٥: ١١-٢١).

فرح الأب، الذي يمثل الله في هذه القصة، بعودة ابنه وقام بترتيبات لإعداد حفل ضخم على شرفه. ولكن، كان الابن الأكبر حزيناً جداً وقرر ألا ينضم للاحتفال. كان يشعر أنه قد عاش حياةً ملتزمةً أخلاقياً، وظل يُذكر والده بكل الأعمال الصالحة التي عملها وكيف أن والده لم يُقم له حفلاً. نقدر أن نرى بسهولة أن هذا الأخ المعتدّ بسلوكه المتدين لم يكن سعيداً بعودة أخيه الأصغر وكان في الواقع متعصّباً وغازباً. لقد تاه في برّه الذاتي. كان فخوراً بما يسمونه الأعمال الصالحة، ومقتنعاً بأنّ أخاه لم يكن يستحق هذه المعاملة الجيدة التي تلقاها. لقد فشل الأخ الأكبر في إدراك أن إجهاده كان أسوأ من تصرفات أخيه الأصغر.

لو جاءه أحدهم وقال له: «إنّ قلبك مليء بعدم الغفران» ما كان ليصدقه. لقد كان أعمى عن خطيئته بسبب ما كان يراه سلوكاً ملتزماً أخلاقياً. لقد كان في الواقع ابناً صالحاً واتباع كلّ القواعد. لكن الله لم يكن مسروراً؛ حيث إن قلبه لم يكن سليماً. لو كان قضي وقتاً كافياً لفحص إجهاداته، لكان أدرك أنه هو أيضاً يحتاج لغفران.

سته تصرفات تكشف عدم الغفران

عدم الغفران يحتفظ دائماً بالسجلات

بينما كان الأخ الأكبر يُقدّم قائمةً لسلوكه المتزن لأبيه، قال له: «ها أنا أُخِدمُكَ سِنِينَ هَذَا عَدَدَهَا». لقد أحصى أعماله الصالحة وكان يعرف بالضبط عدد السنوات التي قدّم فيها سلوكاً قوياً وكان يحسب ذلك في سجلّه. لقد كان يحتفظ بالسجلات، ونحن نميل أن نفعل ذلك أيضاً. إننا نحب أن نحتفظ بسجلات لسلوكنا الرائع وسجلات لأخطاء الآخرين. نحن نقارن، ونتصور أننا في طبقةٍ أعلى من الآخرين. لقد جاء يسوع ليدمر التمييز بين الطبقات. إن ارتكبتنا خطيئةً، فعوننا فيه وحده. وإن قمنا بعمل خير، فما كان هذا ليحدث إلا بمعونته لنا وتمكينه إيانا. إنّ له كل الفضل في أي عملٍ جيّد نقوم به. نحن لا شيء بدونّه. وأي قيمة لنا هي فيه، لذا تم هدم أي تمييز طبقي. وأصبحنا كلنا واحداً في المسيح. كان الأخ الأكبر يحصي أعماله الجيدة وخطايا أخيه الصغير. إنّ هذه دائماً علامة على وجود عدم الغفران في قلبنا. لقد سأل بطرس يسوع كم مرة عليه أن يغفر لأخيه (متى ١٨: ٢١، ٢٢) من الواضح أنه كان يحتفظ بسجل من الإساءات.

إنَّ المحبة لا تحتفظ بسجل للشر (١ كو ١٣: ٥). إن كنا سنطيع يسوع ونسير في نوعية المحبة التي يريها إياها، فعلينا ألا نحتفظ بسجلات من الجزاءات. عندما نغفر، يجب أن نغفر بالتمام. وهذا يعني أن نتخلَّى عن الأمر وألا نتذكره مرةً أخرى. يمكننا أن نتذكره إنَّ حاولنا ذلك، لكن ليس علينا أن نفعل ذلك، يمكننا أن نغفر ونبتعد عن الأمر، وألا نفكر في الأمر أو نتحدث عنه مرةً أخرى.

كان هناك وقت في حياتي كنتُ أستطيع فيه أن أتذكر كلَّ شيء فعله بي ديف وتسبَّب في إغضابي. كنتُ أعرف كلَّ أخطائه، وصدق أو لا تصدق، كنت متكبِّرةً حتى أنني كنتُ أصلي من أجله بانتظام حتى يتغير. نعم، لقد صليتُ من أجله وبقيت متعاميةً عن سلوكي الرديء! أما الآن لا أقدر أن أتذكر آخر مرة تسبب في إغضابي أو خيبة أُملي. لقد فعلتُ في نفسي معروفًا وتوقفتُ عن الاحتفاظ بسجل لأخطائه. أنا الآن أكثر سعادة، وأصبح إبليس حزينًا لأنه فقد حصنًا له في حياتي. اسأل نفسك الآن إنَّ كنتُ تحتفظ بسجل لما فعله الآخرون معك وما فعلته معهم. إن كان هذا هو الحال، إذًا فأنت تتجه لمشاكل في علاقتك وتحتفظ في قلبك بعدم الغفران عليك أن تتوب عنه.

عدم الغفران يفتخر بسلوكه الجيد

لقد قال الأخ الأكبر لأبيه إنه لم يكسر وصاياه أبدًا... لقد كان يفتخر بسلوكه الجيد ويؤكد على خطايا أخيه. إنَّ الإدانة تقول دائمًا: «أنت سيئ وأنا جيد» مبتلى الكتاب المقدس بدروس عن خطورة الإدانة والانتقاد للآخرين. نحن نحصد ما نزرع. وكما ندين بنفس الطريقة نُدان. إنَّ زرعنا رحمةً، سنحصد رحمةً، لكن إنَّ زرعنا إدانةً سنحصد إدانةً (متى ٥: ٧، ١ و ٢).

لم تكن لدى الأخ الأكبر رحمة، وهذه هي طبيعة حال المعتمدين على البرِّ الذاتي. كانت لدى يسوع أمور صادمة يقولها بأمانة للفرسيين المتدينين في عصره: قال إنهم يعظون بما هو حق، لكنهم لا يمارسونه. كانوا يعملون أعمالهم حتى يراهم الناس. كانوا متظاهرين (منافقين) حيث إنهم كانوا يتبعون الناموس لكنهم لا يكثرثون بمساعدة أحد. كانوا ينظفون السطح الخارجي للكأس، بينما يبقى الداخل قذرًا. بمعنى أن تصرفاتهم قد تكون جيدة، لكن قلوبهم كانت شريرة (متى ٢٣). إنَّ الأشخاص المتدينين الذين يعتمدون على برِّهم الذاتي يمكن أن يكونوا من أسوأ الناس في العالم، لم يمت يسوع من أجلنا حتى نحصل على دينية، لكنه مات حتى نحصل على علاقة حميمة بالله من خلاله. إنَّ العلاقة الحقيقية بالله تجعل قلوبنا أرق وجعلنا نشعر بالشفقة والرحمة تجاه الآخرين.

في تلك الليلة التي جلستُ فيها في الكنيسة ورأيتُ أنَّ هناك عدم غفران في قلبي. كان يمكنني أن أقول لكم بالضبط كم ساعة أقضيها في الأسبوع في الصلاة وكم إصحاح أقرأه كل أسبوع من الكتاب المقدس. ومع ذلك لم أكن أدرك أن هناك مشكلة في اتجاهات قلبي لا يوافق عليها الله. لقد كنتُ جسيماً للأخ الأكبر. ولكن شكراً لله أنه غيّرني. لكني دائماً ما أصرف وقتاً لأمتحن قلبي حتى أتأكد أنني لا أحصل لنفسي على فضل في عمل خير قام به الله من خلالي. يقول الكتاب المقدس إننا عندما نقوم بعمل خير علينا ألا ندع يدنا اليسرى تعرف ما تفعله يدنا اليمنى. يعني هذا ألا نقلق بشأن الأمر. بل ندع الله يستخدمنا لمجده ثم ننتقل لتنفيذ الأمر التالي الذي يطلبه منا.

هل تقارن بينك وبين الآخرين وترى أنك طيبٌ وأنهم أشرار؟ هل تقول عبارات مثل: «لا أصدق أنهم فعلوا ذلك. ما كنتُ أنا لأفعل هذا أبداً»؟ إنَّ كان هذا هو الحال. إذا فأنت مُقبلٌ على مشاكل. كلما اعتقدتُ أنك أفضل. رأيتُ الآخرين أسوأ. إنَّ التواضع الحقيقي لا يفكر في ذاته أبداً. إنه لا يركّز على الذات. إنه ليس أنانيّاً. إنَّ اعتقدنا أننا أفضل من الآخرين سنجد دائماً أنه من الصعب أن نغفر لهم. لذا دعونا نتواضع أمام الله ونحو كل السجلات العقلية التي لدينا عن أعمالنا الصالحة.

عدم الغفران يشكو

قال الأخ الأكبر لأبيه: «جَدِّيًا لَمْ تُعْطِنِي قَطُّ لَأَفْرَحَ مَعَ أَصْدِقَائِي»

(لوقا ١٥ : ٢٩).

لقد كانت عنده أعراض الشعور بإحساس الشهيد «لقد فعلتُ كلَّ العمل المطلوب مني. بينما كانوا كلهم يلعبون ويستمتعون بوقتهم» في الأغلب أنه كان مدمناً للعمل. كان لا يعرف كيف يرح ويستمتع بحياته. لذلك. كان يشعر بغيرة من كل من كانوا يفعلون عكسه. لقد اشتكى كثيراً من طريقة معاملة الآخرين له.

في تلك الليلة في الكنيسة. التي كنتُ أستمع فيها للظة عن عدم الغفران والتي كنتُ أعتقد أنني لا أحتاجها. كشف لي الله أنَّ بداخلي عدم غفران تجاه ابني الأكبر؛ لأنه لم يكن روحياً بالكفاية التي كنتُ أريدها منه.

إنَّ وجدتُ نفسك تشكو باستمرار من شخص معين. فهناك احتمال قوي أن في قلبك عدم غفران من ناحيته. قد يكون الأمر شيئاً معيَّناً أو أشياء قام بها

هذا الشخص معك. أو قد يكون الأمر هو أن شخصيته تضايقتك. في حالة ابني. كنت غاضبةً من قرارته ومع ذلك لم أذكر أنني. في مثل عمره. قمت باختيارات أسوأ بكثير.

أغفر لمن أغضبك. وابحث عن شيءٍ إيجابي تتأمل فيه وتتكلم عنه. صلّ من أجله وشاهد عمل الله فيك وفي من حُب.

عدم الغفران يعزل، ويقسم، ويفصل

لقد أشار الأخ الأكبر لأخيه بقوله: «ابنك هذا» لم يدعه «أخي» لأنه قد أقام جدلاً عازلاً في قلبه بينه وبين أخيه. انسحب ورفض أن يدخل للحفل ويحتفل مع الآخرين. لقد عزل نفسه. ليس فقط عن أخيه. بل أيضاً عن كل من كانوا يفرحون مع أخيه.

هل شعرت يوماً ما بالغضب من شخصٍ ما ثم غضبت من شخصٍ آخر لأنه لم يشاركك غضبك من الشخص الأول؟ كانت هناك أوقات أشكو فيها لزوجي ديف من معاملتي سيئة تلقيتها من شخصٍ ما فأجده يدافع عن هذا الشخص: كان يُذكرني بأن هذا الشخص ربما يكون قد مر بيوم سيئ ثم يبدأ يتكلم عن صفاته الجيدة.

لقد كان يحاول مساعدتي على أن أرى أنّ هناك أكثر من جانب في هذا الموقف. لكنني كنتُ أغضب منه؛ لأنه كان يدافع عن الشخص الذي أغضبني. لم يتسبّب غضبي في انفصالي عن الشخص الذي كنت غاضبةً منه فقط. لكنه تسبّب في انفصالي عن أي شخص يقبل الشخص الذي أساء إليّ. أعتقد أنّ الذين يشعرون بالإساءة ويمتلئون بالمرارة يعيشون في وحدة. في حياة منعزلة في أغلب الأحيان. إنهم مشغولون جداً بامتعاضهم حتى أنهم لا يملكون وقتاً لأي شيءٍ آخر.

لم يهتم الأخ الأكبر بالذهاب للحفل. لو كان قد فعل ذلك لكان قد استمتع بوقته. لكنه فضّل أن يشتكي ويبقى في تعاسته. إنّ موضوع مأساة كسر الوحدة هو موضوع مهم. وسأتكلم عنه أكثر في فصل لاحق.

عدم الغفران يستمر في التذكير بالإساءة

في حالة عدم الغفران نداوم على اختلاق الأعذار حتى نتكلّم عمّا فعله الآخرون بنا؛ فنحن نثير الموضوع في أحاديثنا بقدر المستطاع. ونخبر به كلّ من يستمع إلينا. يجب أن تكون هذه التصرفات إشارةً لنا بأننا نعيش في عصيان لله

وأن علينا أن نطلب معونته في الحال حتى نتحرّر من الإساءة. من فضلة القلب يتكلم اللسان. يمكننا أن نعرف الكثير عن نفوسنا إن استمعنا لأنفسنا. لقد حاول الأخ الأكبر أن يُذكر أباه بأنه كان عطوفاً مع ابن لا يستحق هذا العطفَ وسرد له خطيته (لوقا ١٥ : ٣٠). لقد كان غاضباً وأثبت كلامه ذلك. قال يسوع إن علينا أن نغفر عندما نغضب. وهذا معناه أن نتوقف عن إثارة الموضوع من جديد. هل اعتقدت يوماً أنك غفرت لشخص ما إساءة قد تسبب لك فيها ثم اكتشفت في المرة التالية التي أساء لك فيها أنك تذكرت الإساءة القديمة بسرعة؟ لقد فعلنا كلنا ذلك. وهذا يعني أننا لم نغفر بالتمام وأننا نحتاج أن نطلب المعونة من الله.

عدم الغفران يرفض البركات التي يتمتع بها المسيء

كان الأخ الأكبر يشعر بغيرة وغضب. وكان يرفض بركات أبيه لأخيه الأصغر. لم يكن يريد أن يتمتع الابن الضال باحتفاله. ولا بالعجل المسنّن. ولا بالحلّة الجديدة. ولا بالخداء. ولا بالخاتم الجديد. كان يرفض ذلك في أعماقه. إنّ امتعاضنا من بركات الآخرين يكشف الكثير عن شخصيتنا. يريدنا الله أن نفرح مع الفرحين ونبكي مع الباكين. إنه يريدنا أن نثق فيه أنه يفعل الصواب بكل شخص. لقد أخطأ الابن الأصغر في قصتنا. لكنه في ذلك الوقت كان يحتاج إلى الغفران والقبول والشفاء. من المحتمل أنّ أباه كان ينوي أن يتكلم معه عن سلوكه الخاطئ فيما بعد. لكنه في ذلك الوقت كان يحتاج للحب. كان يحتاج أن يرى إعلاناً عن صلاح ورحمة أبيه. إن الله دائماً يفعل الصواب لكل الناس. وله أسبابه فيما يفعله. بالطريقة التي يفعله بها. كَوْن هذا لا يتفق مع ما نراه عادلاً لا يحدث فرقاً. إنّ احتفظنا بهذا الفكر الرافض سوف نكون نحن من نتألم بسببه. ذهب كل الآخرين للحفل الذي أقامه الأب لابن الأصغر. كان الابن الأكبر وحده هو من رفض أن يستمتع بوقته. لقد منعه امتعاضه من الاستمتاع بالاحتفال. كان عليه حقاً أن يفعل في نفسه معروفاً ويغفر.

حتى نتأكد من أنك لا تحتفظ بعدم غفران خفي. راجع قائمة الأمور التي ذكرتها وقم بها بقلب مفتوح. اطلب من الله أن يكشف عن أي مرارة. أو رفض. أو عدم غفران. أو إساءة تحتفظ بها. ابحث عن أعراض عدم الغفران. وإن وجدتّها. فعليك بالإسراع لمقابلة الطبيب يسوع حتى يمنحك الشفاء.

الفصل الثاني عشر

قوة وبركة الوحدة

هناك تشجيع وتخفيف على الوحدة، والاتفاق والانسجام في شتى أنحاء كلمة الله. لا يمكن تحقيق هذا إلا إذا كانت لدينا الرغبة في الإسراع بالغفران والسخاء في الرحمة. إنَّ العالم اليوم مليء بالخصام. نحن نسمع كثيرًا أخبار حروب، وكرهية، واضطرابات في الحكومات. وفي الطوائف المسيحية، وفي منظمات العمل من شتى الأنواع. ومع ذلك، في وسط كل هذا، يقدم لنا الله السلام. يمكننا أن نختار أي الطريقتين نعيش بها.

«هُوَذَا مَا أَحْسَنَ وَمَا أَجْمَلَ أَنْ يَسْكُنَ الْإِخْوَةُ مَعًا (في وحدة)!»

(مزمور ١٣٣ : ١).

يستكمل كاتب المزمور كلامه ويقول إنه حيث توجد الوحدة بأمر الرب بالبركة والحياة إلى الأبد. إنَّ الله يُكرم هؤلاء الذين يبذلون جهدًا ليعيشوا في انسجام. قال يسوع إنَّ صانعي السلام والمحافظين عليه هم أبناء الله. وهذا يعني أنهم ناضجون روحيًا. إنهم يعيشون متخططين مشاعرهم وعلى استعداد أن يخضعوا تحت يد الله القوية ويطيعوه. إنهم يتخذون المبادرة من أجل الوحدة ويتشددون في الحفاظ عليها.

تأمل في الأجواء التي تعيش وتعمل فيها. هل هناك سلام؟ هل يتوافق الأشخاص بسهولة؟ إن لم يكن الأمر كذلك، ماذا ستفعل في هذا الأمر؟ يمكنك أن تصلي، وأن تشجع الآخرين على أن يتعايشوا سوياً. وإن كان عدم وجود الانسجام هذا هو خطأك أنت، إذاً يمكنك أن تتغير. يمكنك أن تتوقف عن الجدال بشأن الأمور التي لا تهم في الحقيقة. يمكنك أن تكون أول من يعتذر عندما تحدث خلافات مع شخص آخر. إن السلام هو من أولى الثمار الطيبة للحكمة. عش بحكمة وسوف ترى البركة في حياتك.

«وَأَمَّا الْحِكْمَةُ الَّتِي مِنْ فَوْقَ فَهِيَ أَوْلَا طَاهِرَةً (غير نجسة)، ثُمَّ مُسَالِمَةٌ، مُتَرَفِّقَةٌ (مراعية للآخرين، لطيفة)، مُذْعِنَةٌ (على استعداد لسماع صوت العقل)، مَلُوءَةٌ رَحْمَةً وَأَنْثَمَارًا صَالِحَةً، عَدِيمَةُ الرِّيْبِ وَالرِّيَاءِ»

(يعقوب ٣: ١٧).

اختيار الوحدة

كما قلت قبلاً، هناك اضطرابات في كل مكان. لذا إذا أردنا الوحدة والسلام الذي ينتج عنها، علينا أن نختار الوحدة عمداً، علينا أن نتعلم طرق الله ونعمل مع روحه القدوس لتفعيل السلام.

إن أي شخص متزوج يعرف أننا نجد وفرة من الأمور التي نختلف بشأنها. إننا عادةً نتزوج شخصاً هو على النقيض من شخصيتنا، وهذا يعني أننا لا نفكر بنفس الطريقة. قد نختلف، لكن علينا أن نختلف بطريقة بها احترام ولطف. أنا وزوجي ديف مختلفان جداً، وقد أضعنا سنيناً عديدة في الجدال حتى تعلمنا أخطار الانقسام وقوة الوحدة. لقد تعهدنا بأن نحتفظ بالسلام في علاقتنا. وبيتنا، وخدمتنا. لقد آمنا بقوة بأن الله لا يمكنه أن يباركنا بالطريقة التي نرغب فيها ونحن منقسمان. ربما تكون قد سمعت هذه العبارة: «إن اخذنا نثبت، وإن انقسمنا نسقط»، وهي مقولة حقيقية. يقول الكتاب المقدس إن واحداً يقدر أن يهزم ألفاً، واثنين يقدران أن يهزما عشرة آلاف. يمكننا أن نستشف من هذه الآية أن القوة تتضاعف عندما نختار أن نعيش في اتفاق.

لقد كنتُ أنا مصدر أغلب اختلافاتنا. كان ديف دائماً شخصاً مسالماً. وهو يحتقر ذلك التوتر الذي ينشأ بيننا عندما نختلف ونبقى غاضبين. لقد تربيتُ في بيتٍ لا توجد به وحدة. لذا كان عليّ أن أتعلّم ما هو السلام. درستُ كلمة الله وسعيت حتى أتعلّم ما يجب عليّ فعله لتغيير وأحصل على السلام. اكتشفتُ أنه لا يوجد سلام بلا تواضع. التواضع هو الفضيلة الكبرى التي يجب السعي وراءها وهي غالباً أصعب فضيلة يمكن الحصول عليها ويصعب الحفاظ عليها. إنّ الشخص المتواضع يتجنّب كلّ الكلام الفارغ (الباطل الذي بلا فائدة ولا عمل): حيث إنه يقود إلى تجاسيةٍ أكثر فأكثر. إنه يغلّق بابَ ذهنه في وجه المجادلات السخيفة على أسئلةٍ جاهلةٍ؛ لأنه يعرف أنها تغذّي وتزيد الانشقاق.

هل تتذكر آخر مرة جادلتَ فيها مع شخصٍ ما بشأن أمرٍ كان شديد التفاهة وهو في الواقع أمرٌ سخيف؟ ربما كنتَ تمر بيوم سيئٍ وقلتُ شيئاً لم يكن ينبغي أن تقوله. وتسبّب هذا في الجدل. كان يمكنك أن تسارع بالاعتذار. لكن كبرياءك جعلك تستمر في هذه المحادثة السخيفة. حاول أن تثبت فيها أنك على صواب. لقد أضعتَ يومك. وشعرتَ بتوتر. وأصبحتَ بصداع. وبالمِ في بطنك. ولم تكن لك رغبة في الصلاة. كنتَ تعرف في قلبك أنك لم تتصرف جيداً. وكان جزءٌ منك يريد أن يقول: «أنا أسف حقاً. لقد كان هذا خطأي وأنا أطلب منك الغفران». لكن جزءاً آخر: جسّدك. جعلك ترفض أن تفعل هذا بمنتهى العناد.

أستطيع أن أتذكر مرات عديدة كنتَ فيها على هذا النحو. لكنني أشكر الله أنني لا أعيش بهذا الأسلوب الآن؛ فأنا أكره النزاع. والاضطراب. وعدم التناغم. والاختلاف. إنّ كَوْن الإنسان على صوابٍ ليس هو حقيقة ما يبدو عليه؛ لأننا نتنازع مع الآخرين من أجل هدفٍ واحد وهو إثبات أننا على صواب في الاختلاف. ولكن حتى إن فعلنا ذلك، هل حصلنا حقاً على شيءٍ أكثر من إحساسٍ بالكبرياء والتصلّف؟ أعتقد أننا سنكون أفضل فور أن نتواضع ونسمح لله أن يكون هو من يدافع عنا. إنه قادرٌ أن يثبت حقنا في المواقف عندما يكون ذلك في خطته. تخبرنا كلمة الله بأنّ المحبة لا تطلب ما لنفسها (١ كو ١٣: ٥) إنها حتى لا تصمّم على حقها في أن تكون على صواب! هل أنت على استعداد أن تدع شخصاً آخر يعتقد أنه على صواب حتى لو كنتَ تعتقد أنك أنت المصيب. بدلاً من أن تبدأ جدالاً معه في هذا الصدد؟ إنّ كنتَ كذلك، إذاً فقد اقتربت خطوةً من كونك صانع سلام ومحافظاً على الوحدة.

كنتُ مؤخراً في رحلةٍ مع أحد عشر عضواً من عائلتي بما فيهم ديف. واثنين من أبنائنا. وشريكي حياتهما. والعديد من الأحفاد. وكان منهم مراهقون. نزلنا

كلنا في نفس المنزل وحدثت أمور تدعو إلى عدم الوحدة والمشاعر الجريحة. لم نكن كلنا نريد نفس الأمر، أو نريد أن نشاهد نفس الشيء في التلفزيون، أو نلعب نفس الألعاب، أو نأكل في نفس المكان. إن للمراهقين أساليبهم التي تدعو إلى الإحباط، وهنا علينا أن نتذكر أننا عندما كنا مراهقين لم نكن نتصرف بصورة أفضل منهم.

ما أريد أن أقوله هو أنه رغم أننا كنا كلنا في هذه الرحلة مؤمنين وكنا نحاول أن نطيع الله ونحيا في سلام، إلا أنه كان علينا أن نبذل مجهوداً في ذلك، كما هو الحال دائماً عندما تريد الوحدة. من المستحيل أن نحافظ على جو السلام في الموقف الذي وصفته لك إلا إذا كان الجميع مستعدين أن يتواضعوا ويكونوا أسخياء في الرحمة والغفران. كان الله يعرف جيداً ما يفعله عندما طلب منا في كلمته أن نكون مسرعين في الغفران. إن إبليس دائماً يحوم حولنا محاولاً أن يثير المتاعب، لكن الله أعطانا طرقاً نتمكن من أن نهزمه. كن سخيّاً في الرحمة. كن طويل أناة وصبوراً، كن متفهماً، اعترف بخطاياك، وهذا سوف يعينك على ألا تكون مسرعاً في الحكم على الآخرين، وأن تكون مسرعاً في الغفران الكامل حتى لا تسقط في فخ إبليس وتسقط في النزاع.

إنّ العلاقات شيء مهم لنا جميعاً. والعلاقات الفاشلة تعذبنا. أما العلاقات الناجحة فهي من أكثر البركات المفيدة لنا في العالم. يريد إبليس أن يدمر علاقاتنا لأنه يعرف قوة الوحدة. إنه يستخدم الخلافات في شخصياتنا ضدنا. إنه يتسبب في أن يجعلنا نأخذ ما يُقال لنا خارج سياقها، ويثير المشاعر الجريحة، والغضب، والفكر المتمرد الذي يرفض أن يغفر. لكن لنا سلطان على إبليس، ونستطيع أن نقاومه ونقاوم كل حيلة التي يستخدمها ليُحدث الانقسام في علاقاتنا في البيت، والعمل، والمدرسة، والكنيسة، وفي أي مكان نتواجد فيه.

اسأل نفسك ما هي فائدة الاضطرابات، هل تفيدك في شيء أو تغيّر الموقف؟ إنّ التنازع في أغلب الأحيان يجعلنا نشعر باليأس ولا يُفيد على الإطلاق. دعونا نتخذ قراراً بأن نسعى وراء السلام ونصنعه. لا يقدر أيّ منا أن يجد حلولاً لكل الاضطرابات التي في العالم، لكن يمكننا أن نضطلع بمسؤولياتنا عن حياتنا وعلاقاتنا. ابدأ بالصلاة واطلب من الله أن يكشف لك ما يمكن أن تغيّره حتى ترى السلام في حياتك.

كن قابلاً للتأقلم

إنَّ أغلبنا يريد كلَّ شيءٍ بطريقته الخاصة. ولكن حتى نحافظ على الوحدة علينا أن نتعلم أن نكون قابلين للتعديل وللتأقلم. تأمل في هذه الآيات:

«مُهْتَمِّينَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ اِهْتِمَامًا وَاحِدًا غَيْرَ مُهْتَمِّينَ بِالْأُمُورِ الْعَالِيَةِ (المتكبرة، المتعجرفة، الحصرية) بَلْ مُنْقَادِينَ إِلَى الْمُتَضَعِينَ (الناس والأشياء المتواضعة). لَا تَكُونُوا حُكَمَاءَ عِنْدَ أَنْفُسِكُمْ. لَا جُازُوا أَحَدًا عَنْ شَرِّ بَشَرٍ. مُعْتَنِينَ بِأُمُورٍ حَسَنَةٍ (بلا لوم) قَدَامَ جَمِيعِ النَّاسِ. إِنْ كَانَ مُكِنَّا فَحَسَبَ طَاقَتِكُمْ سَالِمُوا جَمِيعَ النَّاسِ»

(رومية ١٢: ١٦-١٨).

إنَّ الفحص الدقيق لهذه الآيات يُظهِرُ لَنَا سَرِيعًا أَنَّنَا لَا نَقْدِرُ أَنْ نَعِيشَ فِي انْسِجَامٍ بَعْضُنَا مَعَ بَعْضٍ إِنْ لَمْ تَكُنْ أَجَاهَاتُنَا سَلِيمَةً. إِنَّنَا نَحْتَاجُ إِلَى فِكْرِ متواضع. إِلَى فِكْرِ الاستعداد أَنْ نَتَأَقْلَمَ وَنُعَدِّلَ مِنْ أَنْفُسِنَا لِنَتِمَاشَى مَعَ الْآخَرِينَ وَمَوَاقِفِهِمْ. عَلَيْنَا أَنْ نَدَافِعَ دَائِمًا عَمَّا نَرَاهُ حَقًّا، لَكِنْ بِالنِّسْبَةِ لِلْأُمُورِ غَيْرِ الرَّئِيسِيَّةِ وَالَّتِي لَا نَقْدِرُ فِيهَا أَنْ نَتَأَقْلَمَ مَعَ الْآخَرِينَ. عَلَيْنَا أَنْ نَبْذِلَ جَهْدًا حَتَّى نَفْعَلَ ذَلِكَ. لَيْسَ مِنَ الْمَفِيدِ دَائِمًا أَنْ نَقُومَ بِإِدَاءِ الْأُمُورِ بِطَرِيقَتِنَا الشَّخْصِيَّةِ. نَحْنُ نَحْتَاجُ إِلَى الْخَبْرَةِ فِي خُضُوعِنَا بَعْضُنَا لِبَعْضٍ بِاتِّضَاعٍ وَمَحَبَّةٍ. يَحْتَاجُ كُلُّ مَنْ أَنْ يَخْضَعَ لِلْآخَرِينَ وَيُقْضَلَ رَغْبَاتِهِمْ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ. وَيَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَفْعَلَ ذَلِكَ بِإِجَاهِ طَبيب.

فِي أَغْلَبِ حَيَاتِنَا الزَّوْجِيَّةِ، كَانَ دَيْفٌ يَتْرَكُ لِي اخْتِيَارَ أَبْنٍ نَأْكُلُ عِنْدَمَا نَخْرُجُ سَوِيًّا، وَلَكُونَهُ رَجُلٌ يَسْهَلُ إِرْضَاؤُهُ، لَمْ يَكُنْ يَهْتَمُّ بِهَذَا الْأَمْرِ كَثِيرًا. لَكِنْ هَذَا الْأَمْرُ كَانَ وَلَا يَزَالُ يَهْمُنِي أَنَا. وَفِي السَّنَوَاتِ الْقَلِيلَةِ الْمَاضِيَةِ، لَسَبَبٍ مَا أَصْبَحَ مِنَ الصَّعْبِ إِرْضَاؤُهُ بِشَأْنِ أَبْنٍ نَأْكُلُ فِي أَغْلَبِ الْأَوْقَاتِ. لَقَدْ اتَّخَذْتُ قَرَارًا أَنَّهُ لَا يَحِبُّ الثُّومَ. وَأَنَا أَفْضَلُ الطَّعَامَ الْإِيطَالِيَّ، أَنَا مُتَأَكِّدَةٌ أَنَّكُمْ تَفْهَمُونَ الْآنَ الْمَشْكَلَةَ الَّتِي حَدَّثَ بَيْنَنَا. وَأَنَا أَحَبُّ أَيْضًا الطَّعَامَ الصِّينِيَّ، وَمَعَ أَنَّهُ أَحْيَانًا لَا يَمَانَعُ أَنْ يَأْكُلَهُ، إِلَّا أَنَّ

هذا الطعام لا توجد به دهون كثيرة أو المذاق الذي يظل في الفم. وهنا أستطيع أن أرى الكتابة على الحائط. إن جاز التعبير، وأعرف أنَّ عليَّ أن أتأقلم مع الأمر. لقد كنت صعبة الإرضاء بشأن المكان الذي نأكل فيه. لذا أعتقد أنه قد حان دوره أن يكون هو من يصعب إرضاءه في هذا الأمر.

أعترف بأن هذا الأمر كان صعباً قليلاً عليّ. حينما نعتاد على فعل الأمور بطريقتنا لمدة طويلة، يصبح التغيير شيئاً صعباً. ولكني ظلمت أذكري نفسي بأنَّ ديف قد سمح لي أن أختار أين نأكل لمدة أربعة وأربعين عاماً. لذا أعتقد أنه قد حان دوره أن يفعل ذلك. أحياناً، نستطيع أن نتأقلم بسرعة أكبر إنَّ لم نسمح لمشاعرنا بالتدخل السريع. وصرفنا وقتاً كافياً للتفكير في الأمر.

تخبرنا الآيات السابقة أن علينا ألا نعطي لأنفسنا قدرًا أكبر مما تستحقه. علينا ألا نعتقد أن ما نريده أهم مما يريده الآخرون. إنَّ لدينا جميعاً قيمة متساوية وحقوقاً متساوية. وإنَّ وضعت هذا في ذهنك يصبح من الأسهل عليك أن تتأقلم مع رغبات الآخرين.

قم بزيادة قوة صلاتك

إنَّ الصلاة هي أعظم امتياز لدينا. وهي التي تفتح الباب أمام القوة العظيمة والبركة في حياتنا وحياة الآخرين. إنَّ الله يستمع ويستجيب لصلواتنا. لكنه يخبرنا بأن علينا أن نصلي دون غضب وفي روح الاتفاق.

«فَأَرِيدُ أَنْ يُصَلِّيَ الرَّجَالُ فِي كُلِّ مَكَانٍ رَافِعِينَ أَيْدِيَ طَاهِرَةً،
بِدُونِ غَضَبٍ وَلَا جِدَالٍ [في أذهانهم]»
(١ تيموثاوس ٢: ٨)

تخبرنا هذه الآيات بوضوح أنَّ علينا أن نصلي بلا غضب. ونعرف من (مرقس ١١) أنه عندما نصلي، يجب علينا أولاً أن نغفر لأي شخص لنا عليه شيء. وهذه آية أخرى تؤكد أننا لا نستطيع أن نصلي بقلوب مليء بالغضب والنزاع ثم نتوقع أن تُستجاب صلواتنا.

هناك الكثيرون جدًّا من الغاضبين في العالم اليوم. ونسبة كبيرة منهم مسيحيون ويعرفون ما عليهم فعله. إنهم يُصَلُّون ويعتقدون خطأ أنَّ غضبهم لا بهم. قد يشعرون أنَّ لديهم حقًّا في الغضب. لكن الله يدين ذلك الأمر ويقول إنَّ علينا أن نتخلَّص منه قبل الصلاة. إنَّ أفضل طريقة للتقرب لله في الصلاة هي أن نتوب أولاً عن كل خطايانا ثم نتأكد أننا قد غفرنا من قلبنا للآخرين. كيف يمكن لنا أن نتوقع أن يغفر لنا الله ونحن نرفض أن نغفر للآخرين؟ أنا متأكدة أنَّ أخطاءنا في حق الله هي أكثر خطورةً وجديَّةً من أخطاء الآخرين في حقنا. إن الزوج والزوجة أو أي وحدةٍ أسرية ستكون لها قوة عظيمة في الصلاة إن تعهدوا أن يعيشوا سوياً في اتفاق.

«وَأَقُولُ لَكُمْ أَيْضًا: إِنْ اتَّفَقَ اثْنَانِ مِنْكُمْ (انسجما معًا. عملاً سيمفونية معًا) عَلَى الْأَرْضِ فِي أَيِّ شَيْءٍ (أي شيء وكل شيء) يَطْلُبَانِهِ فَإِنَّهُ يَكُونُ لَهُمَا مِنْ قِبَلِ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ»

(متى ١٨ : ١٩).

إن هذه آية مذهلة حقًا. وإن كنا نصدق فعلًا ما نقوله. فعلينا بالتأكد أن نتعهد بأن نعيش في وحدةٍ وانسجام. إنَّ كبرياءنا الأحق لا يستحق الثمن الذي ندفعه فيه من فقدان للقوة في الصلاة.

مرَّ عليَّ وقتٌ في حياتي كنتُ أعتقد بحماقة أنني يمكنني أن أجادل مع ديف في أي وقت أشعر أنني أريد ذلك. ثم عندما نحتاج إلى اختراق ما في حياتنا. يمكننا أن نأتي سوياً ونصلي الصلاة المعروفة باسم «صلاة الاتفاق» لكن كما نرى في (متى ١٨ : ١٩). فإنَّ هذه النوعية من الصلاة لا تُجدي. إنَّ نوعية قوة الله التي نتكلم عنها الآية لا يمكن التمتع بها إلا إذا تعهدنا بأن نفعل كلَّ ما بوسعنا حتى نصنع السلام ونحافظ عليه. إنَّ فعل أحدٍ ذلك. فسيُسَرُّ الله به ويكرم صلاته بطريقةٍ خاصة. لقد جاء بعد هذه الآية مباشرةً سؤال بطرس ليسوع عن كم مرة عليه أن يغفر لأخيه. كان بطرس يريد هذه القوة في الصلاة. لكن يبدو أنه كان يعرف أن هناك مشكلةً بينه وبين واحدٍ أو أكثر من التلاميذ الآخرين. كان يريد أن يعرف إلى أي مدى يتوقع منه يسوع أن يمضي في الحفاظ على السلام. وكانت إجابة يسوع تعني أنَّ على بطرس أن يغفر على قدر ما يقدر حيث إن ذلك ضروري للبقاء في الوحدة.

«حِينَئِذٍ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ بُطْرُسُ وَقَالَ: "يَا رَبُّ كَمْ مَرَّةً يُخْطِئُ إِلَيَّ أَخِي وَأَنَا أَغْفِرُ لَهُ؟ هَلْ إِلَيَّ سَبْعَ مَرَّاتٍ؟"»
(متى ١٨ : ٢١).

أنا على يقين من أن بطرس كان يعتقد أنه كرم في هذا الأمر. لذلك كانت إجابة يسوع عليه صادمة بالنسبة له.

« قَالَ لَهُ يَسُوعُ: "لَا أَقُولُ لَكَ إِلَيَّ سَبْعَ مَرَّاتٍ بَلْ إِلَيَّ سَبْعِينَ مَرَّةً سَبْعَ مَرَّاتٍ"»
(متى ١٨ : ٢٢)

إنَّ حاصل الضرب هنا هو أربع مائة وتسعين مرة. ولكن حتى هذا معناه أنَّ يسوع كان يريد أن يقول: «اغفر على قدر ما يجب عليك أن تغفر ولا تضع حدوداً للغفران». إنَّ الصلاة عطية غالية وامتياز قوي علينا ألا نفقده بالحياة في عدم الاتفاق. اقض وقتاً قبل أن تصلي في فحص قلبك. وإن وجدت أنك تحتاج لتصحيح الأمور مع شخص تعرفه كن متشددًا في صنع السلام. تخبرنا كلمة الله بأنه عندما نأتي بتقدماتنا للمذبح. وتذكّرنا أنَّ لأخيّن شيئاً علينا. فعليّن أن نترك تقدماتنا ونذهب لنصنع السلام مع أخيّن (مت ٥ : ٢٤). إنَّ هذا التعليم يأمرنا بالتأكيد بأن نكون متشددين في صناعة السلام.

القوة في الخدمة

هناك قوة عظيمة متاحة لنا عندما نُكْرَس أنفسنا في خدمة الله. أرسل يسوع تلاميذه اثنين اثنين وقال لهم أن يبشروا بالإجيل ويشفوا المرضى. وقال لهم أيضاً أن يجدوا منزلاً يقيمون فيه حيث يقدر أن يعيشوا في سلام (لوقا ١٠ : ٩-١). كان يَعْلَم أنهم لن يستطيعوا أن يتمتعوا بقوته تسري من خلالهم بينما يوجد اضطراب في أرواحهم. كان الوعد الذي أعطاه لهم يستحق بالتأكيد كل ذلك الجهد. كان عليهم أن يبذلوه حتى يبقوا في انسجام.

«هَا أَنَا أُعْطِيكُمْ سُلْطَانًا لَتَدُوسُوا الْحَيَاتِ وَالْعُقَارِبَ وَ[قوة
بدنية وعقلية وقدره] كُلَّ قُوَّةِ الْعَدُوِّ [التي يملكها] وَلَا
يَضُرُّكُمْ شَيْءٌ»

(لوقا ١٠ : ١٩).

أنا أريد أن يكون هذا الوعد حقيقةً في حياتي وأنا متأكدة أنك تريد ذلك
أيضًا. لذا دعونا نأخذ هذا العهد بأن نعيش في وحدةٍ وتناغمٍ واتفاق. لا يعني هذا
أنَّ علينا دائمًا أن نفكر كالأخرين أو حتى أن نتفق مع اختياراتهم. لكن هذا يعني
أنَّ علينا أن نتفق على ألا نتشاجر بشأنها. يمكننا أن نتجنب الكثير من المنازعات
إن قمنا ببساطة بالاهتمام بشؤوننا الخاصة فقط. من المفيد أن نتذكر أنه إن كان
الأمر ليس من مسؤوليتي. فليس عليَّ أن أقول رأيي فيه.

كثيرًا ما نقدّم آراءنا عندما لا يطلبها منا أحدٌ أو يرغب فيها. وتصبح مصدرًا
للجدال أو الإساءة. أنا من النوع الذي لا يجد حرجًا في التعبير عن آرائه. لكني
طلبت من الروح القدس أن يساعدي على أن أستخدم الحكمة في الاحتفاظ
بآرائي لنفسني إلا إذا طلبها مني أحدٌ. لم أصل بعد إلى الكمال في هذه النقطة.
لكنني أداوم على التعلّم عن أهمية هذا الموضوع.

كتب الرسول بولس رسالةً إلى الكنيسة في فيلبي مشجعًا سيدتين هناك
هما أفودية وسنتيخي على أن تتفقا. كما أنه طلب من أشخاص آخرين أن يساعدوا
هاتين السيدتين في الاتفاق وأن يظلا في تعاون حيث إنهما تعبتا في انتشار
الإجيل (في ٤ : ٢ و٣). نحن لا نعلم على وجه التحديد سبب النزاع بينهما. لكن
قد يكون من أسباب المشكلة الإفراط في التعبير عن آراء كلٍّ منهما في اختيارات
الأخرى. ربما يكون بولس قد سمع أن هاتين السيدتين لا تتفقان سويًا. وحيث إنه
يعلم أن هذا سيُضعف من قوة خدمتهما. خصّص وقتًا ليكتب رسالةً طلب
فيها طلبًا خاصًا لهما بهذا الشأن. وما كتبه بولس لهاتين السيدتين قد كُتب لنا
أيضًا. إن أردنا قوةً في خدمة الله. فعلينا أن نتفق سويًا. يجب أن نحظى بالوحدة!
قال الرسول بولس في رسالته لأهل فيلبي:

«فَتَمَّهُوا قَرْحِي حَتَّى تَمْتَكِرُوا فِكْرًا وَاحِدًا وَلَكُمْ مَحَبَّةٌ وَاحِدَةٌ
بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ. مُفْتَكِرِينَ شَيْئًا وَاحِدًا»

(فيلبي ٢ : ٢).

إِنَّ كُلَّ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ الْعِظَمَاءِ بِحَقِّ الَّذِينَ نَقَرَأَ عَنْهُمْ فِي الْكِتَابِ الْمَقْدَسِ كَانُوا مُلْتَمِزِينَ بِالْوَحْدَةِ. كَانُوا يَعْرِفُونَ أَنَّ خِدْمَتَهُمُ لِلَّهِ سَتَكُونُ بِقُوَّةٍ بَدُونَ الْوَحْدَةِ. فِي السَّنَوَاتِ الْأُولَى لخدمَتِنَا، حَصَلْتُ أَنَا وَدَيْفٌ عَلَى إِعْلَانٍ مِنَ اللَّهِ بِشَأْنِ أَخْطَارِ النِّزَاعِ. إِنْ النِّزَاعُ لَيْسَ مُشْكِلَةً هِينَةً، لَكِنَّهُ شَيْءٌ خَطِيرٌ. إِنْ لَمْ نُوَقِّفْهُ، سَيَنْتَشِرُ مِثْلَ الْمَرَضِ الْمُعْدِي. أَنَا أَكْرَهُ النِّزَاعَ وَمَا يَعْمَلُهُ فِي حَيَاةِ النَّاسِ. وَأَعْمَلُ بِجِدٍّ حَتَّى أُبْعِدَهُ عَنْ حَيَاتِي.

«اتَّبِعُوا السَّلَامَ مَعَ الْجَمِيعِ. وَالْقَدَاسَةَ الَّتِي دُونَهَا لَنْ يَرَى أَحَدٌ الرَّبَّ [أَبَدًا].

مُلَاحِظِينَ [فليراقب كلُّ منكم الآخر] لِئَلَّا يَخِيبَ أَحَدٌ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ [رضا الله وبركاته الروحية]. لِئَلَّا يَطْلُعَ أَصْلُ مَرَاةٍ [ضعيفته، أو بغضة، أو كراهية] وَيَصْنَعَ انْزِعَاجًا، فَيَتَنَجَّسَ بِهِ كَثِيرُونَ»

(عبرانيين ١٢: ١٤-١٥).

تُعَلِّمُنَا هَذِهِ الْآيَاتُ أَنَّ عَلَيْنَا أَنْ نُثَابِرَ (نَعْمَلُ بِجِدٍّ). حَتَّى نُبْعِدَ النِّزَاعَ عَنْ حَيَاتِنَا. كَمَا قُلْتُ مِنْ قَبْلُ، سَيَتَطَلَّبُ هَذَا الْأَمْرُ الْكَثِيرَ مِنَ التَّوَاضُعِ وَالرَّغْبَةِ فِي أَنْ نَكُونَ مُتَشَدِّدِينَ فِي صِنْعِ السَّلَامِ. هَذَا يَعْنِي أَنَّ عَلَيْنَا أَنْ نَتَخَلَّى عَنْ حَقِّنَا فِي أَنْ نَكُونَ عَلَى صَوَابٍ. وَأَنْ نَهْتَمَّ بِشُؤُونِنَا فَقَطْ. وَكَثِيرًا مَا سَيَتَطَلَّبُ مِنَّا الْأَمْرُ أَلَّا نَقُولَ شَيْئًا نَرِيدُ أَنْ نَقُولَهُ لِأَنَّهُ سَيَجْلِبُ الْمَشَاكِلَ.

لَقَدْ قَضَيْتُ مَدَّةً كَبِيرَةً فِي التَّعْلِيمِ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ. بِجَانِبِ مَوَاضِيَعٍ أُخْرَى تَدْعِمُ الْوَحْدَةَ فِي حَيَاةِ النَّاسِ. تَصْبِحُ الْحَيَاةُ بَائِسَةً عِنْدَمَا لَا يَوْجَدُ سَلَامٌ، وَالْحَقِيقَةُ أَنَّهُ عِنْدَمَا لَا يَوْجَدُ لَدَيْنَا سَلَامٌ، لَا تَوْجَدُ لَدَيْنَا قُوَّةٌ.

عَلَيْنَا أَنْ يَسَاعِدَ كُلُّ مَنْ الْآخَرُ فِي جُتُّبِ النِّزَاعِ. لَدَيْنَا رَاعٍ مِنْ مَجْمُوعَةِ الْعَامِلِينَ مَعَنَا لَهُ مَوَاهِبٌ مُتَعَدِّدَةٌ رَائِعَةٌ، لَكِنْ مُوهَبَةٌ مِنْهَا هِيَ قُدْرَتُهُ الْخَاصَّةُ فِي «حُلِّ الْمُنَازَعَاتِ» إِنْ وَجَدْنَا أَنَّ قِسْمًا أَوْ حَتَّى اثْنَيْنِ مِنَ الْمَوْضُوفِينَ قَدْ سَمَحَا لِلنِّزَاعِ أَنْ يَجِدَ مَكَانًا فِي عِلَاقَتِهِمَا، يَذْهَبُ لِهَمَا وَيُسَاعِدُهُمَا أَنْ يَجِدَا حَلًّا لِمُنَازَعَتِهِمَا وَوَحْدَتَهُمَا الَّتِي انْكَسَرَتْ. نَحْنُ نَعْرِفُ أَنَّ خِدْمَتَنَا لِلرَّبِّ سَتَضْعُفُ إِنْ لَمْ نَتَحَلَّ بِالْوَحْدَةِ.

كثيرًا ما نجد أن النزاع يأتي من عدم التواصل السليم. تتعرض علاقات كثيرة للدمار بسبب ذلك. وهذا أمر محزن؛ حيث يمكننا أن نتعلّم مهارات التواصل الجيد إن كانت لدينا الرغبة في ذلك. إنّ راعينا هذا يساعد الناس الذين هم في صراع على أن يتواصلوا. وهذا يحل المشكلة في أغلب الأحيان. وإن لم تحل المشكلة ووجدنا أن واحدًا أو كليهما مصمم على بقاء النزاع مشتعلًا، نعرف أنّ خدمات جويس ماير ليست المكان المناسب له. علينا أن نحافظ على الوحدة حتى نكون مؤثرين في عمل الله.

هناك رجلان نقرأ عنهما في الكتاب المقدس. إبراهيم ولوط. قام صراعٌ بين رعاتهما على حقوق الرعي للماشية. ولأن إبراهيم كان رجلاً حكيماً. أسرع بالذهاب إلى لوط وقال له: «لا يكن بيني وبينك نزاع» ثم عرض على لوط أن يأخذ القسم من الأرض الذي يرغب فيه وقال إنه مستعد أن يأخذ ما سبتركه لوط. نرى هنا إبراهيم وقد تواضع في هذا الموقف وأغلق الباب أمام أي انقسام في المستقبل. اختار لوط لنفسه القسم الأفضل من الأرض. لكن الله بارك إبراهيم أكثر من ذي قبل بسبب استعداده للحفاظ على السلام (تك ١٣).

لقد استخدمت هذه القصة لتذكيري بأن أبعد الصراع من حياتي. كما أنني استخدمتها كثيرًا في التعليم. إنّ تواضعت وأبعدت الصراع عن حياتك. سيباركك الله بركة مذهلة وستحظى بقوة في الصلاة والخدمة. هذا بجانب استمتاعك بالسلام.

أريد أن أختتم هذا الفصل بأن أدّرك أخيرًا بأن الطريقة الوحيدة للحياة في وحدة هي أن نكون أسخياء في الرحمة والغفران. لقد أعطانا الله مفتاحًا للسلام عندما علّمنا أن نغفر لمن أساء إلينا. وأن نثق في الرب أن يجري العدل والقصاص في الوقت الذي يريده. إنّ دورنا هو أن نغفر ودوره هو أن يجري العدل. قم بعملك. ودع الله يقوم بعمله.

«مُجْتَهِدِينَ أَنْ حَفَظُوا وَحْدَانِيَّةَ الرُّوحِ [التي يصنعها الروح]

بِرِبَاطِ السَّلَامِ»

(أفسس ٤: ٣).

الفصل الثالث عشر

ارحمني يا الله

يصبح غفراننا لإساءات الآخرين أسهل عندما نُدرك خطايانا وعجزنا حق الإدراك. إن الله لا يطلب مَنَّا أن نفعل شيئاً بعضنا لبعض إلا وكان هو قد فعله معنا أولاً. لقد أظهر الله لنا غفراناً قبل أن يُعلِّمنا أننا نحتاج أن نغفر بعضنا لبعض. لقد أراد الله أن يقيم علاقةً معنا. أراد أن يكون في وحدة وانسجام معنا. لذلك، كان عليه أن يغفر لنا.

إنَّ نعمة الله ورحمته تسبقان الغفران. إن الرحمة هي بالفعل من أجمل صفات الله. الرحمة أمر عظيم علينا أن نتأمل به بإعجاب. إننا هنا على الأرض نتوقع الرحمة بصورةٍ أو بأخرى. لكنني أعتقد أن الملائكة في السماء يندهشون من جمال رحمة الله. قال أندرو موريه، الخادم والكاتب المسيحي: «إنَّ معرفة الله المطلقة أمر عجيب. وقوة الله المطلقة أمر عجيب. وقداسة الله التي بلا شائبة أمر عجيب. لكن أعجب العجائب هي رحمة الله».

إنَّ الله يغفر بالتمام لأقصى الخطاة ويستعيد شركته معه. إنه صالح مع من لا يستحقون هذا الصلاح على الإطلاق. إنَّ أدركنا كم مرة في اليوم الواحد يسامحنا الله على أشياء فكرنا فيها، أو قلناها، أو فعلناها، لن نجد من الصعب أن نغفر للذين أخطأوا في حقنا. علينا أن نرفع أصواتنا لله مرات عديدة كلَّ يوم ونقول: «ارحمني يا الله، وساعدني أن أرحم الآخرين».

لا يطالبنا الله أبداً بأن نقوم بأمرٍ ما دون أن يؤهلنا حتى نقوم به. إنه لا يطالبنا بأن نعطي الآخرين ما لم يقدمه هو لنا في المقام الأول. لقد أعطانا الله محبةً غير مشروطة ويطلب مَنَّا أن نحب الآخرين بلا شرط. لقد أعطانا رحمةً ويطلب

مثلاً أن نكون رحماء. إن الله يغفر لنا ويطلب منا أن نغفر للآخرين. هل هذا أمر كثير؟ لا أعتقد ذلك.

يُعَلِّمُنا الكتاب المقدس أن من يُعْطَى كثيراً يُطَلَّبُ منه الكثير (لوقا ١٢: ٤٨). يقدم الله لنا الكثير. لذلك فمن حقه أن يتوقع منا الكثير. اقض وقتاً وتأمل في حياتك وحاول أن تتذكر كم كان الرب على استعداد دائم أن يغفر لك. هل كنت يوماً مذنباً بارتكاب نفس الخطيئة مرات عديدة؟ هل عمل الله برحمته فيك واستمر في غفرانه لك حتى تعلمت أن تقوم بالصواب؟ بالطبع ستكون الإجابة هي «نعم». إن «نعم» هي إجابتنا كلنا.

ماذا فعل الله من أجلنا في المسيح؟

جذبنا الله لنفسه عن طريق ذبيحة يسوع المسيح. من الظلمة إلى النور. لقد وجدنا في خطيئتنا وبؤسنا وقَدِّمَ لنا حياةً جديدةً تماماً. إن قلنا له ببساطة «نعم». فهو يغفر لنا تماماً كل خطايانا ويضعنا في موقف سليم معه بنعمته ورحمته. وهو لا يكتفي فقط بغفرانه لخطايانا. لكنه يبعدها بعيداً جداً كَبُعد المشرق عن المغرب ولا يعود يتذكرها (عب ١٠: ١٧). (مز ١٠٣: ١٢). إن الله يرفعنا من حماة اليأس ويجعل لحياتنا معنى (يعقوب ٤: ١٠). والجمال هنا هو أننا لا نستحق أنبأ من هذا. إننا لم نفعل شيئاً يجعلنا نستحق نعمة الله. ولن نقدر أن نفعل شيئاً يجعلنا نستحقها. إنَّ الغفران هو بالتأكيد عطية. إنها نعمة نقبلها وعلينا أن نكون مستعدين أن نقدمها. وهو ليس فقط عطية نقدمها للآخرين. لكنه حقاً نعمة نقدمها لأنفسنا. عندما نغفر لشخص آخر. فنحن نقدم لأنفسنا هدوء البال. الطاقة المتجددة. ووقتاً نقوم فيه بأشياء بِنَاءة بدلاً من الامتعاض وإعادة إحياء ذكرى الأمل. وهذا قليل من كثير.

الرحمة هي العطف الذي يفوق العقل. بمعنى آخر، لا يوجد سبب نقدر أن نجده لعطف الله علينا. إن الله عطوف. ونحن الذين استقبلنا بركة عطفه.

لقد افتدانا الله. وبرنا. وقدَّسنا. ومازال يستردنا. في المسيح. دعونا نشكر الله دائماً من أجل رحمته. أنا أحتاج الرحمة اليوم وكل يوم. إنني أذهل من رحمة الله العظيمة وأستمر في الاندهاش منها كلما صرفتُ وقتاً لأفكر فيما فعله الله من أجلي.

هل تعاني الآن من مشكلَةٍ في غفرانك لشخصٍ ما قد أخطأ في حقك أو تسبب لك في ألم؟ إن كان هذا هو الحال. أقترح عليك أن تصرف خمس عشرة دقيقة وتفكر بجديّة في كم غفر الله لك. أنا أوّمن أن هذا سوف يقودك للتواضع. ثم ستجد أنه من السهل أن تغفر لمن أخطأ في حقك.

يا صديقي. أرجوك أن تغفر! لا تصرف يومًا آخر في حياتك وأنت تشعر بمرارة وغضب من شيء قد حدث ولا يمكن إلغاؤه. لا تحيا حياتك بالعكس. اطلب من الله أن يجعلك أفضل. لا أكثر مرارة. ثق أنه سوف يُخرج الخير من الظلم الذي عانيت منه. تذكّر. إن دورك هو أن تطيع الله وتغفر. ودوره هو أن يرد لك المسلوب ويُجري القصاص. لا تضيّع يومًا غاليًا آخر من حياتك في حياة عدم الغفران. اطلب من الله أن يزرع فيك نفس الفكر الذي كان فيه... الفكر الرحيم الغافر.

ليس يسوع قاسيًا أو صعبًا. إنه رحيم. بطيء الغضب. وعلى استعداد للغفران. وعلى استعداد للمعونة (متى ١٢: ٧). يمكننا أن ننظر لهذه الآية بوجهتي نظر: أولاً. يمكننا أن نرى أنّ الله يريد أن نقدم للناس رحمةً وأنه لا يهتم بذبايحنا. يسوع هو الذبيحة الأخيرة والوحيدة التي يحتاجها الله. إنّ ذبايحنا ليست لها جدوى في العهد الجديد. لا يمكننا إلا أن نُسرّع ليسوع ونطلب منه الرحمة عندما نخطئ. وهو على استعدادٍ دائم أن يقدمها لنا. أحب فكرة أنّ الله دائم الاستعداد أن يغفر. لكننا لسنا مُضطربين أن ننتظره حتى يستعد. وللسنا مُضطربين أن نقنعه حتى يفعل ذلك؛ فهو على استعدادٍ دائم لتقديم الرحمة. لقد قرر بالفعل أن يكون دائماً رحيماً وغافراً. ويمكننا أن نقوم بنفس الأمر. يمكننا أن نضبط أذهاننا لتنبهنا قبل الوقت حتى حينما تأتي الإساءات أمامنا. ونكون مُستعدين أن نغفر.

وجهة النظر الأخرى التي يمكننا أن نراها في هذه الآية هي أن الله يريدنا أن نقدم الرحمة للآخرين ولا نطلب منهم ذبائح. إنّ قُحْر الإنسان هو في الصفح عن الإساءة (أمثال ١٩: ١١). لدينا امتياز أن نتغاضى عن الأمور التي فعلها الآخرون لإيذائنا. لقد أهّلنا الله لذلك. سوف تأتي الإساءات في طريقنا. ولكننا لسنا مضطربين لقبولها.

عندما يجرحنا أحدهم. يمكننا أن نحاول أن نأخذ حقاً منه بأن نجعله يشعر بالسوء حيال نفسه أو أن نداوم على تذكيره بالأمر. يمكننا أن نغلق أمامه باب حياتنا ونرفض أن نتحدث معه. إن هذه هي الطريقة البشرية لطلب الذبائح من الآخرين حتى يُكفّروا عن خطيتهم إزائنا. لكن لنا اختيار آخر: يمكننا أن نكون رحماء.

ماذا ينتظر الله منا؟

إن الله يعرف كلَّ خطيئة سنرتكبها قبل أن نرتكبها. إنه يعرف جُبلتنا. وأننا لسنا أكثر من تراب. وهو لا يتوقع منا ألا نُخطئ أبداً. إنَّ ما يعزبني كثيراً أنَّ الله تكلم في قلبي وقال لي: «يا جويس. أنا لم أتفاجأ بك» إنَّ الله لا يُفاجأ بتجاربنا أبداً. بل إنه قد أعدَّ خلاصنا منها قبل أن تصل لنا التجربة نفسها. إنَّ الله لا يُفاجأ بطريقتنا وأخطائنا الجسدية. لقد قرر مسبقاً أن يكون رحيماً. ما ينتظره الله منا هو أن نحبه ونريد مشيئته. إنه يريدنا أن نكون مُسرعين في التوبة والعمل مع روحه القدوس في اتجاه النضوج الروحي. لا يغضب الله إنَّ لم نصل لهدفنا. لكنه يتوقع منا أن نجاهد حتى نصل إلى العلامة الكاملة.

قال الرسول بولس إن لديه هدفاً واحداً وهو أن يترك ما هو وراء ويجاهد حتى يصل للكمال (فيلبي ٣: ١٣). تخيل أن الرسول بولس. الذي استلم وكتب ثلثي العهد الجديد. كان لا يزال يجاهد. أنا مسرورة أنَّ الله أورد لنا هذا المثال في الكتاب المقدس. إنه يشجّعني على أن أعرف أن الله يعرفني بالتمام ويدرك أنني إنسانة مولودة ولادةً ثانيةً قد جدد قلبها لكن نفسها وجسدها مازالا يحاولان اللحاق بهذا العمل العظيم الذي عمله الله في روحي.

الحقيقة هي أن الله لا يتوقع منا ألا نرتكب أخطاء أبداً. لو كانت لدينا القدرة على أن نعيش بلا خطيئة. ما كنا لنحتاج يسوع. لكننا نحتاجه في كل لحظة كلَّ يوم. إنه الآن جالس عن يمين الله يشفع فينا (رومية ٨: ٣٤). إنه يغفر خطايانا باستمرار إن اعترفنا بها وثبنا عنها (١ يوحنا ١: ٩). لقد اتَّخذ الله تدابيرَه بشأن أخطائنا. ونستطيع بنعمته أن نظل في شركة وعلاقةٍ معه حتى إن كنا لم نصل بعد للكمال في كل تصرفاتنا.

ماذا تنتظر من الناس؟

علينا أن ننتظر من الناس أن نُقدِّم لهم الرحمة. إنهم ليسوا كاملين وسوف يقومون بعمل أخطاء. سوف يجرحونا ويتسببون لنا في خيبة الأمل. لكن الحقيقة هي أننا نعمل نفس الأمر معهم. إننا عادةً لا ندرك ما نتسبب فيه من أذى للآخرين. لكننا ندرك جيداً الأذى الذي يتسبب فيه الآخرون لنا.

أنا لست كاملةً. فلماذا أتوقع الكمال من أتعامل معهم؟ أنا أؤمن حقاً أن نقائصنا هي السبب وراء مطالبة الله لنا بالإسراع بالغفران لقد اتَّخَذَ الله تدابير لنا بشأن الغفران عندما غفر لنا وأعطانا القدرة على أن نغفر للآخرين إن توفرت لنا الإرادة لذلك. إن لي أنا وديف الآن أربعة وأربعين عاماً من الزواج حتى وقت كتابة هذا الكتاب وقد غفر كلُّ منا للآخر آلاف المرات في هذه السنوات. وسوف يتحتم علينا أن نغفر مرات ومرات أخرى في باقي عمرنا سوياً.

لقد تعلمنا أن يُظهر كلُّ منا للآخر الرحمة بعدم ذكره شيئاً قد تسبب الآخر في مضايقته به. يمكن للواحد منا أن ينظر لأخطاء الآخر ويسامحه عليها. أعتقد أن هذه فكرة جميلة: «يمكن للواحد منا أن يسمح للآخر بأن يخطئ».

«يَكُلُّ تَوَاضُعٍ وَوَدَاعَةٍ (عدم الأنانية، اللطف، الاعتدال)،
وَيَطُولُ أَنَاةٌ مُحْتَمِلِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فِي الْحُبَّةِ»
(أفسس ٤: ٢).

توقفت أنا وديف منذ سنوات عن ضغطنا الواحد تجاه الآخر ليكون بلا أخطاء. أدركنا كم أنَّ الله يُظهر لنا رحمته، وقررنا أن نفعل نفس الأمر كلُّ منا للآخر. إنَّ سماح كلِّ منا للآخر بمساحة من الخطأ ساعدنا على أن نتمتَّع بزواج جيد يدوم طويلاً. قم بفحص قلبك. هل تضغط على شريك حياتك، أو أسرته، أو أصدقائك، ليكونوا كاملين، أو يعاملوك بطريقة مثالية؟ هل أنت قاسٍ، وصعب المراس. وكثير المطالب؟ هل تفسح مجالاً لضعفات الآخرين؟ هل أنت سخيٌّ في الرحمة؟ هذه أسئلة جيدة علينا أن نسألها لأنفسنا من حين لآخر. أجب عنها بأمانة. وإن كان أسلوبك ليس هو أسلوب يسوع، فاطلب منه أن يساعدك على أن تغيِّره.

علينا أن نجِدَ ذهننا وأسلوبنا كل يوم. هذا لا يحدث بطريقة تلقائية فيكون لدينا اتجاه طيب بسهولة. أحياناً ندع أشياء تتسلَّل إلينا فنضطر أن نعيد تعهدها بأن نفعل كلَّ شيء بطريقة الله. إن كنت في هذه المشكلة الآن، فليس هناك ما تخجل بشأنه، بل افرح لأنك بمعونة الله قد بدأت ترى حقيقة سوف تجعلك حراً.

ما الذي كان يسوع ينتظره من تلاميذه؟

لقد اختار يسوعُ عن قصدٍ أناسًا لا يتمتعون بالقوة أو الذكاء الكافي ليعمل معهم ومن خلالهم، حتى لا يُنسبَ لهم المجد الذي هو دائمًا لله وحده. كان بطرس يتكلم كثيرًا وكان مملوءًا بالكبرياء. لقد أنكر حتى معرفته بالمسيح ثلاث مرات عندما تعرض للضغط. لكن يسوع أظهر له رحمةً ولطفًا. لقد سامحه. وأصبح بطرس رسولًا عظيمًا.

شك توما كثيرًا فيما قاله يسوع. لكن يسوع أظهر له رحمةً واستمر في العمل معه. بل إنه قابل توما بعد القيامة وسط شكّه وعدم إيمانه وأراه يديه اللتين خُمِلان آثار الصليب. كان توما قد قال إنه لن يصدق حتى يرى، فأراه يسوعُ ما كان يريد أن يراه ولم يرفضه على أساس أسلوبه أو على خلفية فكره المتشكك. كان التلاميذ يُظهرون في بعض الأحيان تصرفات لا تليق بمجموعة من الرجال يسافرون مع يسوع. كانوا يتجادلون فيما بينهم حول من هو الأعظم. لقد ناموا حين كان يسوع يحتاجهم وطلب منهم أن يصلُّوا معه ساعةً واحدةً.

لم يكونوا كاملين. لكن يسوع كان يعرف هذا عندما اختارهم. لقد صلَّى طوال الليل قبل أن يختار هؤلاء الاثني عشر الذين سيحملون الإنجيل للعالم المعروف آنذاك بعد موته وقيامته. تخيَّل معي هؤلاء الاثني عشر غير الكاملين الذين كانوا غالبًا معوزين للحكمة، الذين كانوا يتشكَّكون، ويظهرون كبرياء، ويتجادلون فيما بينهم. وكانوا يريدون أن يعرفوا كم مرة يغفر الواحد منهم للآخر. إن هذا يُشبِّهنا نحن كثيرًا حسبما أرى.

تعلَّم أن تقبل الرحمة

أنا متأكدة أنك، مثلي تمامًا، تعرف أنك لستَ كاملاً. وأنتَ تحتاج الكثير من الرحمة. إنَّ الله على استعدادٍ أن يُقدِّم الرحمة، لكن هل تعرف أنت كيف تتقبَّلها؟ قد نطلب من الله أن يغفر لنا خطايانا. لكن هل نقبل غفرانه عن طريق غفرانا لأنفسنا؟ هل تمسك بخطايا الماضي ضد نفسك؟ لقد عملتُ ذلك لسنوات. وبسبب ذلك، لم أكن قادرةً على أن أظهر الرحمة للآخرين. وكنتُ أقول كثيرًا: «لا يمكنك أن تقدم ما لا تملكه».

هل قبلت الرحمة؟ بينما تقرأ هذا الكتاب. هل هناك أمور مازلت تشعر بالذنب تجاهها بالرغم من أنك قد بُتَّ عنها بإخلاص؟ هل قضيت وقتاً في طلب رحمة الله؟ وبنفس الأهمية. هل قضيت وقتاً في قبول رحمة الله؟ الرحمة هي عطية. لكن العطية ليست لها قيمة بالنسبة لنا إلا إن قبلناها. قال يسوع: «أَطْلُبُوا تَأْخُذُوا لِيَكُونَ فَرْحَكُمُ كَامِلًا» (يوحنا ١٦: ٢٤). هل تطلب كثيراً لكنك تأخذ قليلاً؟ إن كان الأمر هكذا، إذًا فقد حان وقت التغيير. لقد فعل الله كل ما يجب فعله من أجلنا في المسيح. والآن أصبح الأمر بين أيدينا لنقبله بالإيمان. ليس بالاستحقاق. لكن بالإيمان وحده.

عندما نتعلم أن نقبل رحمة الله الجزيلة سنتمكن من تقديمها للآخرين.

خصائص الفكر الرحيم

الرحمة تتفهم

يسوع هو رئيس كهنتنا الرحيم الذي يتفهم ضعفاتنا ونقائصنا؛ لأنه قد جُرِّبَ في كل شيء مثلنا. ولكنه لم يرتكب خطية (عب ٤: ١٥). أُجِبَ حقيقة أن يسوع يتفهمني. حيث إنَّ لكلِّ منا ضعفاته. علينا أيضًا أن نتفهم عندما يخطئ الآخرون ويحتاجون للرحمة والغفران. إنَّ التحلِّي بقلب متفهم هو من خصائص الرحمة الجميلة. في المرة القادمة التي يسيء فيها شخص ما معاملتك. حاول أن تكون متفهمًا. قد يكون هذا الشخص لديه شعور بالمرض أو ربما يكون قد مر بيوم سيئ في العمل. إن السلوك المسيء هو بالتأكيد شيء خاطئ. لكن تذكَّر أنَّ الكلام اللين يصرف الغضب. إن للطف قوة في تحويل اتجاه غضبك؛ لأن الخير دائماً يغلب الشرَّ (رو ١٢: ٢١).

كان ديف متفهمًا لي في السنوات التي كنت أتعافى فيها من آثار التحرش الجنسي الذي تعرضتُ له في طفولتي. لو لم يكن قد أظهر لي رحمة، ما كنا لنستمر في زواجنا حتى اليوم. ولكان كل منا قد فشل في خطة الله في حياته. هل هناك شخص في حياتك الآن يمكنك أن تحاول قليلاً حتى تتفهمه؟ اطلب منه أن يحكي لك قصته. عادةً، عندما يتصرف شخص ما بطريقة معيبة، فهذا لأن حدثًا ما في حياته قد جرحه ولم يتعاف منه.

كلما عرفنا عن خلفية الشخص. أصبح من السهل أن نتفهم ما يديه من سلوك غير مرغوب.

الرحمة لا تُقْشي عيوب الآخرين

إن الشخص الذي لا يُسيطر عليه الروح القدس عادةً يكون له ميل مَرَضِي لنشر الأخبار السيئة وخصوصاً تلك التي بها أخطاء قام بها آخرون. تَعَلَّمنا كلمة الله أن المحبة تستر كثرةً من الخطايا (١ بط ٤: ٨).

«الْبَغْضَةُ تَهَيِّجُ حُصُومَاتٍ، وَالْحُبَّةُ تَسْتُرُ كُلَّ الذُّنُوبِ»

(أمثال ١٠: ١٢).

إن كَلَّ مَثَلٌ في الكتاب المقدس هو حكمةٌ تفيد حياتنا إن اتبعناها. وهذا المَثَلُ يؤكِّد ما قاله بطرس في العهد الجديد عن ستر الخطايا بدلاً من فضحها. عندما أُتيحت الفرصة أخيراً لـيوسف ليتعامل مع إخوته بشأن معاملتهم القاسية السابقة له، قام بذلك في مقابلةٍ معهم على انفراد (تك ٤٥: ١). لقد طلب من الجميع أن يتركوا الغرفة عندما جاء إخوته؛ لأنه كان يريد ألا يعرف أيُّ شخصٍ آخر ما فعلوه به. لم يكن مستعداً أن يغفر لهم بالتمام فحسب، لكنه أخفى خطيتهم عن الآخرين حتى يحبوهم ويحترمهم. لم يكن يريد إحراج إخوته. هذه الصفات الشخصية المذهلة التي كان يتحلَّى بها يوسف ساعدتنا أن نكتشف لماذا تمكن الله من استخدامه بهذه القوة. إن كنا نريد حقاً أن نستخدمنا الله، فعلينا أن نتحلَّى بسلوك الرحمة.

عندما يكون لنا شيءٌ ما على شخصٍ ما قد أهاننا، فعلينا أن نذهب لذلك الشخص على انفراد ونناقشه بشأن هذا الأمر (مت ١٨: ١٥). وإنَّ رفض أن يستمع، يخبرنا الكتاب أن نأخذ معنا آخرين لتتكلم معه على أمل أن نسترجع التناغم العقلي والقلبي بيننا.

افعل للآخرين ما تود أن يفعلوه بك أنت أيضاً. إن ارتكبت خطأً، هل تُريد أن ينشر الناسُ الأخبارَ عما فعلته أم يحتفظوا بها لأنفسهم؟ أنا أعرف الإجابة بالفعل لأنني أعرف ما أريده. أنا أريد أن يستر الآخرون خطايي وأنا متأكدة أنك تريد ذلك أيضاً.

الرحمة لا تُدين

من السهل أن نُدين الآخرين وأن تكون لنا آراء ناقدة لمن يرتكب الأخطاء، لكن هذا ليس من الحكمة. إنَّ الله يدعونا لمساعدة الآخرين، لا لإدانتهم. كما ذكرْتُ قبلاً في هذا الكتاب، يمكننا أن ندين الخطية بكونها خطيةً، لكن يجب ألا ندين الأفراد؛ لأننا لا نعرف ما في قلوبهم أو ما مروا به في حياتهم.

الرحمة أعظم من الدينونة!

«لَأَنَّ الْحُكْمَ هُوَ بِلاَ رَحْمَةٍ لِّئَلَّا لَمْ يَعْمَلْ رَحْمَةً. وَالرَّحْمَةُ [وهي

ملووة بالثقة الفَرِحَة] تَفْتَحُرُ عَلَى الْحُكْمِ»

(يعقوب ٢: ١٣).

إن الإدانة من طبع البشر. لكن الرحمة هي من الله. اطلب من الله أن يساعدك لتحظى بحياة الرحمة وتبحث عن الصفات المميّزة للرحمة في حياتك. إن إدانة الآخرين تعني أن الإنسان يضع نفسه مكان الله. الله هو الوحيد الذي له الحق في إدانة الناس؛ لأنه الوحيد الذي يعرف كل الحقائق. أنا لا أريد أن أكون مذبذباً لكوني أحيا مقام الله في حياة شخص آخر. لذلك أحاول جاهداً أن أجنب إدانة الآخرين. بالتأكيد، لم أكن دائماً على هذا النحو. لقد كنت أدين الناس لمدة طويلة في حياتي، لكن الخبر السار هو أنه يمكننا جميعاً أن نتغير بمعونة الله.

الرحمة تحسن الظن

تؤمن المحبة دائماً بما هو أفضل في الآخرين. والرحمة هي صفة من صفات المحبة. إن الرحمة لا تطلق حكماً دون محاكمة عادلة. تريد الرحمة أن تعرف الحق. وليس مجرد كلام مرسل. أكره الأمر حين أجد أشخاصاً يقولون لي شيئاً سيئاً عن شخص ما، خصوصاً إن كان هذا مجرد غيبة وليس حقيقة مثبتة. أضطر أن أعمل جاهداً كي أحسن الظن بعد ما سمعتُ الكلام السيئ؛ فعليناً دائماً أن نحسن الظن بالآخرين حتى تثبت التهمة عليهم.

أعرف أنني قد تلقيت اتهامات علانية عن أشياء لم أفعلها. وقد قدّرت كثيراً كل من قال: «لا أعتقد أن جويس تفعل ذلك». ولا أقدر هؤلاء الذين صدقوا ما سمعوه. بل وأضافوا عليه. وأشاعوا عني أقوالاً سيئة للآخرين. سنكون أكثر سعادة إن أحسنّا الظنّ في الآخرين بدلاً من التشكك فيهم والإسراع بتصديق كل شرّ نسمعه عن شخص آخر.

الرحمة للجميع

لقد لاحظتُ أنه من الأسهل بالنسبة لي أن أظهر رحمةً لأشخاص أحبهم ولي معهم علاقة جيدة. ومن الأصعب أن أظهر الرحمة لأشخاص لا أهتم بهم اهتماماً خاصاً. ولكن الرحمة الحقيقية هي رحمة للجميع. ليست حياة الرحمة

شيئاً نقدر أن نشغله ونطفيه، إنها جزء من شخصيتنا. إنها كياننا. نحن لا نقول أبداً: «سأنفذ الرحمة»، لكننا نقول: «سأكون رحيماً».

إن المساواة أمر مهم أمام الله؛ إنه لا يحابي الوجوه، ولا يريد منا أن نكون هكذا. كل الناس متساوون في الأهمية لدى الله؛ كلهم أبناءه. وهو يقدم الرحمة لهم جميعاً. وبصفتنا مثلين عنه على الأرض، علينا أن نجتهد لنفعل نفس الأمر. لا نتصرف بناءً على ما «تشعر» به تجاه شخص ما، لكن كن رحيماً وسوف يثري هذا حياتك.

نرى في الكتاب المقدس قصة تُسمّى «قصة السامري الصالح». إنها قصة عن شخص توقف ليساعد شخصاً آخر كان جريحاً وملقى على الطريق. لم يكن السامري يعرف ذلك الرجل، لكنه صرف وقتاً ومالاً لمساعدة رجل غريب (لوقا ١٠: ٢٧-٣٧). حقاً، إن الرجل الرحيم يُبدي الرحمة لكل، ليس فقط لمن يعرفهم، أو من يحبهم، أو من يريد أن يترك عندهم انطباعاً جيداً. هذا «السامري الصالح» كان رجلاً عظيماً في عيني الله لأنه لاحظ، وتوقف، وقدم رحمةً لرجل لم يكن قد رآه قبل ذلك اليوم وعلى الأرجح لن يراه ثانية. لقد تكلف السامري الصالح وقتاً ومالاً ليساعد رجلاً جريحاً. ولم يحصل على شيء مالي مقابل ما فعله، لكنه أصرّ أن يقوم بعمل الصواب. في أي وقتٍ نقوم فيه بعمل الخير، يعطينا هذا سلاماً داخلياً وسنحصل مكافأةً في الوقت المناسب. حاول أن تساعد أناساً أكثر. أظهر لهم رحمة الله ولطفه الذي لا يستحقونه. أنا متأكدة أننا كلنا نتفق على أن العالم يحتاج إلى المزيد من نوعية هذا «السامري الصالح» لذا دعونا نبدأ بأنفسنا.

الفصل الرابع عشر

خَفِّفْ حِمْلَكَ

منذ وقت قريب، شاهدتُ فيلماً عن رجل كان يحمل معه سراً، إنْ أخبر به أحدًا، فسوف يعتق رجلاً آخر من السجن الذي تلقى فيه حكمًا مدى الحياة على جريمة لم يرتكبها، ولكن، إنْ قام هو بإفشاء السر فمن الممكن أن يقع في متاعب كثيرة بسبب وجود أوامر باعتقاله. تسأل الرجل وقال: «لماذا أتقدم وأعرض نفسي للمخاطر حتى يحصل رجل لا يهتمني في شيء على حريته؟» فقال له المحامي الذي كان يدعو لقول الحقيقة: «لأنك إنْ قلت الحق، تزيح عنك ثِقَلًا، وستزيل عبئًا آخر عن كاهلك لبقية حياتك» لقد كان يقول ببساطة: «اعمل في نفسك معروفًا وقم بعمل الصواب».

إننا نقوم باتخاذ قرارات عديدة باستمرار في الحياة تتعلق باستجابتنا للظروف المحيطة بنا في حياتنا. يطلب الله منّا في كلمته أن نقوم بالاختيار الصحيح، لكنه يترك الاختيار لنا. من تلك الاختيارات التي نواجهها كثيرًا في حياتنا هل نغفر لمن ندعوه «عدوًّا»؟ إنْ قمنا بالاختيار السليم، نخفّف حِمْلَنَا، لكن إن اخترنا اختيارًا خاطئًا، فنحن نضع ثِقَلًا آخر على أنفسنا نتعذب به.

«قَدَعَاهُ حِينَئِذٍ سَيِّدُهُ وَقَالَ لَهُ: أَتَيْهَا الْعَبْدُ الشَّرِيرُ كُلَّ ذَلِكَ

الدَّيْنِ [الهائل] تَرَكْتُهُ لَكَ لِأَنَّكَ طَلَبْتَ إِلَيَّ. أَفَمَا كَانَ يَنْبَغِي

أَنَّكَ أَنْتَ أَيْضًا تَرْحِمَ الْعَبْدَ رَفِيقَكَ كَمَا رَحِمْتَنِي أَنَا؟ وَغَضِبَ

سَيِّدُهُ وَسَلَّمَهُ إِلَى الْمُعَذِّبِينَ [السجانين] حَتَّى يُوفِيَ كُلُّ مَا

كَانَ لَهُ عَلَيْهِ. فَهَكَذَا أَبِي السَّمَاوِيُّ يَفْعَلُ بِكُمْ إِنْ لَمْ تَتْرَكُوا
مِنْ قُلُوبِكُمْ كُلِّ وَاحِدٍ لِأَخِيهِ زَلَّاتِهِ»
(متى ١٨: ٣٢-٣٥).

هذا الإصحاح في الكتاب المقدس هو نفسه الذي سأل فيه بطرس يسوع عن كم مرة عليه أن يغفر لأخيه عندما يرتكب خطيئة في حقه. قال يسوع لبطرس قصة عن رجل كان مديناً للملك بمقدار من المال يعادل حالياً عشرة آلاف دولار. أراد الملك أن يحصل على ماله. لكن الرجل لم يكن عنده ما يوفي به الدَّيْن فطلب الرحمة. أشفق قلب الملك على الرجل. وغفر له الدين (ألغاه). نفس ذلك الرجل الذي أعفي من دينه قابل شخصاً آخر كان مديناً له بحوالي عشرين دولاراً. فأمسكه من عنقه وطلب منه أن يسدد الدَّيْن.

سقط الرجل المدين على الأرض وابتدأ يتوسل طالباً الرحمة. لكن بدلاً من أن يغفر له الرجل الذي كان الملك قد غفر له. وضعه في السجن. عندما علم سيده بما حدث. ذكَّره بالرحمة التي تلقاها وقال له إنه سوف يتعرض للعذاب بسبب عدم استعداده للغفران.

إنَّ تلك القصة التي قالها يسوع تستحق متناً الدراسة المتأنية. إنها تُلخِّص كلَّ ما أحاول أن أقوله في هذا الكتاب. لقد غفر الله لنا أكثر بكثير مما يمكن أن يدين لنا به أيُّ شخص. وعلينا أن نتعلم أن نظهر الرحمة والغفران كما فعل هو معنا. علينا ألا نحاول أن نجعل شخصاً «يدفع ثمن» ما فعله ليجرحنا. لقد دفع يسوع دَيْننا وغفر لنا بالجآن. وهو يتوقع منا أن نفعل نفس الأمر مع الآخرين. إنَّ لم نفعل ذلك. سوف نعدَّب أنفسنا كما قال يسوع في (متى ١٨). يمكننا أن نخفِّف حملنا عندما نقوم بالأمر الصواب ونغفر.

قال رالف والدو أمرسين: «أمام كل دقيقة تغضب فيها تفقد ستين ثانية من السعادة» إنها حقيقة أننا نتخلَّى عن فرحنا ونتعلق بغضبنا. ومن واقع خبرتي الشخصية. أستطيع أن أؤكد لكم أنَّ الأمر لا يستحق هذا العناء. قال ماركوس أوريليوس: «إنَّ عواقب الغضب أكثر إيلاًماً وحزناً من أسبابه». قد نشعر بالغضب الأوَّل من حادث بسيط. لكن إن ظللنا نُغذِّي شرارة الغضب بالأفكار السلبية عن ذلك الشخص الذي أغضبنا. ستكون عواقب هذا الغضب بالتأكيد أكثر إيلاًماً وحزناً مما قد تسبَّب فيه في المقام الأول. ربما يجدر بنا أن نعيش حسب المثل الصيني القائل: «إنَّ كنت صبوراً للحظة واحدة في غضبك. ستفادي مائة يوم من الحزن».

على مدار التاريخ. نجد رجالاً ونساء عظماء قد عَبَّروا عن العذاب الذي في عدم الغفران والفرح الذي في الغفران. إليكم قليلاً مما قالوه:

«لا يوجد غاضب يعتقد أن غضبه خطأ» (القديس فرنسيس دي سالز).

«انظر كم تتألم من غضبك وحزنك أكثر من أملك من الأشياء التي تسببت في هذا الألم والحزن» (ماركوس أنطونيوس).
«إنَّ الغضب، حين لا يتم التحكم فيه، يكون أكثر إبلاماً لنا من الألم الذي تسبَّب فيه» (سينيكا).

«ما يبدأ بالغضب، ينتهي بالخزي» (بنجامين فرانكلين).
«من يتطايرون من الغضب غالباً ما يهبطون هبوطاً سيئاً» (ويل روجيرز).

«الغفران لا يغير الماضي لكنه يوسع المستقبل» (بول بويسيه).

"ثلاثة أعشار الزواج محبة، والسبعة الأعشار الباقية غفران" (لوا تسو).

«الغفران هو أسمى وأجمل شكل من أشكال المحبة. وفي المقابل، ستحصل على سلام وسعادة لا يُخبر بهما» (روبرت ميولر).

«ستعرف أنَّ الغفران بدأ حين تتذكر من تسبَّب في إيذائك وتشعر أنَّ لديك القدرة على أن تتمنى لهم الخير» (لويس بي سميدين).

الغضب في ارتفاع

إن الإحصائيات بشأن الغضب تُدْكَرنا بقوة بأنه منتشر جداً. ما يقرب من ثلث الناس الذين أُجريت عليهم الدراسة (٣٢ ٪) يقولون إن لديهم صديقاً قريباً أو أحد أعضاء الأسرة يعاني من مشكلَةٍ في حكمه في غضبه. واحد من كل خمسة (٢٠ ٪) يقول إنه قد أنهى علاقةً أو صداقةً بشخصٍ ما بسبب طريقة تصرفه عندما يغضب. إن كنتَ شخصاً غزوباً، سيكون من الحكمة أن تُدرك أن مَنْ تحبهم لن يكونوا على استعداد دائم أن يلتفوا حولك ويتحملوا طبعك. للأسف، غالباً ما نُخْرِج مزاجنا السيئ على من نحبهم بالأكثر. اعتقد أننا فعلنا ذلك لأننا نعتقد مُخطئين أنهم سوف يستمرون في الغفران لنا وتفهمنا. لكن قد لا يدوم هذا للأبد. إن لكل شخص حدوده. وعندما تضغط على هذه الحدود، تكون الخسارة غير قابلة للإصلاح.

بعض الأشياء التي يغضب الناس بشأنها هي أمور سخيصة حقاً: يغضب الناس جداً من هواتفهم الخلوية عندما لا تعمل بطريقةٍ سليمةٍ حتى أنهم يرمونها عبر الغرفة أو في بركة مياه. لازلْتُ أتذكر تلك الأوقات حين كنا نضطر أن نبحث عن تليفون في الشارع على جانب الطريق إن أردنا أن نُجري مكالمَةً أثناء القيادة. وإن كان الجو حاراً أو بارداً، كان علينا أن نتحمّل هذه المشقة. لم نكن نعترض على هذا؛ لأن هذا هو ما كان يفعله كل الناس إن أراد أحد أن يُجري مكالمَةً أثناء الترحال. لكننا الآن نغضب إن كنا في السيارة ومررنا على منطقةٍ لا يوجد بها برج إشارة للتليفون المحمول لأننا سننتظر دقيقتين لنصل إلى برج آخر حتى نُجري مكالمتنا.

لقد أصبح لدينا الآن ما يُسمّى «الغضب على الطريق». «الغضب على الإنترنت». ثم «الغضب في المكتب». ما كان يسوع يدعو غضباً غير مقدس. أصبحنا ندعوه الآن مرضاً شعورياً يحتاج إلى مشورة. ألسنا نخلق أعداءً لعدم ضبط النفس؟ هل أصبحنا بهذه الأنانية حتى أننا نعتقد أن كل شيء في الحياة يجب أن يكون كما نريده بالضبط طوال الوقت؟

كثيرون من الناس يغضبون لأنهم غير سعداء. وهم غير سعداء لأنهم يغضبون. إن الأمر يصبح كحلقةٍ مفرغةٍ لزيدي ومزيدٍ من الغضب. وأنا أؤمن حقاً بأن الحل الوحيد هو ذهن سليم (كتابياً) واستعداد للغفران لتلك الأشياء أو هؤلاء الناس الذين يزعجوننا.

بحسب ما جاء في مجلة SUNDAY TIMES العدد الصادر في ١٦ يوليو ٢٠٠٦، فإن ٤٥ بالمائة من الناس يفقدون أعصابهم بصفية منتظمة في العمل. إنهم يغيضون من الناس! الناس الذين يعملون معهم. والناس الذين يعملون عندهم. والناس الذين وضعوا قواعد العمل. إن كنت شخصاً غضوباً، فليس من الصعب أن تجد شيئاً أو شخصاً تُصب غضبك عليه.

ما يقرب من ٦٤ في المائة من البريطانيين العاملين في مكاتب أُصيبوا بـ «نوبات غضب المكتب». إنَّ هذه المشاكل يبدو أنها لا تتواجد إلا في البلاد الغنية فقط: فقد ذهبك إلى أفقر الأماكن في الهند وفي إفريقيا مرات عديدة. الشخص الذي يعتبر نفسه محظوظاً في الهند يحصل على وظيفة ويعمل في مقابل أقل من دولار في اليوم. قد تعمل المرأة في هدوء كل يوم في الشمس الحارقة تنظف الشوارع لأصحاب الحلات. وهي بالتأكيد، لا تعاني من مرض «غضب جامعي القمامة» يبدو لي أنه كلما كان عندنا أكثر، أصبحنا أكثر غضباً. منذ أربعين عاماً لم يكن من الممكن لي أن أقع في فخ الغضب من هاتفي المحمول أو الكمبيوتر لأنني لم أكن أمتلك أيّاً منهما. لم تكن الحياة بهذا التوتر ولم يكن الناس بهذا الغضب في تلك الأيام. هل أحرزنا تقدماً حقاً؟ أعتقد أننا قد فعلنا ذلك في بعض الأوجه، لكننا تراجعنا بصورة تعسفة في أوجه أخرى.

من بين مستخدمي الإنترنت، ٧١ في المائة يعترفون بأنهم يعانون من غضب الإنترنت، و ٥٠ بالمائة متأ حدث له أن واجه مشاكل في الكمبيوتر وقام بخبطه. أو إلقاء أجزاء منه في المكان من حوله، أو ظل يصرخ ويهين زملاءه. لو لم يكن الأمر محزنًا جداً لكن هذا المشهد يصلح لفيلم كوميدي صارخ. إنَّ ٣٣ في المائة من البريطانيين لا يتكلمون مع جيرانهم، وأنا متأكدة أن النسبة ليست أقل من هذا في أمريكا أو في الأماكن الأخرى في العالم التي تُدعى متحضرة.

يقول أكثر من ٨٠ في المائة من قادة السيارات إنهم مروا بحوادث غضب الطريق. ٢٥ في المائة ارتكبوا أخطاء بسبب غضب الطريق. إنَّ المرء لا يتجرأ على أن يخطئ أثناء القيادة. كأن لا يعطي إشارة حين يبدل الحارات أو يقطع الطريق أمام شخص آخر في حارة أخرى. ستجد على الأغلب شخصاً يُعلن لك عن غضبه لأن قيادتك المعيبة لم ترضه.

إنَّ العالم باقٍ كما هو. والأمور كما هي. وليس من المتوقع أن تتغير للأفضل. لكننا لسنا متروكين دون حل للمشاكل التي نواجهها. حتى إن كان العالم لن يتغيّر، يمكننا نحن أن نغيّر. كلُّ متاً يمكنه أن يضطلع بمسؤوليته في كيفية استجابته لأي إزعاج خارجي. ويمكننا أن نختر أن نعيش حياة من السلام والتناغم.

قد نضطر أن نغفر مائة مرة كل يوم. لكن هذا لا يزال أفضل من أن نشعر بحرق داخلي من الغضب أو أن نُعَبِّرَ عن غضبك بأساليب تنتهي بك أن تخرج نفسك.

لا تذهب إلى "هناك"

«ادْخُلُوا مِنَ الْبَابِ الضَّيِّقِ لِأَنَّهُ وَاسِعٌ الْبَابُ وَرَحْبُ الطَّرِيقِ
الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى الْهَلَاكِ وَكَثِيرُونَ هُمُ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ مِنْهُ! مَا
أُضْيِقُ الْبَابَ (انكمش بفعل الضغط) وَأَكْرَبُ الطَّرِيقَ الَّذِي
يُؤَدِّي إِلَى الْحَيَاةِ وَقَلِيلُونَ هُمُ الَّذِينَ يَجِدُونَهُ!»

(متى ٧: ١٣-١٤)

نستطيع أن نرى من هذه الآيات أن هناك طريقين يمكن المضي فيهما في الحياة. أحد الطريقين واسع ويمكن المشي فيه بسهولة. إنَّ فيه مَتَسَعًا كبيرًا لمشاعرنا. ولن نشعر فيه بالوحدة أبدًا؛ حيث إن أغلب الناس يمشون في هذا الطريق. في هذا الطريق الواسع، هناك مَتَسَعٌ لكل ما نشعر به من غضب، ومرار، وبغضة، وعدم غفران. لكن هذا الطريق يؤدي إلى الهلاك. هيا، اقرأ الآية مرة ثانية... نعم، إنه يقود إلى الهلاك. هناك طريق آخر يمكننا أن نختاره... إنه الطريق الذي مشى فيه يسوع. يمتلئ التاريخ برجال ونساء اختاروا الطريق الضيق أيضًا، وهم أولئك الناس الذين نتذكرهم ونريد لحياتنا أن تشبه حياتهم. لا أعرف ماذا تريد. لكنني لم أرغب أبدًا أن أكون مثل هتلر أو سفاح بوسطن. لقد كانا غضوبين وتعذبًا بهذا الغضب حتى أصبح تعذيب الآخرين يتملكهم. ويمكننا بسهولة أن نرى أن حياتهما انتهت بالهلاك لأنهما اتَّخذا الطريق الخاطئ. لا، لم أنطلق أبدًا أن أكون مثلهما. لكنني أردت أن أكون مثل راعوث، أو أستير، أو يوسف. أو بولس. لقد قرأت وأعدت قراءة قصة يوسف عشرات المرات ودرستُ هذا التسامح الذي أظهره. أنا أعرف أن الله بارك يوسف بقوة في حياته وبارك نسله لأنه اتَّخذ الطريق الضيق.

إنَّ كل بركة نتمتع بها اليوم قد دفع شخصٌ ما ثمنها بتضحيته وأله. أنا أوؤمن أن أولادي وأحفادي وأحفادي سوف يتمتعون بحياةٍ فضلى لأنني قبلتُ نعمة الله وغفرتُ لأبي خريشه الجنسي بي. كان يمكنني أن أسلك الطريق الواسع.

لقد كان الطريق ينظر في وجهي. وبصرخ قائلاً: «اسلكي فيَّ. إنكِ تستحقين طريقاً سهلاً بعد كل ما تألمت منه». لكن هذا الطريق مخادع؛ إنه يبدو في البداية الطريق الأسهل لكنه في النهاية يضيف تعاسةً فوق تعاسةٍ.

سأخبركم في الفصل الختامي لهذا الكتاب القصة كاملة عن كيفية قيادة الله لي وتعليمه إياي أن أغفر لأبي. لكن فلنكتفِ الآن بأن نقول إنني اتخذت الطريق الضيق الذي يقود إلى الحياة. لقد كان هذا الطريق في أغلب الأوقات مُوحشاً. لا يسير فيه كثيرون. لكن عندما كنت أعتقد أنني لا أقدر أن أمشي ميلاً أكثر. كنت أرى يسوع أمامي يقول لي: «اتبعيني. سأقودك إلى مكان هادئ».

عندما أجدُ أنني سأقع في فخ الغضب والمرارة في حياتي. أقول لنفسني (بصوتٍ عالٍ في أغلب الأحيان): «يا جويس، لا تذهبي إلى هناك» يمكننا أن نشعر بأنفسنا نهبط إلى مياه المرارة المظلمة. إن ذهبنا إلى عمق كبير. سنشعر باليهام الموحلة تُغطي رؤوسنا وتضغط علينا إلى أسفل. وأسفل. وأسفل. اكتئاب. شفقة على الذات. ومجموعة أخرى من المشاعر السلبية تصحبنا في الطريق.

هناك مكان يُدعى «هناك»

هناك مكان يُدعى «هناك» وقد كنا كلنا هناك. قد يكون البعض منكم يعيش «هناك» الآن. إنه مكان كبير. لكن حياتك تبدو بطريقةٍ ما صغيرةً ومحدودةً. هناك جبل عظيم «هناك» وهو يشغل معظم المساحة. إنك تقضي وقتاً كثيراً من وقتك في الدوران حول الجبل ولا تخرز أي تقدم حقيقي في رحلتك. كل ما عليك أن تفعله كي تعيش «هناك» هو أن تتبع مشاعرك؛ اغضب عندما لا تسير الأمور كما تريدها. أو عندما يعاملك الناس معاملةً غير عادلة. لا تسامحهم. لا تكن رحيماً. فيمكنك أن تحصل على أرض كبيرة في «هناك».

لقد عاش الإسرائيليون «هناك» لمدة أربعين عاماً. كانوا يدعونه البرية. أما أنا فأدعوه «هناك». «هناك» هو أي مكان ذهبنا له مرات عديدة من قبل وجعلنا نشعر باليأس وسرق منا جودة الحياة التي يريدنا يسوع أن نتحلّى بها. قد يكون الشفقة على النفس. أو الأنانية. أو الطمع. أو الغضب. أو البغضة. أو الكراهية. أو الثأر. أو الغيرة. إنَّ الأسماء التي نعطيها لـ«هناك» لا تنتهي. لكن نتائج المعيشة «هناك» لا تزال هي نفس النتائج. إنَّ التعاسة. والعذاب. والإحباط. والفراغ. هي الأمور التي تملأ الجو في هذا المكان الواسع الذي يقود إلى الهلاك.

وكما قلتُ. لقد عشتُ «هناك» مدةً طويلةً جداً قبل أن أقرر الخروج من «هناك» والابتعاد عن «هناك». عندما حاول مشاعري أن تمتصني لأرجع إلى «هناك». عليّ أن أقاومها بأن أستدعي نعمة وقوة الله. لكنني لا أقدر بأمانة أن أضع يوماً واحداً آخر من حياتي «هناك».

إن اللوم يقع (عليهم)!

كان الإسرائيليون يلومون أعداءهم. كانوا يرون أن الخطأ يقع دائماً على عدو لهم. وأنه قد تسبب في شعورهم بالحزن والتعاسة. لقد كان العدو الوحيد الحقيقي لهم هو فكرهم السيئ. لقد كانوا غير مؤمنين. ومشتكين. طماعين. غيورين. غير شاكرين. خائفين. يشفقون على أنفسهم. غاضبين وغير صابرين. إنه من المريح لنا أن نلوم شخصاً آخر على كل مشاكلنا. طالما كانوا «هم» المشكلة. ليس علينا أن نفحص أنفسنا ونتحَقَّلَ لمسؤولية أفعالنا.

كنت أضع نظري لسنين عديدة على ما فعله أبي بي بدلاً من أن أنظر لرد فعلي على ما فعله. لقد قدّم الله لي حلاً. لكن طريق الله كان يعني أنه عليّ أن أترك «هناك» وأتوقف عن التفكير أنهم «هم» مشكلتي. صحيح أن أبي تسبّب لي في ألم فظيع. لكن الله قدّم لي شفاءً واسترداداً... كان القرار لي أنا! هل تمرّ بنفس مفترق الطرق في حياتك الآن؟ إن كان هذا هو الحال. أناشدك أن تخرج من الطريق الواسع المؤدي إلى الهلاك وتدخل في الطريق الضيق المؤدي إلى الحياة.

مَن هم «هم» الذين نلومهم على كل مشاكلنا؟ إذا استمعْتَ لنفسك ولما يقوله الآخرون. جِد «أنهم» قد أفسدوا حياتنا. وأنّ عليهم «هم» أن يصلحوها. إنهم «هم» الذين فعلوا. و«هم» الذين قالوا. ونحن نخشى «أنهم» سوف يفعلون ذلك الأمر أو لا يفعلونه. لكن من هم «هم»؟ يمكن أن يكونوا أي شخص. وأي وقت. في أي مكان. الحقيقة هي أن ليس «لهم» أي سلطان ليؤذونا إن بقينا في الطريق السليم. وأتبعنا يسوع. إن يسوع هو الطريق للفرح الذي لا يُنطق به. والسلام الذي يفوق كلّ عقل. والحياة المذهلة التي لا تستطيع أي كلمات أن تصفها. عندما أفكر في كل السنوات التي عشتُها «هناك». ألومهم «هم» على ما أشعر به من تعاسة. يجعلني هذا الأمر أريد أن أكتب كتاباً بعد كتاب عما قدمه لي الله في يسوع المسيح. أريدك أن تعرف الحق؛ لأن الحق سيحرّك. والحق هو: لست مضطراً أن تكون غاضباً ومليئاً بالمرارة والبغضة عندما يجرحك شخصٌ ما. أمامك اختيار

آخر... يمكنك أن تغفرا! في المرة القادمة التي تشتعل فيها مشاعرك ووجد أن أمامك دعوة لأرض تدعى عدم الغفران. صمّم ألا تذهب إلى «هناك».

مهما كان ما حدث في حياتك، حافظ على أجاhek السليم. قال بولس إنه تعلّم أن يكون مُكتفياً بما هو فيه سواء كان ضيقاً أو شبعاً (فيلبي ٤: ١١). أنا مُقتنعة تماماً أنّ بولس تعلّم بنفس الطريقة التي نتعلم نحن بها. لقد اخترت تعاسة اتخاذ قرارات خاطئة حتى أدرك أخيراً حكمة اتخاذ القرارات الصائبة. وعندما قام بذلك، أصبح مُكتفياً.

الحياة تقدم الاستياء

إنّ الناس وظروف الحياة يقدمون لنا فرصاً عديدة لنكون مستائين. لكننا لسنا مضطرين أن نذهب إلى «هناك». كيف ستتصرّف؟ هل ستلومهم «هم» أم ستتحمل مسؤولية أجاهاتك؟ نخبرنا كلمة الله أن نحفظ قلوبنا بكل يقظة (أمثال ٤: ٢٣). نحن مسؤولون أن نعمل مع الروح القدس ليحافظ على قلبنا من الإساءة لله والإنسان. إن الأبطال يهربون من الإساءة كما كان الملك داود يفعل في حياته مرات عديدة.

هل أنت على استعداد أن تقف أمام الله لتجيب عن سؤاله لماذا أضعت حياتك في المعيشة «هناك»؟ هل تعتقد حقاً أنك يمكنك أن تقول إنهم «هم» الذين جعلوني أفعل ذلك وأنّ الله سيقبل هذه الإجابة؟ أعتقد أننا كلنا نعرف أفضل من ذلك. لقد حان الوقت لكلّ منا أن نقوم بعملٍ في حياته ويتخذ قراراً ألا يعيش غاضباً وفي مرارة.

إن الطريق الذي يقود إلى «هناك» واسع. لكن المكان صغير حتى إن كان الطريق المؤدي له واسعاً ويسير فيه كثيرون. إنّ به جبلاً كبيراً ولا تقدر أن تفعل «هناك» شيئاً إلا أن تعيش في تعاسة!

إن كنت «هناك» من قبل، أو أنت «هناك» الآن، إذا فإنك تعرف كم أن هذا يُشعرك بالتعاسة. لذا ارحل من «هناك». وبينما أنت ذاهب، قل: «لن أرجع ثانية!»

الفصل الخامس عشر

مكافأة الله

الله يطلب طاعة، لا ذبيحة

بحسب كلمة الله، لا يمكننا إرضاء الله إلا بالإيمان «لأنَّه يَجِبُ
أَنَّ الَّذِي يَأْتِي إِلَى اللَّهِ يُؤْمِنُ بِأَنَّهُ مَوْجُودٌ، وَأَنَّهُ يُجَازِي الَّذِينَ
يَطْلُبُونَهُ»

(عب ١١: ٦).

إِنَّ اللَّهَ يقدم المكافأة! أنا أحب هذه الفكرة. ألا تتفق معي؟ كلنا نحب أن
نأخذ مكافأة على العمل الشاق، وأنا أعترف بأن الحياة في الغفران هي أمر شاق.
إنها ليست شيئاً نعمله بعض المرات ثم نتخطاه. إنها شيء نتعامل معه طوال
حياتنا وفي الأغلب أكثر مما نريد. عندما أقوم بعمل شيء صعب، فإنَّ ما يساعدني
على تأديته هو أن أتذكر أنَّ هناك مكافأة عند انتهاء الألم.

إن الواحد منا يتدرب في القاعة الرياضية ثلاث مرات في الأسبوع حتى إن
كان هذا عملاً شاقاً يجعله يشعر بالألم؛ لأنه يتطلع إلى المكافأة التي في الصحة
الفضلى والجسد الممتلئ بالعضلات بدلاً من جسده المترهل.

نحن نذهب إلى العمل من أجل المكافأة التي في الراتب الذي نحتاجه بشدة. نحن نذهب إلى محل البقالة من أجل المكافأة التي في تناول الطعام بالبيت. أشك أننا سنعمل الكثير من الأمور في حياتنا إن لم تكن هناك وعود بالمكافأة. يقول الرب إن كل إنسان سيتلقى مجازاةً على ما فعله في هذه الحياة. سواء كان خيراً أم شراً (رؤ ٢٢: ١٢). لقد دعا الله إبراهيم أن يترك عائلته وبيته ويذهب إلى مكان سيربه إياه الله لاحقاً. لقد وعد الله إبراهيم بمكافأة كبيرة على طاعته (تك ١٢: ١-٢، ١٥: ١).

عندما يمر الطفل بكل هذه الاختبارات في كل سنة دراسية، تكون مكافأته هي التخرج. علينا نحن أيضاً أن نمر باختبارات في هذه الحياة. الغفران هو أحد هذه الاختبارات. لكنه اختبار مهم، وعندما ننجح فيه، نقبل مكافأة الله. إن المكافأة تظهر في أوجه عديدة. قد تأتي المكافأة في صورة سلام وفرح. لكنها يمكن أن تكون أيضاً في صورة تقدّم ما في الحياة. كان على يوسف أن ينجح في اختبار الغفران قبل أن يترقى لمكانة القوة والسلطان في مصر. هل تبحث عن تقدم في الحياة. لكنك غاضب؟ إن كنت كذلك، ستفقد مكافأتك.

لكلّ منّا قصته الخاصة. لكن حيث إنني أنا أكتب هذا الكتاب، سأخبركم بقصتي وأصلي أن تكون مفيدة لكم.

* * *

ولدت في ٣ يونيو ١٩٤٣. في يوم ولادتي، تم ترحيل أبي خارج البلاد لأنه كان جندياً في الحرب العالمية الثانية. أخبروني أنني لم أره حتى أصبحت في الثالثة من عمري. أتذكر أنني كنت أخاف دائماً من أبي. لقد كان يبدو دائماً غاضباً من شيء ما. بالطبع، كنت أنا وأمي نفترض أن هذا بسبب خطأ ارتكبناه. لكن بعد ذلك بدا الأمر وكأنه مهما كنا نفعل، كان يجد لنفسه سبباً يغضب بشأنه. لأول تسع سنين في حياتي، لم يكن في البيت غيري أنا وأمي وأبي، ثم جاء أخي.

حتى هذا الوقت، كان أبي يتحرش بي بصورة متكررة. وأتذكر أنني كنت أتمنى من كل قلبي، عندما كانت أُمي موشكة على الولادة، أن يكون هذا الطفل بنتاً. بحسب تفكيري الطفولي، اعتقدت أنه لو كان الطفل بنتاً، فقد تعجب أبي أكثر مني ويتوقف عن عمل تلك الأمور التي كان يفعلها معي التي كانت تشعرني بأنني شريرة وقذرة.

كان الطفل ولدًا، وليس بنتًا. وأعتقدُ أنني أبغضتُه لبعض الوقت لهذا السبب. ثم أصبحت علاقتنا قويةً. وكنْتُ أشعر بأن أخي، الذي أسميناه ديفيد، هو الصديق الوحيد لي في هذه الأسرة. لم يكن يعرف ما كان يفعله أبي بي، لكن كانت له معاركه الخاصة مع أبي. لقد اختبر هو الآخر وطأة غضب أبي، وابتدأ في شرب الخمر وتعاطي المخدرات من سن صغيرة جدًا. عندما وصل لسن السابعة عشر، انضم لجنود المارينز، وذهب ليقاتل في حرب فيتنام. ولم يَعد على سابق عهده مرةً أخرى (في الواقع، يحزنني أن أقول إنه في وقت كتابتي لهذا الكتاب، وصلنا خبر أنهم وجدوا أخي ميتًا في دار لرعاية المشرّدين في كاليفورنيا في سن السابعة والخمسين).

أنا متأكدة أن شخصًا ما يقول الآن: «لماذا تساعد خدمة جويس الناس من كل أنحاء العالم، ويعيش أخوها في دار لرعاية المشرّدين؟» كان أخي في دار لرعاية المشرّدين، لأنه رفض أن يسير في الطريق الضيق الذي يقود للحياة. لقد ساعدنا ديفيد في فتراتٍ كثيرة في حياته، بما في ذلك أن جعلناه يقيم معنا لعدة سنوات، لكن النتيجة النهائية لم تتغير. قال لي ذات مرة: «يا أختي، أنا لسْتُ شريرًا أنا فقط غبي».

كان يعلم أنه اتَّخذ قرارات خاطئة، لكن لسببٍ ما، لا أقدر على فهمه. كان يستمر في اتِّخاذ هذه القرارات. أعتقد أن حياتي وحياة أخي هما كخطّين متوازيين: فأنا، بنعمة الله، اتَّخذتُ الطريق الضيق، وحياتي الآن مليئة بمكافأة الله. أنا سعيدة، راضية، مُباركة، وأتمتع بامتياز مساعدة الناس أن يعرفوا محبة وغفران الله ومكافأته. لكن أخي اتَّخذ الطريقَ الواسع الذي قاده للهلاك. وقد مات في سن السابعة والخمسين دون أن يختبر مكافأة الله الكاملة في حياته. أعتقد أنني أقدر أن أقول حقًا إنه أضاع حياته ولم يكن أحد يقدر أن يمنعه. لقد تمتع بسنوات قليلة جيدة عندما كان يعيش معنا، لكنه ما أن خرج ليعيش وحده، حتى رجع ثانيّةً لنفس الاختيارات والنتائج السيئة.

لقد عانينا نحن الاثنان في طفولتنا، وقد عرض الله علينا المساعدة والإصلاح. لكن الحال انتهى بكليتنا في مكانين مختلفين على أساس قرارات كلٍّ منّا. لقد أحبنا الله نحن الاثنين، وهو ما زال يحبنا. لكني أعلم أن الله حزين لأن أخي ديفيد أفسد حياته. أنا أعرف أنني حزينة بسبب ذلك، لكن هذا يجعلني أصمّم أكثر من ذي قبل أن أشارك الناس بالحق. إننا نقدر أن نهزم الشرّ بالخير (رو ١٢ : ٢١). ورد فعلي على موت أخي هو: «سأجتهد أكثر في مساعدة أكبر عدد ممكن من الناس». إن مررت باختبارات فشلت في حياتك حاول أن تجذبك لأسفل، إلى البلادة واللامبالاة.

قاومها وصمّم على الخروج خارج دائرة ألم القلب بقوة أكثر من قبل. لا تدع اختبارات فشلك تجعلك تشعر بالمرارة، لكن اجعلها تجعل منك شخصاً أفضل.

كان أبي يتحرش بي جنسيًا لفترة كبيرة حتى تركت البيت في عمر الثامنة عشرة. لقد أحصيت عدد المرات التي اغتصبني فيها. فوجدت أنها على الأقل مائتا مرة بين عمر الثالثة عشرة والثامنة عشرة. كان قبل هذه الفترة يكتفي بالتحرش الجنسي بي فقط. لم يكن أبي يجبرني مستخدمًا العنف الجسدي، لكنه كان يجبرني مستخدمًا الخوف والإرهاب. وكان أثر ذلك عليّ فظيعةً.

ذهبت أطلب المساعدة من أمي، لكنها لم تعرف كيف تتعامل مع ما كنت أخبرها به، لذا قررت ألا تصدقني وألا تفعل شيئًا. لقد اعتذرت عن ذلك لاحقًا، لكن هذا استغرق منها ثلاثين عامًا. وفي هذه الفترة حصلت على الشفاء بمعونة الله. وهكذا أصبح عندي أب أساء إليّ وأم تخلّت عني. ثم وجدت أن الله يطلب مني أن أغفر لكليهما تمامًا. ربما خب أن تتوقف عن القراءة وتفكر في الأمر قليلًا قبل أن تسرع لتسمع باقي قصتي.

الله يطلب طاعةً لا ذبيحة

لقد صليت صلاة «أنا أغفر لأعدائي» وغفرت لهم بنسبة ما. لقد علمني الله أن «من تعرض للآذى يؤدي الآخرين» أدركت أن أبي كان رجلًا تغييسًا. ومن المحتمل جدًا أن يكون قد تعرض للإساءة وأنه امتلأ بروح شهوة لزنا المحارم وارتأ إياه من أسرته.

لقد خدنت كثيرًا مع نفسي. وصليت كثيرًا. وتمكنت أن أتوقف عن كراهيتي لأبي، لكنني لم أدرك إلا بعد سنين عديدة أن الطريق كان لا يزال طويلًا أمامي. لقد أهديت الله ذبيحةً، لكنه كان يريد طاعةً كاملةً.

عندما كبرت وتمكنت أن أنتقل خارج منزلنا. كنت أعود لأقضي مع والديّ بعض الوقت الذي لم يكن هناك مفر منه. وعندما بدءا يكبران في السن وابتدأت صحتهما في التدهور، كنت أرسل لهما مالا من وقتٍ لآخر وأزورهما زيارات سريعة في الأعياد. انتقلا من سانت لويس ورجعا إلى جنوب شرق ميسوري حيث كانا قد تربيا. ففرحتُ جدًا؛ كان انتقالهما ليعيشا في مكان يبعد عني بمائتي ميل. أمرًا يعطيني عذرًا ألا أراهما كثيرًا.

في نفس الوقت. كانت خدمتنا تزدهر وكنا فرحين بمساعدتنا للناس. قادنا الله أن نقدم برنامجًا تليفزيونيًا. وكنتُ أعرف أنه عليّ أن أواجه والديّ وأحدث معهما حتى يعرفا أنني سأشارك بقصتي في البرنامج لأساعد الآخرين. لم أعرف كيف سيجري الأمر. لكنني لم أكن أتوقع أن يكون سهلًا. فرحتُ عندما فوجئت بأن أبي قال لي أن أعمل ما أريد. قال لي إنه لم يكن يدي أن خرشه بي قد تسبّب لي في الأذى. لكنه لم يعتذر أو يبدي رغبةً في التوبة أو طلب علاقة مع الله. مرت سنوات قليلة بعد ذلك. وكانت خدمتنا تنمو وظل الحال كما هو بيني وبين والديّ؛ كانا يتقدمان في العمر وكانت صحتهمما تزداد سوءًا. وحيث إنهما لم يكن لهما مال ليعيشا حياةً كريمةً. كنا نرسل لهما المال بانتظام. شعرتُ بأن ما أقوم به أمر نبيل. لكنني فوجئت عندما قال لي الله إنه كان ينتظر مني أن أعمل أكثر من ذلك.

المعنى الحقيقي لمباركة أعدائك

«بَلْ أَجِبُوا أَعْدَاءَكُمْ وَأَحْسِنُوا (قوموا بخدمات ليستفيد منها أحدهم) وَأَقْرِضُوا وَأَنْتُمْ لَا تَرْجُونَ شَيْئًا فَيَكُونَ أَجْرُكُمْ (مكافأتكم) عَظِيمًا (غنيًا. قويًا. شديدًا. بوفرة) وَتَكُونُوا بَنِي الْعَالِيِّ فَإِنَّهُ مُنْعِمٌ عَلَى غَيْرِ الشَّاكِرِينَ وَالْأَشْرَارِ»
(لوقا ٦: ٣٥).

إن كنت قد قرأت الآية السابقة بتسرّع كما نفعل في العادة. أرجوك أن ترجع وتقرأها جيدًا لتعرف ماذا تقول. متى ستأتي مكافأتنا؟ إنها تأتي بعد أن نقوم بعمل الخير لأعدائنا بإجاءه قلب طيب.

ذات صباح. كنتُ أصليّ. شعرتُ بأن الله يهمس في قلبي بأنه يريدنا أن نرجع والديّ مرةً ثانيةً إلى سانت لويس وأن نشترى لهما بيتًا قريبًا منّا. وأن نعتني بهما حتى يفارقا الحياة. افترضتُ في الحال أن هذه الفكرة كانت من إبليس محاولاً أن يعذبني. قاومتها بقوة وحاولتُ أن أنساها. ولكن. عندما يحاول الله أن يتكلم معنا. سيكرر الأمر عدة مرات حتى نستمتع له في النهاية. ظلت الفكرة تراودني

كثيراً. خصوصاً عندما كنتُ أحاول أن أصلي. تخيل أن الله يحاول أن يتكلم معي وأنا أصلي! أنا متأكدة أنني كنتُ مشغولةً بإخباره بكل ما أريده وأحتاج إليه. وكان هو يحاول أن يقاطعني ليخبرني ماذا كان يريد.

فرايتُ في النهاية أن أعرض الفكرة على ديف. وكنتُ أتمنى أن يقول لي إن هذا أمر سخيّف وينتهي الأمر عند هذا الحد. كانت هذه المرة من المرات التي كنتُ على استعداد كامل فيها أن أخضع لزوجي! كنتُ أريده أن يقول لي لا. لكنه لم يفعل ذلك. قال لي بوضوح: «إن كان هذا هو ما تعتقد أن الله يقودك لكي نفعله، فالأجدر بنا أن نفعله».

لم يكن لدينا أنا وديف الكثير من المدخرات، وكان هذا الأمر سيستنفذ غالبية ما لدينا. إن لم يكن كله. حتى نفعل ما طلبه الله مثلاً. لم يكن والداي يحتاجان بيتاً فقط. لكن سيارة وأثاث أيضاً؛ فهما لم يكونا يمتلكان شيئاً جيداً على الإطلاق. لقد أوضح ليّ الله أنه كان يريدنا أن نعتني بهما اعتناءً «جيداً» وكأنهما كانا أفضل والدين في العالم.

كان الجسد يصرخ في داخلي طول الوقت! كيف يمكن لله أن يطلب مني أن أفعل ذلك؟ هل نسي أنهما لم يقوما بأي شيء من أجلي؟ ألا يهم الله أنهما قد تسببا في ألوم فظيع لي ولم يتواجدا من أجلي حين كنتُ أحتاجهما؟ ألم يكن الله يدري بما أشعر به أو يهتم به؟

ودون أن تهبط عليّ أي مشاعر إيجابية. فعلتُ كل ما طلبه مني الله. انتقل والداي راجعين إلى سانت لويس، وعاشا في بيتٍ يبعد عنا بثمانين دقائق. واعتنينا بكل احتياجاتهما. كلما كبرا في السن. ازدادت احتياجاتهما. أظهر ليّ أبي بعض التقدير الشفهي. لكنه كان لا يزال نفس ذلك الرجل الشرير الغاضب كعهده دائماً.

بعد مضي ثلاث سنوات من اعتنائنا بهما. وفي صباح يوم عيد الشكر. اتصلت بي أمي وقالت إن أبي ظل يبكي طوال الأسبوع ويريد أن أعرف إن كان يمكنني أن آتي وأحدث معه عن أمر ما. فذهبتُ أنا وديف. وطلب مني أبي أن أغفر له ما فعله بي وأنا صغيرة. ظل يبكي ويبكي. وطلب من ديف أيضاً أن يغفر له. قال له: «إنَّ أغلب الرجال كانوا سيكرهونني. لكنك أنت يا ديف، لم تفعل شيئاً سوى أن تحبني». فأكدنا له أننا قد غفرنا له وسألناه إن كان يريد أن يطلب من الله أن يغفر له خطاياه وأن يقبل يسوع المسيح مخلصاً شخصياً له. فقال لنا إنه يود فعل ذلك. فصلينا ونال أبي الولادة الجديدة في هذا اليوم. طلب مني أن أعمده. وبعد عشرة أيام قمنا بذلك في كنيسةنا في سانت لويس. أستطيع أن أشهد

حقاً أنه في الأربع سنوات التالية، شهدتُ تغييراً حقيقياً في أبي. مات أبي وهو في سن السادسة والثمانين وأنا على يقين أنه في السماء. عندما تكلم معي الله بشأن شراء بيت لهما، لم أكن أدرك الثمر الذي سأراه في النهاية. إنَّ المحبة التي أظهرتها نعمةُ الله لأبي من خلالنا أذابت قلبه القاسي وفتحت أمامه الطريق ليرى النور. ما زالت أُمي على قيد الحياة حتى وقت كتابة هذا الكتاب. إنها الآن في السابعة والثمانين وتعيش في بيتٍ لرعاية المسنين ونقوم نحن بدفع المصاريف. إنها ابنةُ الله. ورغم أن صحتها ليست جيدة، إلا أنها تستمتع بكل يوم من حياتها. كم أحزنني أن أراها وهي تتحمل خبر موت أخي، لكن الله وهبها نعمةً جميلةً، وقد تعاملت مع الأخبار بطريقةٍ جيدة.

إنَّ الآية التي اقتبسْتُها تقول لنا أن نُجزل العطاء لأعدائنا ونعطف عليهم... وعندئذ تكون المكافأة عظيمةً. لقد قضيتُ سنوات أقدمُ لله ذبيحةً، لا طاعة حقيقية. كنتُ أقوم بعمل الأمور التي لا مفر منها لوالدي. وحتى هذا كنتُ أقوم به وأنا متعضة بعض الشيء، لكن الله كان يدبر لي ما هو أكثر من ذلك. كان يدبر لي أن أقوم بعمل أشياء أكثر، وأن أخذ أشياء أكثر. لقد تمتعت بحرية أكبر في نفسي وأنا أعلم أنني أطعْتُ الله بالكامل. لقد قبلتُ فرحاً عندما اقتدتُ أبي، الذي اغتصني أكثر من مائتي مرة. للرب وعَمَدَتُهُ. ونحن أيضاً نؤمن بقوة أن الله فتح لنا باباً لمساعدة ملايين الناس بعدما أطعناه طاعةً كاملةً. بدأنا في ترجمة برنامجنا التليفزيوني إلى لغات أجنبية. وهو يُعرَض الآن في ثلثي العالم، بأكثر من أربعين لغة مختلفة. هناك ألوف مضاعفة تقبل يسوع كمخلص شخصي لهم ويتعلمون كلمة الله عن طريق كرازتنا.

إنَّ الله عجيب حقاً! إنه يعطينا نعمةً أن نقوم بأمرٍ ما كنا لنعملها، أو نقدر أن نعملها، بذواتنا. كيف يمكن لي أن أحب الرجل الذي كانه مصدراً لعذابٍ؟ كيف لي أن أحب أمّاً تخلَّت عني في الموقف الصعب ولم تساعدني عندما طلبت منها ذلك؟ لأن الله لديه خطة تختلف عن خططنا. إنه يعطينا القدرة على القيام بأمرٍ لا يمكننا أن نتخيل أننا سنقوم بها. بما في ذلك أن نغفر لمن أساءوا إلينا وأنونا. الربُّ صالحٌ، وإن سمحنا له، فهو يريد أن يتدفق صلاحه من خلالنا للآخرين. لقد سمعتم النسخة السريعة من قصتي. أنا أعلم أن لكلٍ منكم قصته الخاصة. وقد تكون قصتك صادمةً أكثر من قصتي. إن الله يريد أن يعوّض لك ضعفين عن معاناتك السابقة. إنه يريدك أن تعيش في مكافأته الغنية. لا تسمح لأي شيء أن يمنعك. افعل في نفسك معروفاً... واغفراً!

عن المؤلفَة

جويس ماير هي من أفضل معلمات الكتاب المقدس، وهي تميّز بالجانب العملي. تحتل جويس المرتبة الأولى بين الكُتّاب الأكثر مبيعًا بحسب مجلة نيويورك تايمز. قامت بتأليف أكثر من تسعين كتابًا روحيًا، بما في ذلك كتاب ١٠٠ طريقة لحياة أسهل، وسلسلة كتيبات «أفكار القوة». هذا بجانب العائلة الكاملة لكتب معركة الذهن، وروايتين: THE PENNY وANY MINUTE... ومؤلفات أخرى كثيرة. كما قامت بنشر آلاف العظات التعليمية المسموعة، هذا بجانب مكتبة فيديو كاملة. يتم بث برنامج جويس استمتع بحياتك كل يوم على الراديو وفي التلفزيون في كل أنحاء العالم، وهي تسافر كثيرًا لتُقيم مؤتمرات مختلفة. لدى جويس وزوجها ديف أربعة أبناء كبار، وهما يقيمان في مدينة سانت لويس بولاية ميسوري.

للتواصل مع خدمات جويس ماير

يمكنك مشاهدة عظات جويس ماير بالعديد من اللغات على موقع

tv.joycemeyer.org

صلاة للخلاص

الله يحبك ويريد ان تكون له علاقة شخصية بك. ان لم تكن بعد قد قبلت يسوع المسيح كمخلصك الشخصي، يمكنك فعل ذلك الان. فقط افتح قلبك له وصل هذه الصلاة...

"ابي السماوي، أعلم اني اخطأت بحقك. من فضلك سامحني. اغسلني طاهراً. أعدك بوضع ثقتي في يسوع ابنك. أو من انه قد مات لاجلي اخذاً خطييتي عندما مات على الصليب. أو من انه اقيم من الموت. الآن اسلم حياتي ليسوع.

أشكرك أباي السماوي على عطية الغفران والحياة الابدية. أرجوك ساعدني كيما احيا لك. باسم يسوع المسيح. امين."

وبصلاتك من القلب، الله قد قبلك، طهرتك، وحررتك من عبودية الموت الروحي. خذ وقتاً لقراءة ودراسة هذه الايات وأسأل الله ان يتكلم اليك وأنت تسير وياه خلال هذه الرحلة في حياتك الجديدة.

يوحنا 3: 16 1 كورنثوس 15: 3-4

أفسس 1: 4 أفسس 2: 8-9

1 يوحنا 4: 14-15

1 يوحنا 1: 9

1 يوحنا 5: 12-13

1 يوحنا 5: 1

صلي وأسأل الله ليساعدك لتجد كنيسة تعتمد الكتاب المقدس في التعليم لتتشجع في النمو في علاقتك الشخصية مع المسيح. الله دائماً معكز سوف يقودك يوماً ويريك كيف تعيش الحياة الفياضة التي اعدّها لك!